مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان

ابن عُنين

شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عُنين الأنصاري الدمشقي







عُني بنشره وتحقيقه

خليل مردم بك

١٣٦٥ مطبعة دمشق ١٩٤٦

المقدمة

ابن عنين

٥٤٩ - ٦٣٠

حياته

يتصل نسب ابن عنين بالأنصار، هاجر آباؤه الأولون من المدينة إلى الكوفة في زمن لاسبيل إلى تعيينه، ولكن بعد الاسلام على كل حال؛ -فالأوس والخزرج سموا بالأنصار بعد الهجرة النبوية، والكوفة مدينة إسلامية مصّرت في عهد الخليفة الثاني - وكانت منازل اولئك الآباء في الخطة المعروفة بمسجد بني النجار[1] بالكوفة.

ثم تركوا الكوفة - كلهم أو بعضهم - في زمن لاتتمكن من تعيينه أيضاً إلى زرْع[2] في حوران، وعرفوا هناك ببني غالب[3]. ولانعلم أول من

(١) معجم الأدباء لياقوت ٧/ ١٢١

(٢) يقال لها زُرًا وزرْع كما في معجم البلدان. وتدعى اليوم أزرع.

(٣) أصله من زرا من بني غالب (مقدمة الديوان في النسختين الحجازية والمصرية) وتصحفت الجملة في مقدمة نسخة كمبردج الى: (أصله من وزرا بني غالب) وفي النسختين الموصليتين والنسخة البارزية (وأصله من بني غالب).

نزح من زرع إلى دمشق من آباء ابن عنين، ولكننا نعلم أن ابن عنين ولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسماية.

وهو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب المعروف بابن عنين[1]. نشأ بدمشق وكان منزله قبلي[2] الجامع الأموي. فلما يفع أو كاد تتلمذ لشيخ نحوي جليل كان يتصدر بالجامع لاقراء النحو، هو أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري،[3] قرأ عليه الأدب وبرع في النحو. وكان الحافظ الكبير أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر يدرس بالمقصورة الغربية[4] في الجامع، فسمع منه ابن عنين. واشتغل بطرف من الفقه على قطب الدين النيسابوري رئيس الشافعية بالزاوية الغربية[5] من الجامع أيضاً، وعلى كمال الدين الشهرزوري قاضي قضاة دمشق. ورحل إلى بغداد وسمع من منوجهر بن تركان شاه راوي مقامات الحريري.

وابتدأ يقول الشعر سنة خمس وستين وخمسماية[6] وهو ابن ست

(١) اختلفت كتب التراجم والتاريخ في سلسلة ابائه ولم نر فائدة في ذكر الروايات المختلفة.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٣٧.
(٣) توفي بعد سنة (٥٦٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٩٨ في ترجمة طغتكين بن ايوب.
(٤) ابن خلكان ١/٢٤٣.
(٥) ابن خلكان ٢/١٢٠.
(٦) مقدمة نسخة كمبردج من الديوان

عشرة سنة. وكان ذلك في عهد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ونور الدين أشبه بعمر بن عبد العزيز في عدله وتقواه، يقرب العلماء الأتقياء، ولا يقبل على الشعراء، حتى قال فيه أسامة بن منقذ:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا ... له فكل على الخيرات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم طاهرة ... من المعاصي وفيها الجوع والعطش[1]

وقال في دولته ابن الدهان:

أأمدح الترك أبغي الفضل عندهم ... والشعر مازال عند الترك متروكا[2]

ولعل إهمال نور الدين للشعراء كان من أشد العوامل في توجيه ابن عنين في شعره، وصرفه إلى النقد والغمز واللمز، وتهيئته لأن يكون من كبار الهجائين المعدودين على استعداد فطري شديد.

ويختار الله إلى جواره نور الدين سنة (٥٦٩) وابن عنين في ريعان الشباب، ولا تستقيم أمور الملك الصالح ابن نور الدين في دمشق، فيخرج منها إلى حلب سنة (٥٧٠) ويستولي على دمشق السلطان صلاح الدين. والملكان العظيمان نور الدين وصلاح الدين يتشابهان في الاستقامة والعدل والجد والحزم، ولكن صلاح الدين أكثر تذوقاً للادب وألين حجاباً للشعراء، فقد روي عنه أنه كان يحفظ كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي[3] ويتمثل

(١) كتاب الروضتين لأبي شامة ١/٢٢٩ ومعجم الأدباء لياقوت ٢/١٨٠.
(٢) الروضتين ١/٢٤٠ وابن خلكان ١/٣٢١
(٣) الروضتين ٢/١٨ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/٣٠٧

بالشعر ويجيز الشعراء .

يشهد ابن عنين الشاعر الفتى يومئذ قيام الدولة الصلاحية في دمشق، فلا يحاول التقرب من السلطان ولا من رجال دولته أو المقربين اليه ، بل يقف موقف الناقد المشنّع العابث الساخر ، يغمز الدولة والقائمين بها من وزراء وقوّاد وقضاة، كما يغمز علماء دمشق ورؤساءها وأعيانها، ولقد بلغت به الجرأة مبلغاً بعيداً حتى تحرّش بصلاح الدين وتعرّض له :

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحدبُ(١)

فضجر منه الناس وضاقوا به ذرعا، وأخذ الموفق بن المطران أحد المقربين من السلطان المعروفين بدماثة الخلق ولين الجانب، وأحد من هجاهم ابن عنين وسخر منهم، اخذ يحرّض السلطان على نفيه(٢) حتى أمر باخراجه من دمشق الى حيث يشاء من البلاد ، فخرج منها رافعاً صوته بقوله :

فعلام أبعدتم أخا ثقة ماخانكم يوماً ولا سرقا(٣)

أنفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين، وأقام بها مدة، وكان يتردد بين اليمن ومصر لتثمير ماله على سبيل التجارة، ثم ترك اليمن ورجع على طريق الحجاز

(١) الديوان ص ٢١٠

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/٢٦٤

(٣) الديوان ص ٩٤

إلى الديار المصرية، وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين وخروج ابنه الملك الأفضل من دمشق واستيلاء الملك العادل عليها .

وربما كانت مدة غربته عن دمشق عشرين سنة أو تزيد، فقد ذكر الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات(١) أن ابن عنين سمع ببغداد من منوجهر بن تركان شاه راوي المقامات، ومنوجهر هذا توفي سنة(٢) (٥٧٥) ولم يستتب أمر الملك العادل في دمشق إلا في أواخر سنة (٥٩٧).

أما إقامة الشاعر في بغداد بعد أن نفي من دمشق فليس في ديوانه ما يدل على أنه حمدها :

وقالوا غدت بغداد خلواً ومابها جميل ولا من يرتجى لجميلِ(٣)

وفي ص (٢٣٤) من الديوان بيتان أُسقط جامع الديوان كلمات من عجزيهما تحرجاً واستنكاراً ، لأن الشاعر على ما يظهر هجا بهما الخليفة ورجال دولته؛ وعزم على الرحيل عن بغداد. وفي ص (١٤٤) مقطوعتان يسخر بهما من أحكام الخليفة وأحكام قضاته .

ورحل عن بغداد ميمماً شطر الشرق، وزار جميع ممالكه الاسلامية، فلم يجد من ملوكه ماخفف عنه ألم الغربة، أولم يحاول التقرب منهم ، فبدأ يشعر بالندم على مافرط منه، وأيقن أن ملوك بني أيوب ألين حجاباً وأندى يداً وأرحب صدراً، وقصيدته التي قالها وهو في بلاد ماوراء النهر يحنّ بها إلى

(١) مخطوط في الخزانة الأحمدية بحلب تحت رقم ١٢١٦

(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٩

(٣) الديوان ص ١٠٧

دمشق ويذم الأعاجم ويمدح بني أيوب، تصوّر مايساور نفسه من الحنين والندامة، يقول فيها[1]:

أحن ومن وراء النهر داري … حنين العود أوثقه العراسُ
وكيف تبيت تطمع في مديحي … رجاء نوالها العجم الخساس
ولو أني مدحت ملوك قومي … تراغت حولي النعم الدخاس
فان الناس في طرق المعالي … لهم تبع وهم للناس راس

ولم يسعد ببلاد المشرق إلا بلقاء الفخر الرازي، فهو الذي عرف قدره وأغدق عليه العطايا، فاستفاد الشاعر من علمه وهباته، وأخذ عنه بالري[2] وحضر دروسه بها وبغيرها من البلدان، ومدحه وأطال الثناء عليه[3]. وما سوى ذلك مما قاله في بلاد المشرق لايدل على الرضا عما كان فيه. هجا بخاري[4] ورئيسها ابن مازة[5] ووصف أهلها بالشح وأنهم يغلقون أبوابهم في وجه الغريب ويلحقونه إلى الخان، ليأكلوا زاده ويسلبوا متاعه ويقترحوا عليه مايضيم كيسه ويثلم ناموسه. ولئن راقته صباحة الوجوه في خوارزم[6] فقد أقلقه المؤذنون، فكل منهم كالسليم لاينام ولا ينيم، يصعد المنارة بعد نصف الليل فلا يزال يزعق حتى الفجر.

(١) الديوان ص ٣٢
(٢) كراسة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية يظن انها من تاريخ الاسلام الذهبي
(٣) انظر الديوان ص ٥٣ و ٩٥ و ٩٦
(٤) انظر الديوان ص ١٤٤
(٥) انظر الديوان ص ٢٢١
(٦) انظر الديوان ص ٢٤٠

ويبدو له أن يزيد إيغالاً في الشرق وهو القائل:

أشقق قلب الشرق حتى كأنني … أفتش في سودائه عن سنا الفجرِ[1]

فيذهب إلى الهند، ولكنه لايحمد مغبة السرى، ولايجد السنا الذي يتطلع اليه، فيدعو للهند بالسقيا، ولكن بالصواعق والدماء:

واذا سقى الله البلاد فلاسقى … بلد الهنود سوى الصواعق والدما[2]

ويسخر من قضاتها:

لله قاضي دينـدوز فانـه … قاض إذا أسدى أطال وأعرضا[3]

وفي الهند صحت عزيمته على العودة الى بني أيوب واسترضائهم بعد أن أغضب سيدهم صلاح الدين:

ولو أني مدحت ملوك قومي … تراغت حولي النعم الدخاس

فترك الهند إلى اليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين أخو صلاح الدين، فاحتفى به وأحسن لقاءه وأكرم وفادته وجعله من خواص بطانته وندمائه، وأغدق عليه الهبات والعطايا، فلقي عنده الراحة بعد العناء واستقر في ظله بعد طول الاضطراب:

فلما استقرت في ذراه بي النوى … وألقت عصاها بين مزدحم الوفدِ[4]
تنصل دهري واستراحت من الوجى … قلوصي ونامت مقلتي وعلا جدي

وشعره في سيف الاسلام على تنوع معانيه من أحسن شعره، والغريب

(١) الديوان ص ٢٩
(٢) الديوان ص ٧٩
(٣) الديوان ص ١٢٧
(٤) الديوان ص ٧٤

أن كل ما لقيه من بره وإحسانه لم يخفف من شوقه إلى دمشق، بل إن عدداً من قصائده التي مدحه بها، يتشوق بها إلى دمشق ويصف رياضها ومتنزهاتها (انظر الديوان ص ٤١ و ٦٨ و ٧٢) ولكنه في الوقت نفسه لا يكظم غيظه على رؤساء دمشق وحكامها ورجال الدولة فيها.

بقي في كنف صاحب اليمن مدة غير قصيرة تردد فيها بين اليمن ومصر ذهاباً وإياباً، فالحادثة التي وقعت له في مكة[١] وهو عائد من اليمن إلى مصر كانت سنة (٥٨٤) لأنها قرنت بفتح صلاح الدين للساحل الشامي وكان ذلك الفتح في السنة المذكورة، ونجد ابن عنين في اليمن بعد هذا التاريخ، ففي الديوان[٢] قصيدتان قالهما في صاحب اليمن، قال الاولى سنة (٥٨٧) والثانية سنة (٥٨٨) وفي ديوان ابن الساعاتي (١٠/٢) أبيات ودع بها ابن عنين في سفرة سافرها من مصر الى اليمن. ويظهر انه كان يتجر في أسفاره ويصحب معه أنواعاً نفيسة، حتى طمع به في مكة بعض أشرافها وله في ذلك أبيات[٣]. ثم لما جاء الى مصر طولب بدفع الضريبة عما معه من العروض، فقال يهجو الملك العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر.

ما كل من يتسمى بالعزيز لها   اهل ولا كل برق سحبه غدقه[٤]
بين العزيزين[٥] بون في فعالهما   هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

(١) الديوان ص ١٠٢
(٢) الديوان ص ٦٨ و ٧٢
(٣) الديوان ص ١٠٢
(٤) الديوان ص ٢٢٣
(٥) يريد بالعزيزين: الملك العزيز صاحب اليمن والملك العزيز صاحب مصر

بقي على هذه الحال الى أن توفي صلاح الدين سنة (٥٨٩) وقام بعده في دمشق ابنه الملك الأفضل علي، ولم تطل مدته فيها فخرج منها الى صرخد سنة (٥٩٢) وقام بها الملك العادل نيابة عن صاحب مصر. وكان لابن عنين أخ يكنى أبا حسن فكتب اليه يستدعيه إلى دمشق، فأجابه بقصيدة[١] يتكلف بها التصبر عن دمشق لسوء سيرة الحكام ولطغيان الملك العادل أبي بكر على ابن أخيه الملك الأفضل علي:

لا الحاكم المصري ينفذ حكمه   فيها علي ولا العواني الموصلي
هيهات أن آوي دمشق وملكها   يعزى الى غير المليك الأفضل
ومن العجائب أن يقوم بها أبو   بكر وقد علم الوصية في علي
مهلا أبا حسن فتلك سحابة   صيفية عما قليل تنجلي

ومهما يكن فقد ترك اليمن موقر الركاب بالمال والمتاع والطرائف، قبل وفاة صاحب اليمن سنة (٥٩٣) ووجهته مصر، وأقام بها مدة غير قصيرة، صحب بها جماعة من الشعراء كانوا معجبين به وبخفة روحه وظرفه ودعابته وفكاهته، قال ابن خلكان في وفيات الاعيان (٢٤٩/٢) بترجمة ابن سناء الملك المصري.

« واتفق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين وكان لهم مجالس يجري بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق سماعها ودخل في ذلك الوقت الى مصر شرف الدين بن عنين فاحتفلوا به وعملوا له دعوات

(١) الديوان ص ٨٥

وكانوا يجتمعون على أرغد عيش وكانوا يقولون هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم ولولا خشية الاطالة لذكرت بعضها »

وتوفي صاحب مصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين سنة (٥٩٥) وابن عنين في مصر على ما نرجح؛ واتفق الأمراء على تولية الملك المنصور محمد بن العزيز، ولصغر سنه استدعوا من صرخد عمه الملك الأفضل ليقوم بتدبير الأمر. وجرت بين الأفضل وعمه العادل أمور ووقائع انتهت بخروج الأفضل من مصر واستيلاء العادل عليها، ودخول مصر والشام في ملك العادل سنة (٥٩٧)، عند ذلك قطع ابن عنين أمله من نجاح الأفضل، وأيقن أن لابد من الدخول في طاعة العادل اذا أراد العودة الى دمشق التي طالت غربته عنها، فكتب الى الملك العادل قصيدته الرائية يستعطفه بها ويستأذنه في الدخول الى دمشق وهي من حر الشعر، وقد تكون أحسن شعره وأولها:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى   وعليهم لو سامحوني بالكرى (١)

فأذن له العادل، فلما دخل دمشق قال:

هجوت الأكابر في جلق   ورعت الوضيع بسب الرفيع (٢)
وأخرجت منها ولكنني   رجعت على رغم أنف الجميع

كانت غربته طويلة ومحنته بها شديدة، ولكن طول الأسفار في مختلف الأقطار، زاد معارفه ووسع تجاربه وفتح لعينيه آفاقاً جديدة واسعة من دروس الحياة واختبار الناس، وأضاف الى شعره عناصر جديدة، ونفض

(١) الديوان ص٣
(٢) الديوان ص ٩٤

عليه ألواناً شتى ساحرة؛ وأبلغ اثر من ذلك الحنين الى الوطن ووصف محاسنه ومباهجه، حتى أصبح لا يرى الدنيا الا في دمشق، ويستصغر كل ما كسبه من مال ومتاع ومعرفة في جنب الاقامة فيها:

ولو أني خيرت في هذه الدنـ(م)   يا لما اخترت غير أهلي وداري (١)

سأله يوماً الملك المعظم عن عجائب ما رآه في البلاد التي سافر اليها فقال: « كل ما في الدنيا مفرق هو في بلدك مجموع موجود » (٢) على ان مغريات السفر ظلت تعاوده حيناً بعد حين، فيسافر مختاراً لا مضطراً أو رسولاً لا طريداً. قال ابن الدبيثي « .... قدم (ابن عنين) بغداد وارداً صادراً غير مرة ولقيته بها وكتبت عنه شيئاً من شعره بالجهد لانه كان ضنيناً به » (٣)

وبعد أن استقرت به النوى في دمشق لم يحن الى بلدة من البلدان الكثيرة التي زارها أو أقام بها الا إلى مصر؛ قال من قصيدة:

أحنُّ الى مصر وياليت أنَّ لي   اذا ذكرت مصر جناحاً أعاره (٤)

* * *

عاد ابن عنين إلى دمشق والقائم بها الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل، لان العادل قسم البلاد في حياته بين أولاده، فكانت للمعظم دمشق والقدس ومضافاتهما. والمعظم في بني أيوب كالمأمون في بني العباس، علم

(١) الديوان ص ٧٦
(٢) حوادث الزمان لابن الجزري مخطوط عن مجلة المجمع العلمي العربي ٥٢٩/١٩
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٤٨/١٨
(٤) الديوان ص ٩١

فاضل أديب، برع في الفقه واللغة والنحو، يقرب العلماء والادباء ويجالسهم ويجري عليهم الجرايات، ويقترح عليهم تأليف الكتب ويضع الخطط لها، من ذلك انه أمر أن يجمع له كتاب في اللغة جامع لصحاح الجوهري وتهذيب الأزهري وجمهرة ابن دريد وغيرها من دواوين اللغة، كما أمر أن يرتب مسند أحمد بن حنبل على الأبواب (١). وكان يجيز من يحفظ كتاب المفصل للزمخشري بمائة دينار وخلعة، فحفظه جماعة رأى ابن خلكان بعضهم (٢). وهو نفسه من المؤلفين الف كتابا (٣) يرد به على الخطيب البغدادي منتصراً للامام أبي حنيفة، ذكر في مقدمته أنه ألفه وهو يدفع هجوم الصليبيين عن نابلس (٤).

أقبل هذا الملك الفاضل على ابن عنين وفتن به وجعله من خواص بطانته، يسمر معه في مجالسه الخاصة فيرتاح لحسن حديثه وسحر منادمته، ويهش لدعاباته ونكاته. وكان لا يصبر عنه فيصحبه اذا سافر، ويعتمد عليه في كل أمر ذي بال، وفي أواخر دولة المعظم تولى الوزارة بدمشق فضبط الأمور وأحسن السيرة وعف عن الأموال، وكان يسفر عن المعظم في المهمات الى الممالك المجاورة، قال ابن خلكان. (رأيته بمدينة إربل سنة ٦٢٣

(١) الكامل لابن الاثير في حوادث سنة ٦٢٤
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٥٠١
(٣) طبع هذا الكتاب بعنوان (الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي) بمطبعة السعاده بمصر سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م
(٤) كتاب الرد على الخطيب ص ٢٧

رسولاً عن المعظم (١)) وهكذا أصبح عند المعظم شاعراً ونديماً ووزيراً ومستشاراً. وهو على رغبته في صحبة المعظم زهد في الوزارة واستقال منها وتوسل اليه أن يعفيه من عملها:

أقلني عثاري واحتسبها صنيعة ... يكون برحماها الك الله جازيا (٢)

ولكن المعظم لم يقبل استقالته، فبقي على ذلك حتى توفي المعظم سنة ٦٢٤ فرثاه ابن عنين بأنفاسه ودموعه، كما مدحه في حياته بأحسن شعره. وتولى بعد المعظم ابنه الملك الناصر داود فاستبقاه في الوزارة. ولما أخذ الملك الأشرف موسى دمشق سنة ٦٢٦ لزم ابن عنين بيته وكان قد بلغ من الكبر عتياً، ومدح الملك الأشرف بشعر دون شعره في أخيه الملك المعظم.

وليس في أخباره أو شعره ما يدل على انه أعقب أولاداً أو تزوج، فقصائده التي قالها في غربته يتشوق الى دمشق وأهله وأصحابه، لم يرد بها ذكر ولد أو زوج له، وهما في هذا المقام أجدر بالذكر من كل ما يحن اليه الغريب، ولم يرو أنه كان معه في غربته احد من أولاده، ولا نعلم من أقاربه إلا أخا له كان يكاتبه من الهند وغيرها ويكنيه بأبي حسن:

مهلا أبا حسن فتلك سحابة ... صيفية عما قليل تنجلي (٣)

وابن اخت صغير داعبه بأبيات (٤) يتعسر عليه النطق بكل كلمة من كلماتها

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٣
(٢) الديوان ص ٩٣
(٣) الديوان ص ٨٥
(٤) الديوان ص ١٤٢

لثغته. ونرجح أن أخاه توفي قبله لأن الشاعر أهدى مماليكه[1] في مرض موته إلى الملك الأشرف ووقف داره على غير أهله. ويظهر أن علته طالت قبل وفاته، فقد أشار إليها في الأبيات التي كتبها إلى الملك الأشرف يسأله أن يقبل مماليكه هدية:

لي أعبد قد ضاق ذرعي بهم ... وأضجرتهم علتي مني[1]

وتوفي بدمشق وهو ابن إحدى وثمانين سنة عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة. أما قبره فقد قال ابن خلكان[2] انه دفن بمسجده[3] الذي أنشأه بأرض المزة؛ ثم قال انه رأى على باب تربة بلال بمقابر الباب الصغير قبراً كبيراً قيل له هذا قبر ابن عنين. فابن خلكان الذي عاصر الشاعر وعرفه وأعجب به، والمشهور بتحقيقه وتثبته لم يجزم بمكان قبره، فذكر الروايتين وفوض العلم إلى الله حين قال: «والله أعلم»

(١) الديوان ص ١٠٣
(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٥
(٣) لا يعرف اليوم مكان هذا المسجد

علمه وأدبه

ابن عنين شاعر أديب عالم، تقدم في ترجمته ذكر مشايخه - وكلهم من أئمة العلم والأدب - مع الاشارة الى ما أخذ عنهم. كان عالماً بالأدب واسع الرواية للشعر وأخبار العرب، متمكناً من اللغة متقناً لها، يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد؛ عالماً طويل الباع بالنحو، مشاركاً في الحديث والفقه، ملماً بفروع الثقافة الاسلامية لعهده من تفسير ومنطق وفلك وحساب وهندسة، يظهر أثر كل ذلك في شعره، ولا سيما النحو، فقد كان ينتزع مصطلحاته ويحسن في استعمالها بشعره غاية الاحسان.

وكان يحتكم اليه الأدباء فيما يشجر بينهم من خلاف. قال ابن خلكان[1] «سئل ابن عنين وكان من أخبر الناس بنقد الشعر عن قصيدة العكوك التي أولها:

ذاد ورد الغي عن صَدَرِهْ ... فارعوى واللهو من وطرهْ

وقصيدة أبي نواس الموازية لها التي أولها:

أيها المنتاب من عُفُرِهْ ... لست من ليلي ولا سَمَرِهْ

وهي من نوادر الشعر أيضاً، فلم يفضّل إحداهما على الأخرى، وقال ما يصلح أن يفاضل بين هاتين القصيدتين إلا شخص يكون في درجة هذين الشاعرين»

وكان يرجع اليه أيضاً في العويص من مسائل الفقه المتعلقة بالعربية

(١) وفيات الأعيان ١/٤٣٩ في ترجمة العكوك.

من نحو وغيره ، ليحقق القول فيها مع الثقات ، كبعض مسائل الجامع الكبير [١] لمحمد بن الحسن .

وله من المؤلفات مختصر الجمهرة [٢] لابن دريد ، والتاريخ العزيزي [٣] الذي يظهر أنه ألفه للملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ، والكتابان مفقودان لا يعرف مكانهما .

صفته وأخلاقه

كان ابن عنين خفيف الروح كثير الدعابة بارع الفكاهة حاضر النكتة ، ظريفاً ماجناً ساخراً متهكماً ، يؤثر الهزل على الجد ، متوقد الذهن ذكي القلب ، تعجبه النكتة ولو كان فيها حتفه . أغري بالسخر من علية القوم وصدورهم ، فهو أشبه الناس بأبي نواس في مجونه ، وابن حجاج في هزله ، والجاحظ في تهكمه واستخفافه بما درج عليه الناس من رسوم المجاملة .

أحب شيء اليه أن يستهزيء بذوي الهيئات والوقار والتزمت من القضاة والفقهاء والمحدّثين والخطباء والواعظين ، ولقد ألحّ عليهم بالتهكم والسخرية حتى رموه بسوء الاعتقاد والزندقة ، وقالوا إنه سب الأنبياء وتهاون بالصلاة وجاهر بشرب الخمر . اما التهاون بالصلاة في شعره ما يدل على التبرم بها [٤] ، كما فيه ما يدل على معاقرته الخمر [٥] ، واما سب

(١) الرد على الخطيب البغدادي الملك المعظم ص ٢٤
(٢) كشف الظنون ١/٢٢٨
(٣) كشف الظنون ١/٤٠٤
(٤) الديوان ص ١٣٨ و ١٣٩ و ١٦٦ . (٥) الديوان ص ١٠٨ و ١١٤

الأنبياء فلعلهم يريدون بهم علماء هذه الأمة الموصوفين بأنهم (كأنبياء بني اسرائيل) .

اعتاد أن يختلف الى الجامع الأموي ، والجامع يومئذ مثابة للناس في جميع أمورهم من دين ودنيا ؛ يجتمع فيه المصلون وطلاب العلم والمعتكفون ، وتعقد فيه حلقات الدروس للحديث والفقه والأدب والعربية وغيرها ، كما تعقد مجالس الوعظ والمناظرة والجدل ، في حرمه وزواياه ومشاهده وأروقته ، ويجلس في الشباك الكمالي غربي الجامع [١] قاضي القضاة او نائبه يحكم بين المتخاصمين ؛ وعلى مقربة منه رجاله وأعوانه وعدوله ، كما يجلس كاتب العقود تحت الساعات [٢] شرقي الجامع . وللجامع خطيب جهوري الصوت يخطب الناس يوم الجمعة ويصلي بهم ، وواعظ يجذب الأبصار والأسماع ويلين القلوب بحسن وعظه . والجامع غاص بالناس على اختلاف طبقاتهم ، وفيهم من يأتي لتسقط الأخبار والاطلاع على مجرى الحوادث ، او التفرج بتلك المشاهد الطريفة .

وابن عنين يتنقل بين حلقات الدروس ومجالس الوعظ والجدل ، ويخطر في صحن الجامع يستطلع الأخبار ، ويمدّ عينه الى قاضي القضاة في مجلس حكمه ، ويرمي بنظره كاتب العقود بين سجلاته ، يستفتح بذلك موضوعاً يصوّر به بعض هذه المشاهد تصويراً هزلياً يستثير الضحك

(١) الدارس في المدارس ٢/٦٥٣ (مخطوط)
(٢) شذارات الذهب ٥/٢٨٥

والاعجاب. قادته يوما خطاه الى الرواق الشمالي من الجامع، فوجد قرب باب الكلاّسة محدّثا يروي الحديث لجمهور من الطلبة والمستمعين، فوقف معهم ساعة ثم انسل من الحاقة، وتناشد الناس بعد ذلك قوله:

رأيت النبي عليه السلام   فقمت اليه وقبلتهُ (١)
فقال أيعقوب يروي الحديث؟   فقلت نعم، قال ما قلتـه

ورأى يوماً فقيهين يتناظران، ينبز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس فقال:

البغل والجاموس في جدليهما   قد أصبحا مثلاً لكل مناظرِ (٢)
برزا عشية ليلة فتناظرا   هـذا بقرنيه وذا بالحافر

وأمر السلطان أن تسلسل أبواب الجامع في أيام الجمع، لئلا تدنو منها خيول رجال الدولة فتؤذي المصلين، فاتخذ ابن عنين من ذلك موضوعاً هزلياً نهش به القاضي والخطيب وسدنة الجامع ونوّابه:

لما رأى الجامع أمواله   مأكولةً ما بين نوابهِ (٣)
جُنّ فمن خوف عليه غدا   مسلسلاً من كل أبوابه
وكيف لا تعتاده جِنّةٌ   وقد رأى المسخ لأربابه
القرد في شباكه حاكمٌ   والتيس في قبة محرابه

وله من مثل ذلك مقطعات في الواعظين والمستمعين من الرجال والنساء والمصلين والمتكفين والسدنة والقوام، تجدها في باب الدعابة

(١) الديوان ص ١٣٧
(٢) انظر بقية الأبيات في الديوان ص ٢٠٥
(٣) الديوان ص ١٤٣

والتهكم والسخرية وباب الهجاء وغيرها.

فاذا انقضى النهار قصد القلعة ليسمر عند الملك المعظم ويطرفه بهذه الملح والأضاحيك، ويعبث بالسمّار من الكتاب والشعراء والأدباء.

ولقد بدا له يوماً أن يتوب، شأن المسرفين على أنفسهم الذين توقظهم ذنوبهم الى الانابه. فاعتكف في مسجد يتعبد، وتفقده المعظم، فأخبر بشأنه، فأتحفه على سبيل المداعبة بزجاجة من خمر وفصوص للنرد وبعث اليه يقول: (سبّح بهذا)(١)؛ لما عرف عنه من الدعابة والمجون؛ ومن اشتهر بخلق وتكلّف الاقلاع عنه لم يثق الناس بصدقه ولو جدّ. ويظهر أنه اعتمد على عفو الله ونقض التوبة.

وهو على دعابته ومجونه كان في وقت من الأوقات يطمح لأعلى رتبة

ولا بد ان أسعى لأفضل رتبةٍ   وأحمي عن عيني لذيذ منامي (٢)

ولم يزل يعظم في عين الملك المعظم حتى ولاه الوزارة وأقامه مقام نفسه، فقام بها أحسن قيام، وأثبت أنه يحسن الجد كما يحسن الهزل، ثم زهد بها وآثر الاستقالة، ولكن المعظم كان حريصاً على بقائه بها. وعمله هذا يذكرنا بالجاحظ لما ولاه المأمون ديوان الانشاء، فاستقال ولم يطق العمل فيه، ولم يصبر عليه المأمون.

والفكاهة لا تفارق ابن عنين في أقواله وأفعاله حتى في عمل البر

(١) مرآة الزمان ٨/٣٩٨
(٢) الديوان ص ١١٦

والاحسان والقربة الى الله تعالى . روي عنه أنه (وقف داره على من التحى من المردان ، فلما سئل عن ذلك قال : هؤلاء تشغلهم المرودية عن تعلم الصنعة ، فاذا التحى أحدهم لم يجد ما يتقوّت به ؛ وهي جهة من أوجه البر لم أسبق اليها[1])

والأمر الذي يسترعي الانتباه ، تعصبه للعرب على العجم في زمان طغت فيه عصبية الدين على عصبية الجنس ، محاكاةً للصليبيين الذين غزوا الشرق تحت راية الصليب . في الوقت الذي كان يقول فيه ابن سناء الملك الشاعر المعاصر لابن عنين :

« بدولة الترك عزّت دولة العربِ[2] »

ويقول ابن النبيه المعاصر له أيضاً :

« الله أكبر ليس الحسن في العربِ[3] »

كان ابن عنين يقول :

وكيف تيت تطمع في مديحي ... رجاء نوالها العجم الخساسُ[4]

ولما مدح الفخر الرازي احتاط لهذا الأمر فمدحه بأنه عربي قرشي وان استوطن آباؤه بلاد العجم ، وذلك حين يقول :

من دوحة فخرية عمرية ... طابت مغارس مجدها المتأثلِ[5]

(١) من كراسة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية يظن أنها من تاريخ الاسلام للذهبي
(٢) الروضتين ٢/٤٣
(٣) ديوان ابن النبيه ص ٣٨
(٤) الديوان ص ٣٣ . (٥) الديوان ص ٥٣

مكية الأنساب زاكٍ أصلها ... وفروعها فوق السماك الأعزلِ

وهو متشدد في أمر العصبية العربية ، يعيب أبناء الإماء ولو كان آباؤهم من خلّص العرب بل يعيب من استرضع في غير العرب ولو كان عربي الأبوين قال :

فألفيته يهوى الندى فترده ... عروق الى أخواله الزرق تنتمي[1]
إذا أيقظته نخوةٌ عربيةٌ ... إلى المجد قالت أرمنيته نَمِ

وقال :

وقلت فتىً من دوحةٍ عربيةٍ ... تشابه منها الفرعُ في الطيب والأصلُ[1]
ولم أدر ان الأرمنية ظئره ... وفي الأرمنيات النجاسة والبخل

ولا يعجبه إلا من لم تهجّنه الإماء دماً ولبناً :

من أسرةٍ عربيةٍ جاءت به ... عربيةٌ آباؤها أحرارُ
لم يغذ من لبن الاماء ولم تحلْ ... أخلاقُه عن طبعها الأظآرُ[2]

أما مدحه لبني أيوب فقد كان يعتبرهم على ما نظن مستعربين ، سكنوا بلاد العرب وشيدوا دولتهم فيها وحموها من الصليبيين ، ولم يصطنعوا غير العربية في شؤون الدين والدولة والعلم والأدب ، حتى ان المعز اسماعيل بن طغتكين صاحب اليمن ادعى[3] أن الأيوبيين أمويون.

* * *

(١) الديوان ص ٢١٦
(٢) الديوان ص ٦٦ . (٣) شذرات الذهب ٤/٣٣٤

شعره

قبل أن يولد ابن عنين بسنة واحدة مات شاعران انتهت إليهما الرياسة في الشعر ببلاد الشام ، هما ابن القيسراني[١] وابن منير الطرابلسي[٢] ، ولم يقم بعدهما من هو في طبقتهما حتى نبغ ابن عنين ؛ فأشبه الأولَ بجزالته ومتانته ، وضارع الثانيَ بالهجاء ونهش الأعراض ، وفاقهما بخفة الروح والدعابة والتهكم والسخرية .

حاكى في كثير من شعره جزالة المتقدمين ، ولكن الطابع الشخصي واللون المحلي ظاهران في شعره أشدَّ ظهور ، وقلَّ في الشعراء من تراءت على شعره صورة بيئته وزمانه كما تراءت على شعر ابن عنين ؛ فأكثر قصائده تنادي على نفسها أن قائلها شاعر دمشقي عاش في العصر الأيوبي ، وكم من شاعر مذكور لا تتبين في شعره زمانه ولا مكانه .

وشعره كثير الفنون متعدّد النواحي جمُّ الأغراض ، وعناصره منتزعة من مصادر شتى ، يتجارى فيه طبع الشاعر وفن الصانع ، وتتبين فيه مقدرة اللغوي وتهذيب العالم المثقف ؛ فهناك محسنات البيان والبديع ، وهناك استعمال مصطلحات العلوم من نحو وصرفٍ وفقهٍ وحديث ومنطق وطب وفلك وهندسة وحساب . وهو أبرع ما يكون إذا

(١) محمد بن نصر القيسراني توفي سنة ٥٤٨ ابن خلكان ٢/ ٢١
(٢) احمد بن منير الطرابلسي توفي سنة ٥٤٨ ابن خلكان ١/ ٦١

استعمل مصطلحات النحو كقوله وقد كتب به إلى الملك المعظم :

أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثوابي والثناء الوافي[١]

وكقوله في عامل صرف من عمله :

ولا تغضبنَّ إذا ما صُرفت ... فلا عدل فيك ولا معرفه[٢]

ولعلَّ ميل الملك المعظم إلى النحو وبصره فيه كان يحمل الشاعر على الالمام به في شعره على هذا النحو .

وهذه الصنعة في شعره جارية على ذوق العصر الذي عاش فيه ، على أنه مقتصد بها إذا قيس بغيره من شعراء عصره .

أما لغته فجزلة منقحة إذا جدَّ ، وحفظه للمفردات وحسن انتقائه لها عجيب ، وما أعرف بيتاً أحاط بصفات الطفيلي كبيته هذا :

واغلٌ وارشٌ نماه طفيلٌ ... أرشمٌ قد ملئت من إبرامه[٣]

وهكذا إذا ترك وشأنه استفاد من بصره في اللغة ومعرفته الواسعة بها فائدةً بليغة . ولكنه قد ينزل على اقتراح بعض ممدوحيه فيضيم الشعر في سبيل اللغة ، كما فعل في القصيدة السينية[٤] التي اقترحها عليه الفخر الرازي ،

(١) الديوان ص ٩٢
(٢) الديوان ص ٢٢٩
(٣) الواغل : الداخل على القوم في شرابهم ، والوارش : الداخل عليهم في طعامهم ولم يدع ، وطفيل رأس الطفيليين الذي ينسبون اليه ، والأرشم : من يتشمم الطعام ويتحين له . انظر الديوان ص ٢٢٥
(٤) انظر الديوان ص ٩٦

ومثلها القصيدة الحائية [1] .

وهو على طول باعه في اللغة ومقدرته على حسن السبك ومتانة الرصف ، وحسن ذوقه في انتقاء الفصيح ، لا يتحرّج في مواضيعه الهزلية من اللحن أو ما يشبهه ، واستعمال الألفاظ والتراكيب العامية الشائعة في دمشق لعصره مما له أصل فصيح أو لا ، مثل : (العواني والعلق والنصب ودق حنك[2] وما قصّر [3] وذقن [4] ...)

وهكذا شعره غير جار على أسلوب واحد ، بل يختلف جزالةً وليناً ، ويتفاوت قوةً وضعفاً ، فبينا تراه محلقاً في قصيدته التي أولها :

ما ذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهمُ لو سامحوني بالكرى [5]

إذا به يسفّ إلى مثل قوله :

هـذا ابن هرون الذي ... في عصرنا لا يفلح [6]

ولعلّ السبب في ذلك أن كثيراً من شعره كان يقوله للاحماض والنكتة لا يقصد به التجويد أو التنقيح ، وهو في ذلك كثير الشبه بأبي نواس

(١) انظر الديوان ص ٩٨
(٢) انظر الديوان ص ٨٥ و ١٤٧ و ٢٠٣ و ٢٠٨ و ٢٠٩
(٣) بمعنى أصاب او أحسن وما زال الدماشقة يستعملون ذلك الى اليوم . انظر الديوان ص ٢٣٨
(٤) من الشتائم أن تضاف لفظة ذقن الى مالا يحسن ذكره . انظر الديوان ص ٢٤١
(٥) الديوان ص ٣
(٦) الديوان ص ٢٢٩

في مجونه وهزله .

وأجلّ ما في شعره وأطرفه في رأيي الحنين إلى دمشق ، والدعابة والتهكم والسخرية . كثر حنينه إلى دمشق حتى أُفرد له باب خاص من ديوانه ، على أنه شائع أيضاً في بقية الأبواب . فدمشق — وقد ذيد عنها كما يذاد الطائرُ الظاميُ عن الماء — قبلته ومهوى قلبه ومسرح خياله ، لا يجد لها مثيلاً ، ولا يبغي بها بديلاً :

ولو أني خُيّرت في هـذه الدنـ(م) ... يا لما اخترت غير أهلي وداري

يتخيل أن يسلك إليها سبل السماء ، بعد أن سُدّت في وجهه سبُل الأرض ، لذلك كثر في شعره ذكر الشهب والكواكب والبروج والأنواء ومنازل الشمس والقمر . وقد أحسن في وصف متنزهاتها ورياضها ، وأشجارها وأنهارها ، وجبالها وسهولها وأوديتها ، ورقة هوائها وعذوبة مائها ، وعبير أزهارها وسجع أطيارها . وتلهف على ماضي أيامه في وادي بردى والغوطة والمرج والنيرب وغيرها من معاهد أنسه وميادين صبوته ؛ وإيراد الأمثلة على ذلك يطول أمره .

أما الدعابة والتهكم والسخرية فقلّ من يضارعه من الشعراء في هذا الباب ، ترى فيه خفة روحه وتوقد ذكائه ، وشدة ملاحظته وقوة نقده ، وحسن تصرفه في إيراد الهزل بمعرض الجد ، والجد بمعرض الهزل ، والتفنن في تصوير غرضه تصويراً هزلياً يبلغ به ما لا يبلغ بالجد ؛

وفي هذا الباب إبداع تعجب به النفس مسرورة وتقبل عليه ضاحكة ، وسلاحه أمضى من سلاح الهجاء . والمقدرة على استثارة الضحك ليست بالأمر اليسير ؛ والشاعر الساخر المتهكم بين الشعراء ، كالمصور الهزلي بين المصورين ، لا تكاد تظفر بواحد بين العشرات . ومن هنا قلَّ هذا النوع من الشعر ، يشفي به الشاعر غيظه ، ويدرك مبتغاه ، ويظهر على خصمه ، ويكسب قلوب السامعين وإعجابهم ، ويجعلهم من حزبه على عدوه من حيث لا يشعرون .

كتب ابن عنين إلى الملك المعظم يتّهم قاضيه بالميل إلى النساء :

أقولها لو بلغت ما عسى   فالطبل لا يُضرب تحت الكسى [1]

قاضيك إن لم تقصه فاخصه   أو لا فلا يحكم بين النسا

وياليته اجتزأ بهذا النوع عن الهجاء الذي أقذع فيه وأفحش ، وتعدى حدود المروءة والأدب ، ولم يردعه رادع من خالق ، أو وازع من دين ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد حتى هجا نفسه[2] وأباه[3] . واجترأ على التعرض لصلاح[4] الدين والملك العادل[5] والملك الأشرف[6] والملك

(١) الديوان ص ١٣١
(٢) الديوان ص ١٤٧ و ١٤٨
(٣) « ص ٢٣٩
(٤) « ص ٢١٠
(٥) « ص ٢٣٩
(٦) « ص ١٣٢

المنصور[1] من الأيوبيين في عنفوان سلطانهم وإقبال دولتهم ، وتلك جرأة لم يقدم عليها شاعر . أما الوزراء والأمراء والقضاة والحكام فقد شنَّ عليهم حربًا لا هوادة فيها ، وشنّع عليهم واتهمهم في نفوسهم وأعراضهم وحرمهم ، ورماهم بالفواحش والدنايا والجهل والخسة والخيانة ، وكان مغرى بهجو القضاة أكثر من غيرهم ، لم يكد يسلم منه أحد ممن ولي قضاء القضاة بدمشق في زمانه ، كابن أبي عصرون وابن الحرستاني وابن الزكي والجمال المصري . وهاجم علية القوم والرؤساء والصدور من العلماء والوجهاء في دمشق كبني عساكر علماء دمشق ومحدثيها ، ولم يستثن منهم إلا شيخه الحافظ أبا القاسم صاحب تاريخ دمشق ، وهجا القواد والولاة والكتاب والوعاظ والفقهاء والخطباء والصوفية والمحدثين والأطباء والأدباء والشعراء ، فشنّها حربًا شعواء على رجال الدولة ورؤساء الأمة :

« وما زالت الأشراف تُهجى وتُمدح »

وهو في هجائه شرس عنيف وقح بذيء يتفنن في مهاجمة خصمه ، فيسخر منه ويتهكم به ويرميه بالفواحش ، ويرسم له صورًا مضحكة فاحشة ، ويختلق له من الحوادث ما يثلم عرضه وشرفه ، وهو في هذا الباب غزير المادة واسع الخيال كثير الابتكار ، يشبه ابن الرومي في إقذاعه وإبداعه ، فضلاً عما امتاز به من خفة الروح والتندر ، قال في قاضي القضاة

(١) الديوان ص ١٣٣

وقد أوصى أن يدفن في داره :

ما قصَّر المصري في فعله ... إذ جعل الحفرة في داره [1]
فخلَّص الأحياء من رجمه ... وخلَّص الأموات من ناره

وشعره في الهجاء أكثر من شعره في كل باب ، ولولا أن أمانة العلم وصدق الرواية تقضي بنشر هذا الديوان كما هو ، لكان حذف الفاحش من الهجاء أولى ، على أن ما ضاع منه ولم يجمع أضعاف ما بقي كما يقول ابن خلكان .

وباب المديح في ديوانه غير قليل إذا قيس ببقية الأبواب ، وأحسنه القصيدة التي قالها في الملك العادل يستأذنه بها في العودة إلى دمشق ، وهي من القصائد المختارة في الشعر العربي ، سما بها حتى بلغ الذروة ، وتصرف في كل مقطع من مقاطعها تصرف الشاعر المطبوع الحاذق البصير ، ترقق في وصف لوعته وحنينه إلى دمشق ، وأحسن في وصفها غاية الاحسان ، وترفَّق في إلانة قلب العادل حتى استجاب له وقد سبقت الإشارة إليها . ويأتي بعد هذه القصيدة قصائده في الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ، فقد كان ابن عنين يحبه ويخلص له ، فقصائده في الملك العزيز صاحب اليمن . أما قصائده في الملك الأشرف موسى بن الملك العادل فيظهر عليها شيء من التعمل والتكلف .

والشيء الطريف في غير واحدة من قصائد المدح ، وصف دمشق ورياضها ومتنزهاتها وما خُصَّت به من المحاسن والبدائع .

(1) الديوان ص ٢٣٨

ويؤخذ عليه في باب المديح تكراره لبعض معانيه في عدة قصائد ولا سيما هذا المعنى :

عدل يبيت الذئب منه على الطوى ... غرثان وهو يرى الغزال الأعفرا

فقد كرر هذا المعنى في عددٍ من قصائد المدح ، فضلاً عن غيره من المعاني .

أما الرثاء فليس له فيه إلا ثلاث قصائد ، أحسنها مرثيته في الملك المعظم ، فلقد كان صادق الحزن واللوعة عليه .

وباب الوقائع والمحاضرات ، باب طريف ممتع ، فيه أخبار وحوادث وقصص ووقائع ، سجلت تسجيلاً شعرياً ، يميط اللثام عن كثير من أخبار الشاعر وأخبار معاصريه ، وحسن تأتيه وسرعة بديهته . وقد ضم إليه مقطعات في الغزل والوصف والأدب والحكمة والفخر مما لا يمكن إفراده في باب خاص لقلته .

وفي الديوان باب لا يستسيغه الذوق العصري ، وهو باب الألغاز ، لخلو هذا الموضوع من أعظم عناصر الشعر وهو العاطفة ، ولما يقتضيه اللغز من التعمل والتكلف ، على ما فيه من البراعة والدقة ؛ وابن عنين ممن اشتهر بنظم الألغاز والاجابة عليها ، ولعلَّ إكثاره من نظمها أنه كان يطارح بها الندماء في مجالس سمر الملك المعظم ، وهي تدلُّ على ذكائه وسرعة خاطره ، وفي بعضها وصف حسن فضلاً عن المحاجاة والمعاياة .

* * *

مثل هذا الشاعر كان ينبغي أن يكون من المقربين عند صلاح الدين، كالعماد الكاتب مثلاً، يرافقه في سفره وحضره، ويستلهم من بطولته وأعماله العظيمة، ما يتغنى به الناس جيلاً بعد جيل، وينظم ذلك الفصل الذي كتبه صلاح الدين بحسامه، فكان أبرع فصل في كتاب الحروب الصليبية، ولكن سوء الطالع جعله بعيداً عن هذه البلاد مدة حكم صلاح الدين. ولما عاد إليها كانت انقضت تلك المشاهد الرائعة التي مثّلها صلاح الدين، بل طمع بنو أيوب بعضهم ببعض، واشتغلوا — بعض الشيء — عن مقاومة الصليبيين.

على أن لابن عنين موقفاً من أنبل المواقف الشعرية المحمودة في هذا الباب، وذلك في وقعة دمياط التي انجلت عن كسر الصليبيين سنة (٦١٨) فاستجاشت الشعر في صدره وكان قد بلغ السبعين من عمره فنظم قصيدةً أولها:

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا   إذا جُهلت آياتنا والقنا اللدنا (١)

وصلت إلى الملك الكامل في مصر قبل جميع القصائد التي قالها الشعراء في هذا الموضوع، وكانت أحسن ما قيل.

وأشار إلى هذه الوقعة في قصيدة مدح بها الملك المعظم فقال:

وأذكرته أيام دمياط بيننا   وبين العدى والموت تهوي عقابُهُ (٢)

(١) الديوان ص ٢٩

(٢) الديوان ص ٢٠

وقصائده في الملك الأشرف أيضاً تشير إلى وقائعه مع الفرنج بكثير من العزة والحماسة؛ على أن مجال القول في أيام صلاح الدين كان أوسع، لو قدّر لابن عنين أن يكون من شعرائه. وقبل أن نختم هذا الفصل، نريد أن نسجل شهادة ابن خلكان بهذا الشاعر، فقد كان معجباً به وبشعره، ختم به ديوان الشعر إذ قال: «... خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثله، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به (١)».

* * *

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٣. ولشدة إعجاب ابن خلكان بابن عنين وحرصه على أخباره ورواية شعره ذكره في عدة مواضع من تاريخه، وكأنه كان يلهج به كثيراً حتى رآه في منامه ينشد قصيدة حفظ منها هذا البيت:

والبيت لا يحسن إنشاده   إلا إذا أحسن من شاده

انظر وفيات الأعيان ٢/٣٥.

ديوانه

بدأ ابن عنين يقول الشعر وهو ابن ست عشرة سنة [1]، وظلَّ يقوله طول أيام حياته حتى أسكته الموت وهو ابن إحدى وثمانين سنة. ولكنه لم يعن بجمع شعره وتدوينه، وإذا استنشده أديب أو مؤرخ شيئاً من شعره ضنّ عليه. قال ابن الدبيثي وقد لقيه ببغداد: «... لقيته بها، وكتبت عنه شيئاً من شعره بالجهد لأنه كان ضنيناً به [2]».

وقال ابن خلكان في ترجمته: «لم يكن له غرض في جمع شعره، فلذلك لم يدوّنه، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس؛ وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم، ومع هذا ففيه أشياء ليست له [3]».

هذا الديوان إذن لا يجمع إلا بعض شعر ابن عنين، والفضل في جمعه لذلك الدمشقي الذي لم يسمه ابن خلكان، فمن هو؟

بين يدينا ثماني نسخ مخطوطة من هذا الديوان، اثنتان سقط منهما اسم جامع الديوان مع ما سقط من أوراقهما، وهما النسخة الظاهرية، ونسخة الصافي. ولم يذكر اسم جامع الديوان في نسخة كمبردج؛ ولا في النسخة الموصلية الثانية. أما في النسختين الحجازية والمصرية فقد ورد اسمه هكذا: «عني بجمعه الفقير إلى الله عزَّ وجل محمد بن المسيَّب بن

(1) مقدمة مخطوطة كمبردج من الديوان.

(2) مجلة المجمع العلمي العربي ١٨/٢٤٨.

(3) وفيات الأعيان ٢/٣٤.

نبهان بن محمد الدمشقي الثعلبي». وورد اسمه في النسخة البارزية: «محمد ابن السيد بن نبهان الحلبي». وفي النسخة الموصلية الأولى: «محمد بن السيد الحلبي».

ولا نشك في أن «السيد» تصحيف «المسيَّب» و«الحلبي» تصحيف «الثعلبي»، فجامع الديوان من أهل دمشق عاصر ابن عنين، لأن نسخة كمبردج ونسخة الصافي منقولتان عن نسخة كتبت سنة (٦٣٨) كما جاء في آخرهما، أي بعد وفاة الشاعر بثماني سنوات. ولا شك في أن هذا الثعلبي كان ممن يحب الأدب، وله الفضل في جمع هذا المقدار من شعر ابن عنين، ولكني لم أجد له ترجمة فيما رجعت إليه من كتب التراجم والتاريخ.

وجميع النسخ مرتبة على الأبواب، إلا النسخة المصرية فإنها مرتبة على حروف المعجم، ويظهر أن هذا الترتيب من عمل بعض المتأخرين، أخذ النسخة الحجازية فجعلها منسوقةً على الحروف.

ولا يمكن أن تُتخذ إحدى هذه النسخ أمّاً، أو تُعتمد أصلاً، لأن جميع النسخ تختلف زيادةً ونقصاً، وتقديماً وتأخيراً، وإن كان بعضها يقارب بعضاً. فالنسختان الموصليتان متقاربتان، ونسخة كمبردج ونسخة الصافي نسختا بدمشق في سنة واحدة بقلم ناسخ واحد، ولكن الثانية منهما مخرومة سقط من أولها ما يساوي ثلثها، وهما تختلفان عن النسختين الموصليتين. والنسختان الحجازية والمصرية تتفقان في كل شيء

إلا في الترتيب، وتختلفان عن البقية. والنسخة الباريزية تشابه النسختين الموصليتين من أكثر الوجوه. والنسخة الظاهرية ترجح الجميع من حيث القدم والزيادات، ويرجحها الجميع من حيث الصحة أو قلة الخطأ. وهاك وصف كل منها على حدة:

١ — النسخة الظاهرية المرموز إليها بحرف (ظ)

محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (٩٢) عام

هي أقدم جميع النسخ، يشبه خطها خطوط القرن السابع، كتبت على ورق أصفر صفيق متين، سقطت منها الورقة الأولى فسقط معها عنوان الديوان واسم جامعه ونصف المقدمة، وسقط من أواسطها ورقة هي الورقة الثامنة والثلاثون — على ما تبين لنا من سياق القصائد —، ومن آخرها ورقة ذهب معها تاريخ نسخها. وعدد الأوراق الباقية الآن تسعون ورقة حجمها (١٦ × ١١) سنتيمتراً. في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً، وقلمها قلم النسخ، وعناوين القصائد والمقطّعات أقرب إلى الثلث، ومدادها أسود نصل بتقادم الزمن، وهي مرتبة على الأبواب من غير أن تذكر عناوين الأبواب، فقصائد المديح مجموعة في باب واحد دون أن يكون في أوله عنوان، وهكذا بقية الأبواب، وما فيها من الشعر يزيد على كل نسخة بمفردها، ولكنها مشحونة بالغلط والتحريف، حتى ليخيّل للقارئ أن الناسخ كان يتعمّد الخطأ في الرسم والنقط والإهمال وتشويش كلمات بعض الأبيات تقديماً وتأخيراً.

وقد كنتُ أريد أن أجعلها أصلاً أعتمد عليه في نشر الديوان لقدمها

والزيادات التي فيها، لولا ما شوّهها من العيوب الكثيرة.

وقد أُضيف عليها في أولها ورقتان حديثتان كتب عليهما اسم الديوان وتعريف موجز بالشاعر وأبيات من شعره.

٢ — نسخة كمبردج المرموز إليها بحرف (ك)

المحفوظة في خزانة كتب كمبردج تحت رقم (٤٢٣)

حصلنا على نسخة عنها بالتصوير الشمسي، عدد أوراقها ستون ورقة، في كل صفحة منها واحد وعشرون سطراً، وقلمها قلم النسخ، وحبرها أسود، إلا العناوين فانها بالحبر الأحمر. جاء في صفحة العنوان: « هذا ديوان الشيخ الإمام شرف الدين محمد بن نصر الله الدمشقي الشهير بابن عنين رحمه الله تعالى » وتحت ذلك لجهة اليسار: « من كتب العبد الفقير إليه تعالى أحمد[1] بن سليمان المحاسني عفي عنهما » وجاء في آخرها مانصه: « تمّ الديوان وهو ديوان شرف الدين المعروف بابن عنين الدمشقي رحمه الله تعالى، وهذه النسخة نُسخت من نسخة قديمة العهد. تاريخ كتابتها سنة ٦٣٨، لكن تعدّت عليها يدُ البلا ومحت بعض رسومها، وهذه النسخة سوّدت منها بجهد على يد كاتبها الفقير المعترف بالذنب والتقصير الواثق بالملك المعطي الفقير الحقير محيي الدين الدمشقي الساطي خادم الأدب بجلق الشام حرست لساعة القيام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في سنة ١٠٩٢ ».

(١) أحمد بن سليمان المحاسني فقيه أديب ولي خطابة الجامع الأموي بدمشق وكانت وفاته سنة (١١٤٦) سلك الدرر للمرادي ١/١١٢.

وهي مرتبة على هذه المعاني: المديح ثم المراثي ثم الملح والوقائع والماجريات ثم الألغاز ثم الأهاجي والمداعبة ثم الأبيات النحوية.

لم يسقط من أوراقها شيء، ولكن في الورقة الخامسة منها أسقط الناسخ على سبيل السهو أو العمد مقطوعة كتب بها الشاعر إلى الملك الأشرف، مع أنه أبقى على عنوانها [1]. وأسقط أيضاً قصيدةً أولها:

أشاقك من عليا دمشق قصورُها ... وولدان روض النيربين وحورُها [2]

وثمانية أبيات من أول القصيدة التي مطلعها:

عسى البارق الشاميُّ يهمي سحابُه ... فتخضلَّ أباطحُ الحمى ورحابُه [3]

والنسخة لا تخلو من الغلط، ولكنه غلط معهود في كثير من المخطوطات.

٣ — نسخة الصافي المرموز إليها بحرف (ف)

هي نسخة صديقنا الشاعر الأستاذ أحمد الصافي النجفي، لا تكاد تختلف عن نسخة كمبردج فناسخهما واحد وتاريخ نسخهما واحد، وورد في آخرها ما نصه: «تمَّ الديوان بحمد الله على يد عبد الله الفقير محي الدين الدمشقي السلطي ونقل من نسخة هبا اقدم مدة كتابتها فانها مؤرخة في سابع عشر شهر رمضان سنة ٦٣٨ وهذه تاريخها سنة ١٠٩٢ فاذا رأيت في بعض الأبيات خطأ ووجدت الصواب ضعه ولك الثواب».

سقط من أولها نحوُ من عشرين ورقة غير متتالية وبقي منها أربعون

(١) انظر الديوان ص ١٠٣.
(٢) » » ص ١٥.
(٣) » » ص ١٩.

ورقة حجمها (٢٠ × ١٤) وفي كل صفحة واحد وعشرون سطراً، وقلمها قلم النسخ، ومدادها أسود إلا العناوين فانها بالحبر الأحمر، وورقها صقيل متين. وما قيل في مخطوطة كمبردج يصدُق عليها. وهي أول مخطوطات الديوان التي اطلعت عليها، تلطف صاحبها وأعارنيها منذ سنة ١٣٥٨، وكانت بداية عملي بها.

٤ — النسخة الموصلية الأولى المرموز إليها بحرف (م)

المحفوظة في مدرسة يحيى باشا بالموصل

كنت رغبت إلى الزميل الفاضل الدكتور داود الجلبي عضو المجمع العلمي العربي أن يستكتب لي نسخةً معارضةً بالنسختين المحفوظتين بمدرسة يحيى باشا من ديوان ابن عنين، فتفضل بالاجابة على أتمّ وجه، ووصف الأصلين وصفاً دقيقاً مسهباً، جاء منه في وصف النسخة الأولى:

«النسخة من القطع الصغير حجمها (١٩ × ١١) كتبت بقلم النسخ بمداد أسود إلا العناوين فانها بمداد أحمر، ولم يذكر في آخرها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، مجلدة بجلد أحمر، وورقها أبيض، وعدد أوراقها ست وسبعون ورقة منها ست وخمسون ورقة للديوان، في كل صفحة تسعة عشر سطراً، حسنة الخط والضبط، وهي تختلف عن النسخة الأخرى اختلافاً يسيراً في التقديم والتأخير والزيادة والنقص».

٥ — النسخة الموصلية الثانية المرموز إليها بحرفي (مث)

المحفوظة في مدرسة يحيى باشا بالموصل

جاء من وصف هذه النسخة للدكتور الجلبي ما يلي: «هي أقدم من

النسخة الأولى على ما يظهر ، مجلدة بجلد أسود ، حجمها (١٩ × ١١) كتبت بقلم النسخ بمداد أسود إلا العناوين فانها بمداد أحمر ، ورقها حريري رقيق ، وعدد أوراقها سبعون ورقة ، في كل صفحة أربعة عشر سطراً ، وهي حسنة الخط والضبط وتختلف عن النسخة الأولى اختلافاً يسيراً في التقديم والتأخير والزيادة والنقص ، ولم يذكر في آخرها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ » وفاتحة هذه النسخة تختلف عن الأولى ، وهما مرتبتان على الأبواب ، وهما أصحّ المخطوطات ، ولكن في بقية النسخ زيادات ليست فيهما .

٦ — النسخة الباريزية المرموز إليها بحرف (ب)

المحفوظة بدار الكتب الأهلية بباريز تحت رقم (٦٠٣٤)

حصلنا على نسخة من هذه المخطوطة بالتصوير الشمسي ، عدد أوراقها أربع وأربعون ورقة في كل صفحة منها واحد وعشرون سطراً ، وقلمها قلم النسخ بمداد أسود ، وهي مرتبة على الأبواب ، وأغلاطها غير قليلة ، وما فيها من الشعر أقل مما في جميع النسخ ، فكأن الناسخ كان يتعمّد الحذف والإسقاط . يظهر أنها كتبت بالعراق لأن الناسخ لا يفرّق في كثير من الأحيان بين الضاد والظاء ، ونرجّح أن يكون موصلياً فقد جاء في آخر النسخة ما نصه :

« تمّ الكتاب بعون الله وكرمه ولطفه وامتنانه في شهر ربيع الأول يوم التاسع والعشرين مضى منه وقت الضحى يوم الجمعة المبارك وذلك في

سنة ألف وماية وثمانين من الهجرة وذلك على يد الفقير الحقير المقرّ بالذنب والتقصير الراجي رحمة الخبير تراب أقدام سيد المرسلين العمري ياسين ابن خيرالله العمري ابن محمود العمري ابن الشيخ موسى العمري ابن الحاج علي العمري ابن الحاج قاسم العمري غفر الله لهم آمين ، وقد نقلته من كتاب قد ذهبت كتابته قد أصابه ماء وقد خربت كتابته . والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه » .

٧ — النسخة الحجازية المرموز إليها بحرف (ح)

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤١٨)

هي نسخة حديثة مرتبة على الأبواب جاءت من المدينة المنورة وأضيفت إلى كتب الدار في حزيران سنة ١٨٨١ م ، عدد أوراقها اثنتان وخمسون ورقة من الورق الأصفر الحديث في كل صفحة واحد وعشرون سطراً ، حجمها (٢٣ × ١٦) قلمها أشبه بالفارسي ، ومدادها أسود إلا العناوين فانها بالمداد الأحمر ، تختلف عن بقية النسخ تقديماً وتأخيراً ، وغلطها غير قليل ، وورد في آخرها ما نصه « تمّ الديوان بعون الله الملك المنان عن نسخة بخط الحاج فتح الله البخاري في كتبخانة شيخ الاسلام عارف بك في المدينة المنورة مكتوبة سنة ١٢٩٧ » .

وفي خزانة كتب الجامع الأزهر صورة عن هذه النسخة رقمها (٤٨٢) كتبها ناسخها مصطفى بن محمد الشلشموني سنة ١٢٩٧ ، ووقفها على الأزهر ورثة سليمان باشا أباظه .

٨ — النسخة المصرية المرموز إليها بحرف (ص)

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤)

هي النسخة الوحيدة المرتّبة على الحروف لا على المعاني ، ويظهر أن هذا الترتيب من عمل بعض المتأخرين ، عمد إلى النسخة الحجازية فغيّر ترتيبها ، لأن الفروق بين النسختين يسيرة جداً كالتي تكون من سهو الناسخين فغلطهما يكاد يكون واحداً . عدد أوراقها أربع وستون ورقة ، وفي كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وقلمها قلم النسخ وحجمها (٢٣ × ١٦) وورقها أصفر . وقد جعل لما في الديوان من القصائد والمقطعات أرقام متتالية مع الاشارة إلى عدد أبياتها . وقد ورد في آخر النسخة ما نصه : « قد تمّ الديوان نقلاً حرفاً بحرف بعون الله الملك المنان على يد كاتبه الفقير إلى عفو ربه القدير مصطفى ابن الفقير محمد الشلشموني خادم الامام الحسين وذلك في يوم الخميس المبارك الموافق ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ من الهجرة النبوية » .

* * *

أما عملي في تحقيق الديوان فقد كنت أقرأ كل بيت في النسخ الثماني فأختار ما يبدو لي أنه أصح رواية ، وأذكر في ذيل الصفحات اختلاف الروايات في بقية النسخ . ولم يستقم لي أن أتخذ إحدى النسخ أماً للأسباب التي ذكرتها في أول هذا الفصل .

وقد رأيت بعض القصائد والمقطعات مقتسرة في أبوابها ، وهي لا

تخرج عن معنيين : الحنين إلى دمشق ، والدعابة ، فجعلتهما في بابين : دعوتُ الأول باب الحنين إلى دمشق ، — وكان أكثره مضافاً إلى باب الوقائع والمحاضرات — ودعوت الثاني باب الدعابة والتهكم والسخرية ، — وكان أكثره مضافاً إلى باب الهجاء ، وهما في رأيي أمتع ما في الديوان وأطرف ، وقلّ أن تجد ما يضارعهما في دواوين الشعراء .

وكان في آخر بعض النسخ باب يشتمل على خمسة عشر بيتاً عنوانه « باب الأبيات النحوية » ، فألحقته بباب الوقائع والمحاضرات بعد حذف المكرر منه (١) .

وقد بدّلت بعض الحروف في كلمات معدودات في باب الهجاء ، تماجن بها الشاعر فذكر العورات والمقاذر ، فحذفت شكلة الكاف وجعلتها لاماً ، كما جعلت الخاء حاء ، والراء دالاً ، تفادياً من الجهر بالسوء في بعض المواطن ، على أن البدل يدل على المبدل منه ويشير إليه .

وألحقت بالديوان تتمة سميتها « المستدرك من شعر ابن عنين » جمعت فيها ما عثرت عليه في بعض كتب التاريخ والأدب من شعره ، مما لم يرد في النسخ الثماني من الديوان .

دمشق : ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٥ — خليل مردم بك
١٩ آب سنة ١٩٤٦

* * *

(١) انظر الديوان ص ١٢٤

الكتب التي رجعنا إليها في تحقيق الديوان

وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي
معجم الأدباء لياقوت الرومي الحموي
مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي – (الجزء الثامن)
عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي
الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (مخطوط)
الأعلام لخير الدين الزركلي
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي
دائرة المعارف للبستاني
الفلاكة والمفلوكون للدلجي
الحوادث الجامعة لابن الفوطي
كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين لأبي شامة
البداية والنهاية لابن كثير

الكامل لابن الأثير (الجزء الثاني عشر)
أنساب الأشراف للبلاذري
مجلة المجمع العلمي العربي (المجلدان الثامن عشر والتاسع عشر)
السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي
الفهرست لابن النديم
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين الداودي الحسني
تنبيه الطالب وإرشاد الدارس للنعيمي (مخطوط)
ديوان امرئ القيس
ديوان الأعشى
ديوان حسان بن ثابت
ديوان كثيّر عزّة
ديوان أبي تمام الطائي
ديوان أبي الطيب المتنبي
ديوان ابن الساعاتي
ديوان ابن النبيه
الحماسة لأبي تمام الطائي
مختارات البارودي
معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي
تقويم البلدان لأبي الفدا

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة

معجم الكتاب المقدس

ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون الصالحي (مخطوط)

ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي

كشف الظنون لملا كاتب جلبي

قلائد العقيان للفتح بن خاقان

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي

الغيث المسجم في شرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدي

شرح مقصورة ابن دريد

تسهيل المجاز إلى فن المعمّى والألغاز للشيخ طاهر الجزائري

جوهر الكنز لنجم الدين أحمد بن الأثير (مخطوط)

سرح العينين في شرح عنين لنصر الهوريني (مخطوط)

الرد على الخطيب البغدادي للملك المعظّم

صبح الأعشى للقلقشندي (المجلدان الثالث والخامس)

كتاب الطبيخ لمحمد بن الكريم

يضاف إلى ذلك معاجم اللغة كتاج العروس وأقرب الموارد ومعجم دوزي وغيرها .

رموز النسخ المخطوطة من ديوان ابن عنين

ظ	نسخة دار الكتب الظاهرية
ك	نسخة كمبردج
ف	نسخة الصافي
م	النسخة الموصلية الأولى
مث	النسخة الموصلية الثانية
ب	النسخة الباريزية
ح	النسخة الحجازية
ص	النسخة المصرية

ديوان

ابن عنين

الباب الأول

في المديح

قال شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن عُنين يمدح الملك العادل[1] أبا بكر سيف الدين بن أيوب ويستأذنه في العودة إلى دمشق :

ماذا على طيفِ الأحبةِ لو سرى ... وعليهمُ لو سامحوني[2] بالكرى
جنحوا إلى قول الوُشاةِ فأعرضوا[3] ... والله يعلم أنَّ ذلك مُفترى
يا مُعرضاً عني بغيرِ جنايةٍ ... إلاَّ لِما رقش الحسودُ[4] وزوَّرا
هبني أسأتُ كما تقوَّلَ وافترى ... وأتيت في حبّيك أمراً[5] مُنكَرا
ما بعد بُعدك والصدودِ عقوبةٌ ... يا هاجري[6] قد آن لي أن تغفرا[7]

---

(١) أبو بكر محمد بن أيوب بن شادي الملقب بالملك العادل ، أخو السلطان صلاح الدين ، ولد بدمشق سنة ٥٤٠ وتوفي سنة ٦١٥ ودفن في مدرسته العادلية (دار المجمع العلمي العربي) . وترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٢/٢ .

(٢) أسعفوني (ظ) يسعفوني (م ، مث ، ب) .

(٣) وصدّقوا (ظ) وأعرضوا (ك ، ح ، ص) .

(٤) العدو (ظ ، م ، مث ، ب) والبيت كله لم يرد في (ح ، ص) . وفي معجم الأدباء لياقوت ١٢٢/٧ « إلا لما نقل العذول وزوّرا » .

(٥) ذنباً (ك) شيئاً (ح ، ص) .

(٦) يا قاتلي (ك ، ح ، ص) .

(٧) أن أعذرا (ظ) .

لا تجمعنَّ عليَّ عتبك والنوى ... حسبُ المحب عقوبةً أن يُهجَرا

عِبْ الصدود أخفُّ من عِبْ النوى ... لو كان لي في الحب أن أتخيَّرا

لو عاقبوني في الهوى بسوى النوى[(١)] ... لرجوتُهم وطمعتُ أن أتصبَّرا

فسقى دمشقَ وواديَيها[(٢)] والحمى ... متواصلُ الإرعادِ منفصمُ[(٣)] العُرى

حتى ترى[(٤)] وجهَ الرياضِ بعارضٍ ... أحوى وفَودَ الدوحِ أزهرَ نيِّرا[(٥)]

وأعاد أياماً مضينَ حميدةً ... مابين حَرَّةِ عالقينَ وعشْتَرا[(٦)]

تلك المنازلُ لا أعقَّةُ عالجٍ ... ورمالُ كاظمةٍ ولا وادي القُرى[(٧)]

(١) الجفا (ح ، ص) .

(٢) يريد بواديي دمشق : وادي بردى حيث يجري نهر بردى من منبعه قرب الزبداني إلى دمشق . والثاني الأرض المنخفضة من الغوطة المعروفة بين أهل الغوطة بأرض الوادي وأوله عنـــد مقسم الأحد عشرية وآخره في جسر الغيضة قرب قرية المنيحة ، ويجري فيه نهران منشعبان من بردى اسم النهر الأول الداعياني أو قناة الوتّارة ومقسمه في الصفوانية (الصوفانية) واسم الثاني المنيحي ومقسمه في الأحد عشرية .

(٣) منبجس (ح ، ص) وفي معجم الأدباء لياقوت ١٢٢/٧ « متواصل الارهام منفصم العرى » .

(٤) حتى بدا وجه الزمان بعارض (ح ، ص) .

(٥) في معجم الأدباء « أبيض أزهرا » .

(٦) الحَرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود . وعالقين : قرية بظاهر دمشق في الجنوب وبها توفي الملك العادل ولا تزال معروفة بهـــذا الاسم إلى الآن . وعشترا : موضع بحوران من أعمال دمشق كما في معجم البلدان . وقد ورد ذكرها في كتاب الروضتين لأبي شامة وأن نور الدين كان ينزلها ١٨٦/١ و ٢٠٧ . وهي الآن خربة تابعة للقنيطرة ينزلها البدو ولا تزال تعرف بهذا الاسم .

(٧) الأعقة : جمع عقيق والعقيق الوادي . وعالج : رمال بين فيد والقريات على —

أرضٌ إذا مرَّتْ بها ريحُ الصَّبا ... حملتْ على الأغصانِ مسكاً أذفرا

فارقتُها لا عن رضىً[(١)] وهجرتُها ... لا عن قِلىً[(٢)] ورحلتُ لا متخيِّرا

أسعى لرزقٍ في البلاد مفرَّقٍ[(٣)] ... ومن البليَّةِ[(٤)] أنْ يكونَ مقتَّرا

ولقد قطعتُ الأرضَ طوراً سالكاً ... نجداً وآونةً أجدُّ مُغوِّرا

وأصونُ وجهَ مدائحي متقنِّعاً ... وأكفُّ ذيلَ مطامعي متستِّرا

كم ليلةٍ كالبحر جبتُ ظلامَها ... عن واضحِ الصبحِ المنيرِ فأسفرا

في فتيةٍ مثلِ النجوم تسنَّموا ... في البيد أمثالَ الأهلَّةِ ضُمَّرا

باتوا على شُعَبِ الرحالِ جوانحاً ... والنومُ يفتلُ[(٥)] في الغواربِ والذُّرى

(مترنِّحين من النعاس كأنهم ... شربوا بكاساتِ الوجيفِ المسكرا)[(٦)]

قالوا وقد خاطَ النعاسُ جفونَهم ... أينَ المُناخُ فقلتُ جدُّوا في السُّرى

— طريق مكة . وكاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة . ووادي القرى : وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى من أعمال المدينة . وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه الأماكن والتغني بها . وفي معجم الأدباء لياقوت ١٢٢/٧ « لا ملاعب عالج » .

(١) قلى (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) رضى (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٣) مقسَّم (ح ، ص) وفي معجم الأدباء ١٢٢/٧ ووفيات الأعيان ٣٤/٢ « مشتت » .

(٤) المعجائب (ح ، ص) ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان .

(٥) يفتك (ك ، ح ، ص) وهو تصحيف فمن أمثالهم : « ما زال يفتل منه في الذروة والغارب » أي يدور من وراء خديعته .

(٦) لم يرد هذا البيت إلا في هامش (ظ) ولا وجود له في سائر النسخ .

لا تسأموا الإدلاج حتى تدركوا بيض الأيادي[١] والجناب الأخضرا

في ظل ميمون النقيبة[٢] طاهر الـ(م) أعراق منصور اللواء مظفرا

العادل الملك الذي أسماؤه في كل ناحية تشرف منبرا

وبكل أرض جنة من عدله الـ(م) ضافي أسال نداه فيها كوثرا

عدل يبيت الذئب منه[٣] على الطوى[٤] غرثان وهو يرى الغزال الأعفرا

ما في أبي بكر لمعتقد[٥] الهدى شك يريب بأنه خير الورى

سيف صقال المجد أخلص متنه وأبان طيب الأصل منه الجوهرا

ما مدحه بالمستعار له ولا آيات سؤدده حديث يفترى

بين الملوك الغابرين وبينه في الفضل ما بين الثريا والثرى

لا تسمعن حديث ملك غيره يروى فكل الصيد في جوف الفرا[٦]

نسخت خلائقه الكريمة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

ملك إذا خفت حلوم ذوي النهى في الروع[٧] زاد رزانة وتوقرا

---

(١) الأماني (ح ، ص) .

(٢) في ظل ميمون الجناب مطهر الـ أعراق ... ... (ح ، ص) .

(٣) فيه (ك ، ح ، ص) .

(٤) طوى (ح ، ص) .

(٥) لمعتد (ظ) .

(٦) ساقط من (ح ، ص) .

(٧) في الحرب (ظ) .

ثبت الجنان تراع من وثباته يوم الوغى وثباته أسد الشرى[١]

يقظ يكاد يقول عما في غد ببديهة أغنته أن يتفكرا

حلم تخف له الجبال وراءه عزم[٢] ورأي يحقر الإسكندرا

يعفو عن الذنب العظيم تكرماً ويصد عن قول الخنا متكبرا

أينال حاسده علاه بسعيه هيهات لو ركب البراق لقصرا

وله البنون بكل أرض منهم ملك يقود إلى الأعادي عسكرا

من كل وضاح الجبين تخاله بدراً فإن شهد الوغى فغضنفرا

يعشو إلى نار الوغى شغفاً بها ويجل أن يعشو إلى نار القرى

متقدم حتى إذا النقع انجلى بالبيض عن سبي الحريم تأخرا

قوم زكوا أصلاً وطابوا مخبراً[٣] وتدفقوا جوداً وراعوا منظرا

وتعاف خيلهم الورود بمنهل ما لم يكن بدم الوقائع[٤] أحمرا

كم حادث خفت حلوم ذوي النهى خوفاً وجأشك فيه أربط[٥] من حرا

---

(١) ثبت الجنان تراع من وثباته وثباته يوم اللقا أسد الشرى (م ، مث ، ب) .

" " " " " " الوغى " " (ح ، ص) .

" " " " " يوم اللقا في الحرب آساد الشرى (ظ) .

(٢) رأي وعزم (ك ، ج ، ص) ، عزم ورأي حقر (م ، مث ، ب) .

(٣) قوماً زكوا أصلاً وطابوا محتداً (ح ، ص) .

(٤) بدم الفوارس (ح ، ص) .

(٥) أثبت (ك) أربض (ح ، ص) وحراء : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال منها .

يا أيها الملك الذي ما في فضا (م) ئله وسؤدّده ومحتِده[1] مِرا

أنت الذي افتخر الزمانُ بجوده … ووجوده وكفاه ذلك مفخرا[2]

الله خصّك بالممالك[3] واجتبى … لمّا رآك لها الصلاح الأكبرا

أشكو إليك نوىً تمادى عمرُها … حتى حسبتُ اليومَ منها أشهُرا

لا عيشتي تصفو ولا رسمُ الهوى … يعفو ولا جفني يصافحُه الكرى

أضحي عن الأحوى المربع مُحلاً[4] … وأبيتُ عن وِرْدِ النمير منفّرا

ومن العجائب أنْ تفيأ ظلكم[5] … كلُّ الورى ونُبذتُ وحدي بالعرا

ولقد سئمتُ من القريض ونظمه … ما حيلتي ببضاعةٍ لا تُشترى

كسدتْ فلما قمتُ ممتدحاً بها … ملكَ الملوكِ غدوتُ أربحَ متجرا

فلأشكرنّ حوادثاً قذفت بآ (م) مالي إليك وحقها أنْ تُشكرا

لا زلت ممدود البقا حتى ترى … عيسى بعيسى في الورى[6] مستنصرا

(١) ومحبره (ظ) ... وسؤدده حديث يفترى (ح، ص).

(٢) وكفاه مجدك مفخرا (ك، ح، ص) وكفى بذلك ... (ظ).

(٣) بالمكارم (ظ، م، مث، ب).

(٤) أضحي عن الربع المربع محولا. معجم الأدباء ١٢٣/٧

(٥) ومن العجائب أن يقيل بظلكم. معجم الأدباء ١٢٣/٧ ووفيات الأعيان ٣٤/٢.

(٦) في الوغى (ك، ح، ص). عيسى: المسيح عليه السلام، وعيسى الثاني: الملك المعظم بن الملك العادل؛ أي لا زلت باقياً حتى ترى نزول المسيح في آخر الزمان وترى ابنك وقد أبلى معه البلاء الحسن.

وقال يمدح الملك[1] الأشرف موسى بن الملك العادل:

جعلَ العتابَ إلى الصدود توصُّلا[2] … ريمٌ رمى فأصاب مني المقتلا

أغراه بي واشٍ تقوّلَ كاذباً … فأطاعه وعصيتُ فيه العُذّلا

ورأى اصطباري عن هواه فظنّه … مللاً وكان تقيةً وتجمّلا[3]

هيهات أنْ يمحو هواه الدهرُ من[4] … قلبي ولو كانت قطيعتُه قلى

ما عمّه بالحسن عنبرُ خاله … إلا ليصبح[5] بالسواد مجمّلا[6]

صافي أديم الوجه[7] ماخطّت يد الـ (م) أيام في خدّيه سطراً مشكلا

كلٌّ مقرٌّ بالجمال له فما … يحتاج حاكم حسنه أن يُسجلا[8]

يفترُّ عن مثل الأقاح كأنما … علّتْ مناشبه رحيقاً سلسلا

تَرِفٌ تخال بنانَه في كفّه … قُضُبَ[9] اللُّجين ولا أقول الإسحلا

ما أرسلتْ قوسُ الحواجب أسهماً … من لحظه إلا أصابتْ مقتلا

(١) وُلد الملك الأشرف موسى بن الملك العادل سنة ٥٧٨ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥ وترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨١/٢.

(٢) توسلا (ظ).

(٣) تحملا (ظ، ح، ص).

(٤) عن (ظ، م، مث، ب).

(٥) ليضحي (ك).

(٦) محمّلا (ظ).

(٧) الحسن (ظ، م، مث، ب).

(٨) أسجَل وسجّل: كتب السجل وحكم.

(٩) قصب (ك).

فكأنّ طرّته وضوء جبينه | وضح الصباح يقلّ(١) ليلاً أليلا
عاطيته صهباء كأنّ كأسها | حبب المزاج بلؤلؤٍ ما فُصّلا
تبدو بكفّ مديرها أنوارها | فتعيد كافور الأنامل صندلا
في روضةٍ بالنيربين(٢) أريضةٍ | رضعت أفاويق السحائب حفّلا
أنّى اتجهت رأيت ماءً سائحاً(٣) | متدفقاً أو يانعاً متهدّلا(٤)
فكأنما(٥) أطيارها وغصونها | نغم القيان على عرائس تُجتلى
وكأنما الجوزاء ألقت زُهرها(٦) | فيها وأرسلت المجرّة جدولا
وعرُ معتلّ النسيم بروضها | فتخال عطّاراً يُحرّق مندلا
فكأنها(٧) استسقت على ظمأ ندى | موسى فأرسل عارضاً متهللا
ولربّ لائمةٍ عليّ حريصةٍ | باتت وقد جمعت عليّ العُذّلا

(١) يقل (ظ) أقلّ (ك، ح، س).
(٢) قال ياقوت في معجم البلدان: «النيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين أنزه موضع رأيته ... وقد ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة ابن حمدان وسماها النيربين ...» انتهى. وهي الآن من أقسام الصالحية والمتعارف بين الناس اليوم أن النيرب هو القسم الغربي من الصالحية وبعده أرض الربوة، وكلمة نيرب سريانية معناها الوادي.
(٣) سارحاً (ظ، م، مث، ب).
(٤) متهللا (ظ، ك، م، مث، ب).
(٥) وكأنما (ك، ح، س).
(٦) نورها (ظ) نهرها (ك، م، مث، ب).
(٧) فكأنما (ظ، ح، س).

قالت أما تخشى الزمان وصرفه | وتَقلّ(١) من إتلاف مالك قلت: لا
أأخاف من فقر وجود الأشرف الـ | (م) سلطان في الآفاق قد ملأ الملا
الواهب الأمصار محتقراً لها | إنْ غيره وهب الهجان البُزّلا
ما زار مغناه فقيرٌ سائلٌ | فيعود حتى يُستماح ويُسألا(٢)
ملك غدا جيدُ الزمان بجوده | حالٍ(٣) ولولاه لكان معطّلا
يا أيها الملكُ الذي إنعامه | لم يُبق في الدنيا فقيراً مُرملا
لقد اتقيت الله حقّ تُقاته | ونهجت للناس الطريق الأمثلا
وعدلت حتى لم تجد متظلماً | وأخفت حتى صاحب الذئب الطلا
ورفعت للدين الحنيف مناره | فعلا وكنت بنصره متكفلا
لولاك لانفصمت(٤) عرى الإسلام في | مصرٍ وأخمل ذكره وتبدّلا
وتحكّمت فيها الفرنج وغادرت | أعلاجها محراب عمرٍو هيكلا
حاشا لدينٍ أنت فيه مُظفّرٌ | أنْ يُستباح حماه أو أنْ يُخذلا
أنت الذي أجليت عن حلب العدى | وحميت بالسُّمر اللدان الموصلا

(١) فتقلّ (م، مث، ب).
(٢) ورد هذا البيت قبل سابقه في (ظ، م، مث، ب).
(٣) هذا مثل قول أبي تمام الطائي:
«ثانيه في كبد السماء ولم يكن | لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار»
واحتالوا له بقول الفراء: «إنها لغة عند العرب أن تأتي بالمنصوب في لفظ المخفوض».
(٤) لانتقضت (ك).

كم موقف ضنك فرجت مضيقه   وطريقه لخفائه قد أشكلا
كم يوم هول قد وردت وطعمه   مر المذاق كريه نار المصطلى
ونثرت بالبيض المهندة الطلى   ونظمت بالسمر المثقفة الكلى
فالله يخرق في بقائك عادة الد(م)   نيا ويعطيك البقاء الأطولا

وقال أيضاً يمدحه:

لو لم يخالط يوم بينك أدمعي   فاني دمي ما كنت إلا مدعي
قد صح عندك شاهد من عبرتي (١)   فسل الدجى ونجومه عن مضجعي
عاقبتني بجناية (٢) لم أجنها   ظلماً وكم من حاصد لم يزرع
ومنعت طيفك من زيارة عاشق   حاولت مهجته فلم يتمنع
وأمالك الواشي ولولا غرة   كان الصبي سبباً لها لم تخدع (٣)
جمعت أثقال الصدود إلى النوى   فوق الملام إلى فؤاد موجع
يا راحلاً والقلب بين رحاله   يقتاده (٤) حفظاً لعهد مضيع
هلا وقفت على محبك حافظاً   عهد الهوى فيه وقوف مودع
كيف السبيل إلى السلو ولم تُعد   عقلي عليّ (٥) ولم تدع قلبي معي

(١) قد صح عندك من عيون جريها ... «كما في مجموعة شعرية مخطوطة عند الشيخ محمد أحمد دهمان».
(٢) عاقبتني بذنوب ما لم آته (ظ، ك، م، مث، ب).
(٣) لم يخدع (ح، ص).
(٤) يقتاده حفظاً لحفظ مضيع (ظ، م، مث، ب).
(٥) لِيَ (ح، ص).

فسقى زماناً مر لي بطُوَيلع (١)   صوب (٢) الحيا وسقى عراص طُوَيلع
فلأصبرن على الزمان وجوره   صبر امرئ متجمل لم يخضع
ولألبسن من التجلد نثرة   حصداء تهزأ من سوابغ تبع
ولأشكرن حوادثاً قذفت بآ(م)   مالي إلى الملك الهمام الأروع
فضفا (٣) علي ظلال أبلج ماجد   ضافي لباس المجد صافي المشرع
ورأيت أحسن منظر وخبرت أطـ(م)   يب مخبر وحللت أرفع (٤) موضع
في ظل وضاح الجبين سميذع   من نسل وضاح الجبين سميذع
الأشرف الملك الذي بذل الندى   من كفه طبع بغير تطبع
ملك له يوم الهياج مواقف   مشهورة (٥) لا يدعيها مدعي
متبسم في كل يوم عابس   متوضح في كل خطب أسفع
يروي (٦) حرار السمهري بكفه   يوم الوغى من قلب كل مدرع
سيان عند يمينه وحسامه   في الحرب هامة حاسر ومقنع
ولطالما حطم الوشيج بكفه   من بعد حشو الدرع بين الأضلع
ملك متى (٧) استسقيت بحر يمينه   جادت عليك بديمة لم تقلع

(١) طويلع: اسم لعدة مواضع في بلاد العرب.
(٢) سيل (ك، ح، ص).
(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الأحسن: فضفت. إلا أن تكون ظلال بفتح الظاء.
(٤) أكرم (ح، ص).
(٥) مشهودة لا يدعيها المدعي (م، مث، ب).
(٦) تُروى (م، مث، ب).
(٧) إذا (ح، ص).

حسنتْ مواقعُها وكم من دعةٍ جهلتْ فجادتْ في سباخٍ[1] بلقعِ
ولطالما غنّي الوغى بثلاثةٍ في ظهرِ[2] منسوبٍ يطير بأربعِ
بأصمَّ معتدلٍ وأبيضَ صارمٍ وجَنانِ مضّاءِ العزيم مشيّعِ
كم موقفٍ ضنكٍ فلولا صبرُه فيه لوقعِ البيض لم يتوسّعِ
من معشرٍ شرعوا السّماحَ وأرشدوا فيه العُفاةَ إلى طريقٍ مَهيعِ
وافيتُه والسيلُ قد بلغ الزُّبى[3] عندي وورْدُ العمر رنق[4] المشرعِ
فبلغتُ من نعماه ما لا ينتهي أملي ولم يطمحْ إليه مطمعي
ونهى الحوادثَ أنْ تُلمَّ بمنزلي وصروفَ دهري أن تطوفَ بمربعي[5]
متبرعٌ بالجود قبل سؤاله والجودُ جود البادئ[6] المتبرّعِ
فغدوتُ أُنشد جودَه متمثّلاً ونوالُه مثل السيول الدُّفّعِ
«ولقد دعوتُ نَدى الكرام[7] فلم يجبْ فلأشكرنّ ندىً أجاب وما دعي»

وقال يمدحه:

قسماً بمن[8] ضمّتْ أباطحُ مكةٍ وبمن حواهُ من الحجيج الموقفُ

(١) سباخ البلقع (م، مث، ب).
(٢) متن (ح، ص) بطن ؟ (ك).
(٣) الربى (ظ، م، مث، ب).
(٤) صافي ؟ (ك).
(٥) بأربعي (ك) أن يطفن بأربعي (ح، ص).
(٦) الباذل ؟ (ك).
(٧) ندى سواك (ح، ص) والبيت لابن حيوس كما في مختارات البارودي ٢/٤٢٥ وروايته هناك «إني دعوت ندى الكرام فلم يجب ....»
(٨) بما (ك، ح، ص) وكذلك في السلوك للمقريزي ١/٢١٢.

لو لم يقم موسى بنصر محمدٍ لعلا[1] على درج الخطيب الأسقفُ
لولاه ما ذلّ الصليبُ وأهلهُ في ثغرِ دمياطٍ وعزّ المصحفُ[2]

وقال يمدح الملك[3] المعظّم عيسى بن الملك العادل[4]:

أشاقكَ من عُليا دمشقَ قصورُها وولدانُ روضِ[5] النَّيربين وحورُها
ومنبجسٌ في ظلّ أحوى[6] كأنه ثيابُ عروسٍ فاحَ[7] منها عبيرُها

(١) لرقى ... السلوك للمقريزي ١/٢١٢.
(٢) في هامش (ظ) ما نصه: «ومما نسب إليه:

لذة العيش والأفراح أوقاتٌ فانشرْ لواءً له بالنصر عاداتٌ
أمام جيشك أنى سار أربعةٌ نصلٌ ونصرٌ وآراءٌ ورايات
دمياط طور ونار الحرب موقدة وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألقِ العصا تلقف كل ما صنعوا ولا تخف ما حبال القوم حيات»

وهذه الأبيات ليست لابن عنين بل هي من قصيدة طويلة لابن النبيه يمدح بها الملك الأشرف. (انظر ديوان ابن النبيه ص ٦٦).
(٣) الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ولد سنة ٥٧٦ وكان مع علو همته عالماً بالعربية والفقه توفي بدمشق سنة ٦٢٤ ودفن بمدرسته المعظمية في الصالحية وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٥٠١.
(٤) هذه القصيدة ساقطة برمتها من (ك).
(٥) أرض (ح، ص) وكذا في ابن خلكان ١/١٥٣ وفي مجموعة مخطوطة قديمة في دار الكتب الظاهرية. وانظر ما كتب عن النيربين في الحاشية رقم (٢) من ص (١٠).
(٦) كرم (ح، ص).
(٧) فاح فيها (م، مث، ب) صاك منها (ح، ص) صاك فيها (مجموعة مخطوطة ..)

منازلُ أُنسٍ ما أمحتْ ولا أمّحت[١] بمرّ الغوادي والسواري سطورُها
كأنّ عليها عبقريّ مطارف من الوشي يُسديها الحيا ويُنيرُها
تزيد على الأيام نوراً وبهجةً وتذوي الليالي وهي غضٌّ حبيرُها
إذا الريح مرّتْ في رباها كريهةً[٢] حباها بطيبِ النشرِ فيها مرورُها
سقى الله دوحَ الغوطتين ولا ارتوى من الموصلِ الحدباءِ إلا قبورُها[٣]
فيا صاحبي نجواي بالله خبّرا رهينَ صباباتٍ عسيرٌ يسيرُها[٤]
أمن مرحٍ مادتْ قدودُ غصونها بهجتها أم أطربتها طيورُها
خليليّ إنّ البينَ[٥] أفنى مدامعي فهل لكما من عبرةٍ أستعيرُها

(١) أمحتْ : عفتْ . امّحى الشيء : ذهب أثره .
(٢) كريعةً (ظ) .
(٣) الغوطة : بساتين دمشق ومزارعها المحيطة بها ، وتطلق اليوم على بساتين دمشق ومزارعها الشرقية ، وكثيراً ما وردت في الشعر بصيغة التثنية كما في هـذا البيت ، ولعلهم يريدون بذلك البساتين الشرقية والبساتين الغربية فسموا كلاً منهما غوطة . قال ياقوت في معجم البلدان : « الغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة ... وهي بالاجماع أنزهُ بلاد الله وأحسنها منظراً » أما دعاؤه لقبور الموصل فقد قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٥٣/١ « حكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي قال : سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين عن معنى قوله : سقى الله دوح الغوطتين ... لم حرمها وخصّ قبورها فقال : لأجل أبي تمام » . وذلك لأن أبا تمام الطائي مدفون في الموصل ولا يزال قبره معروفاً إلى اليوم .
(٤) ورد هذا البيت في (ح ، ص) ناقصاً هكذا :
فيا صاحبي نجواي يوم سويقة سألتكما
(٥) الدمع (ظ) .

لقد أُنسيتْ نفسي المسراتِ بعدكم فإنْ عادَ عيدُ الوصلِ عادَ سرورُها
على أنّ لي تحت الجوانحِ غلّةً[١] إذا جادها دمعٌ تلظّى سعيرُها
وقاسمتماني أنْ تُعينا على النوى[٢] إذا نزواتُ البينِ سار سؤورُها[٣]
ففيمَ تماديكم وقد جدَّ جدُّها (كما تريان)[٤] واستمرَّ مريرُها
وأصعبُ ما يلقى المحبُّ من الهوى تداني[٥] النوى من خُلّةٍ لا يزورُها
فياليت شعري الآن - دع ذكر ما مضى - أوائلُ أيامِ النوى أم أخيرُها
متى أنا في ركبٍ يؤمُّ بنا الحمى خفافٌ ثقالٌ بالأماني ظهورُها
حروفٌ بأفعالٍ لهنَّ نواصبٌ إذا آنستْ خفضاً فرفعٌ مسيرُها
تطنُّ ذُرى لبنانَ والليلُ عاكفٌ صديعَ صباحٍ من سُراها يُجيرُها[٦]
وقد خلّفتْ رعنَ (المداخل)[٧] خلفَها ونكّبَ عنها من[٨] يمين سَنيرُها

(١) أنّة (ح ، ص) .
(٢) الهوى (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٣) ساءت سؤورها (ح ، ص) .
(٤) في جميع النسخ (كما تراه) وهو تصحيف لما أثبتناه .
(٥) تمادي (ظ) .
(٦) يعيرها (م ، مث ، ب) .
(٧) المدخن (ظ) المدجن (م ، مث ، ب) المدجج (ح ، ص) ونرجح أنها تصحيف المداخل والمداخل هضب يشرف على جبل الريّان كما في معجم البلدان . وقد ورد في شعر ابن عنين ذكر جبل الريّان غير مرة وهو بالبلقاء .
(٨) في (ظ ، م ، مث ، ب) وسنير : جبال دمشق المقابلة للبنان منها جبل الثلج (حرمون) وجبل القلمون . قال البحتري :
وتعمدتُ أن تظلّ ركابي بين لبنانَ طلّعاً والسنير —

فيفرحَ محزونٌ ويكبتَ حاسدٌ ... وتبردَ أكبادٌ ذكيٌّ سعيرُها

وقد ماتت الآمالُ عندي وإنما ... إلى شرفِ الدين المليك نشورُها

مليكٌ تحلى[1] الملكُ منه بعزمةٍ ... بها طال مِن[2] رمح السماك قصيرُها

يلاقي بني الآمال طلقاً فبشره[3] ... بما أمّلته من نجاحٍ بشيرُها

فما نعمةٌ[4] مشكورةٌ لا يبثها ... وما سيرةٌ محمودةٌ لا يسيرُها

همامٌ تظلُّ الشمسُ من عزماته ... محجبةً نقعُ المذاكي ستورُها

مهيبٌ فلو لاقى الكواكبَ عابساً ... تساقطت الجوزا وخرّت[5] عبورُها

ولو آنستْ منه الأهلةُ غضبةً ... نهاها سطاه أنْ تتمَّ بدورُها

تشرّفَ أندى السحب إنْ قال قائلٌ ... لأدنى[6] نوالٍ منه هذا نظيرُها

حلفتُ بما ضمتْ أباطحُ مكةٍ ... غداةَ منى والبُدْنُ تُدمى نحورُها

لقد فازَ بالملكِ المعظّمِ أمةٌ ... إلى عدله المشهورِ رُدّتْ أمورُها

مشرفات على دمشق وقد أعـ م رض منها بياض تلك القصور

انظر معجم البلدان ومعجم الكتاب المقدس . وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة ص ٢٠١ ما نصه : (جبل السنير : هو جبل الثلج وفي ذيله مرج عيون) . وفي تقويم البلدان لأبي الفدا ص ٦٨ ما نصه : (جبل الثلج يسمى إذا صار في شمالي دمشق جبل سنير ، وجانبه المطل على دمشق قاسيون) .

(١) تحلى (م ، مث ، ب) .

(٢) عن (ح ، ص) .

(٣) فوجهه (ح ، ص) .

(٤) نعم (ح ، ص) .

(٥) وخرّ (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٦) لأدنى (ح ، ص) .

وقال يمدحه :[1]

عسى البارقُ الشاميُّ[2] يهمي سحابُهُ ... فتخضلَّ[3] أثباجُ الحمى ورحابُهُ

وتسري الصبا في جانبيه عليلةً ... كما فُتقتْ من حضرميٍّ عيابُه

خليليَّ مالي بالجزيرة لا أرى ... للمياء طيفاً يزدهيني عتابُه

فيا من لراجٍ[4] أنْ تبيتَ مغذّةً ... ببيداءَ دونَ الماطرون[5] ركابُه

إذا جبلُ[6] الريّان لاحتْ قبابه ... لعيني ولاحتْ[7] من سنيرٍ[8] هضابُه

وهبّتْ لنا ريحٌ أتتنا من الحمى ... تحدّثُ عمّا حمّلتْها قبابُه

وقامتْ جبالُ الثلج[9] زُهراً كأنها ... بقيةُ شيبٍ قد تلاشى[10] خضابُه

(١) من مطلع هذه القصيدة إلى البيت الثامن ساقط من (ك) .

(٢) النجدي (مث ، ح ، ص) وهو خطأ لأن المواضع التي يتشوق إليها في هذه القصيدة كلها في الشام .

(٣) فيخضلّ (م ، مث ، ب) فتخضرّ (ح ، ص) .

(٤) لناجٍ (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .

(٥) الماطرون : موضع بالشام قرب دمشق .

(٦) جبل الريّان بالبلقاء ومنه يجري نهر اليرموك ويصب في بحيرة طبرية (عن نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ص ٢٢ و ١١٥) وقال في ص ٢٠٠ « قلعة صرخد على جبل بني هلال ويسمى هذا الجبل الريّان لكثرة انصباب الماء منه » .

(٧) وبانت (ح ، ص) .

(٨) انظر ما كتب على سنير في الحاشية رقم (٨) ص ١٧ .

(٩) جبال الثلج : ما يسمى اليوم بجبل الشيخ وهو جبل حرمون وسنير .

(١٠) تدانى (ظ ، م ، مث ، ب) .

ولاحتْ قصورُ الغوطتين(١) كأنها سفائنُ في بحرٍ يعبُّ عُبابُهُ(٢)
وأعرضَ نسرُ المصلّى غديّةً(٣) كما انجابَ عن ضوءِ النهار(٤) ضبابُهُ
لثمتُ الثرى مستشفياً بترابه ومَن لي(٥) بأنْ يشفي غليلي ترابُهُ
ومستخبرٍ عنّا(٦) وما من جهالةٍ كشفتُ الغطا عنه فزال ارتيابُهُ
وأذكرتُه أيامَ دمياطَ بيننا وبين العدى والموتُ تهوي عُقابُهُ(٧)
وجيشاً(٨) خلطناه رحابٌ(٩) صدورُهُ بجيشٍ من الأعداءِ غُلبٍ(١٠) رقابُهُ
وقد شرقتْ زرقُ الأسنّةِ بالدما وأنكرَ حدَّ المشرفيِّ قرابُهُ(١١)
وعرَّدَ إلاّ كلُّ ذمرٍ مغامسٍ ونكّبَ إلاّ كلَّ زاكٍ نصابُهُ
تركناهمُ في البحرِ والبرِّ لُحمةً(١٢) تقاسمهم حيتانُهُ وذئابُهُ

(١) انظر ما كتب على الغوطتين في الحاشية رقم (٣) ص ١٦ .
(٢) سفائن بحر لا يعبُّ عبابه (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٣) وأعرض لي نسرُ المصلى عشيةً (ظ) .
« « نصر « (م ، مث ، ب) وهو تصحيف نسر والمراد بنسر المصلى قبة الجامع الأموي المعروفة بقبة النسر .
(٤) الصباح (ح ، ص) .
(٥) « وهيهات أن يشفي ... » (ظ ، ك ، م ، مث ، ب) .
(٦) عني (ح ، ص) .
(٧) « وذكرته ... ... والموت يُحرق نابه » (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) وجيش (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٩) رحاباً (ك) .
(١٠) غُلاتٌ (ك) .
(١١) ورد هذا البيت قبل سابقه في (ك ، ح ، ص) .
(١٢) تركناهم في البر والبحر لحمة (ظ) تركناهم في برزخ البحر لحمة (ك ، ح ، ص) .

ويوماً(١) على القيمون(١) ماجتْ متونُهُ بزرقٍ أعاديه وغصّتْ شعابُهُ
أثرنا على الوادي رؤوساً أعزّةً لكلِّ أخي بأسٍ منيعٍ جنابُهُ
وردنا ملوكَ الأرضِ بالبيضِ والقنا فذلَّ لنا من كلِّ قطرٍ صعابُهُ
فكم(٢) أمردٍ خطَّ الحسامُ عذارَهُ وكم أشيبٍ كان النجيعُ خضابُهُ
وكم قد نزلنا(٣) ثغرَ قومٍ أعزّةٍ فلم نرتحلْ حتى تداعى(٤) خرابُهُ
وكم يومِ هولٍ ضاقَ فيه مجالُنا صبرنا له والموتُ يُحرقُ نابُهُ(٥)
يسيرُ بنا تحتَ اللواءِ ممدَّحٌ(٦) كريمُ السجايا طاهراتٌ ثيابُهُ
نجيبٌ كصدرِ السمهريِّ منجَّبٌ ا(م) سرايا(٧) كريمُ الطبعِ صافٍ لُبابُهُ
من القومِ وضّاحُ الأسرّةِ ماجدٌ إلى آلِ أيوبَ الكرامِ انتسابُهُ
ففرَّجَ(٨) ضيقَ القومِ عنّا طعانُهُ وشتّتَ شملَ الكفرِ عنّا ضرابُهُ
وأصبحَ وجهُ الدينِ بعدَ عبوسهِ طليقاً ولولاهُ لطالَ اكتئابُهُ
جهادٌ لوجهِ اللهِ في نصرِ دينهِ وفي طاعةِ اللهِ العزيزِ(٩) احتسابُهُ

(١) القيمون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين « ويوم على القيمون » (ح ، ص) « ويوم على الفيوم » (م ، مث ، ب) .
(٢) وكم (ظ) .
(٣) تركنا (ك) .
(٤) تدانى (ظ) .
(٥) والموت تهوي عقابه (ظ ، م ، مث ، ب) والبيت كله ساقط من (ح ، ص) .
(٦) مملّك (ح ، ص) .
(٧) السجايا (ح ، ص) .
(٨) ففرّق (ك ، ح ، ص) .
(٩) الكريم (ح ، ص) .

حميت حمى الإسلام فالدين آمنٌ   تُذاد أقاصيه ويُخشى جنابُه

وما بغيتي إلاّ بقاؤك سالماً   لذا[١] الدين لا مال[٢] جزيل ثوابُه

وقال يمدحه وسيَّرها إليه من نيسابور :

ما سرُّ سكانِ الحمى بمُذاعِ   عندي ولا عهدُ الهوى بمضاعِ

أين الحمى مني سقى اللهُ الحمى   ربّاً وكان له الحفيظ الراعي

ومنازلاً[٣] بين البقاع وراهطٍ   أكرمْ بها من أربُعٍ[٤] وبقاعِ

تلك المنازلُ لا منازلُ أنهجتْ   بين الكثيب الفردِ والأجراعِ

كم بات يُلهيني[٥] بها مصنوعةُ الـ(م) ألحان أو مطبوعةُ الأسجاعِ

إنسيةٌ بيضاء أو أيكيةٌ   ورقاء عاكفةٌ على التَّرجاعِ

كلاهما ضاقتْ عن إجالة مِرْوَدٍ   وجراحُها في القلب جدُّ وِساعِ

ومدامةٍ لم يُبقِ طولُ ثوائها   في خدرها إلاّ وميضَ شُعاعِ

من كفِّ مصقولِ العوارضِ آنسٍ[٦]   يرنو بمقلة جؤذرٍ مُرتاعِ

وقفتْ عقاربُ صُدغه في خده   حيرى وباتتْ في القلوب سواعي

(١) كذا (ك).

(٢) لا مالاً جزيلاً (م ، مث ، ب).

(٣) ومنازل (ظ ، ك ، ح ، ص) والبقاع : أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة . وراهط : موضع شرقي غوطة دمشق بعد مرج عذراء (عن معجم البلدان).

(٤) منزل (ظ ، م ، مث ، ب).

(٥) تلهيني (م ، مث ، ب).

(٦) أسمر (ظ).

راضتْ خلائقَه العُقارُ وبدّلتْ   نزقَ الصبي بموقّرٍ مطْواعِ

في روضةٍ نسجتْ وشائعَ بُرْدِها   كفُّ السَّحابِ وأيُّ كفِّ صَناعِ[١]

حاكتْ بها[٢] الجوزاءُ عِقدَ نطاقِها[٣]   فتباشرتْ بالخصبِ والإمراعِ

وعلا زئيرُ[٤] الليثِ في عرصاتها   ما بين طرفٍ وأكفٍّ وذراعِ[٥]

وتدافعتْ تلك التلاعُ فأتأقتْ   غُدرانَها بأتيِّ ذي دُفّاعِ

فكأنما الملكُ المعظَّمُ جادَها   بنوالِه المتدفقِ[٦] المُنْباعِ

الخائضُ الغمراتِ في رهجِ[٧] الوغى   والحربُ حاسرةٌ بغيرِ قناعِ

والقومُ بين مُردَّعٍ[٨] بدمائه   ومعرَّدٍ بذَمائه مُنْصاعِ

في[٩] موقفٍ ضنكٍ كريهٍ طعمُه   حُبِسَ الفوارسُ منه في جعجاعِ

بمطهَّمٍ نهدٍ كأنَّ مرورَه   سيلٌ تدافعَ[١٠] من متونِ تلاعِ

(١) في روضة رقمتْ وشائعَ بردها   كف الخضيب وأي كف صناع (ح ، ص) والكف الخضيب نجم ، وفي (ك) كف الخضيب .

(٢) به (ظ ، م ، مث ، ب).

(٣) نظامها (ح ، ص).

(٤) زبير (ب).

(٥) الذراع : هنا منزل للقمر ينزله في الليلة السابعة من الشهر وهي ذراع الأسد .

(٦) المتدفع (ح ، ص).

(٧) نهج (ظ ، م ، مث ، ب).

(٨) مدرّع (ك ، مث ، ح ، ص).

(٩) كم (ح ، ص) والجعجاع : الموضع الضيق الخشن ومعركة الحرب .

(١٠) يدافع (ك).

أو لَقوةٍ شغواءَ (١) حقّق طرفُها   من رأسِ مرقبةٍ طَلاً في قاعِ
ومهنّدٍ يبدو (٢) على صفحاته   رقراقُ ماءٍ فوق نَملٍ ساعِ
ومثقّفٍ إنْ رام مهجةَ فارسٍ   لم تَحمِها موضونةُ (٣) الأدراعِ
فكأنَّ مُحكمةَ السوابغِ عنده   من نسج خرقاءِ اليدين لَكاعِ (٤)
بجَنانِ مضّاءِ العزائمِ رأيُه   في الحربِ (٥) غيرُ القائلِ الضَّعضاعِ
وكأنما يختالُ في غمراتها (٦)   والنقعُ قد ستر الدُّجى (٧) بلِفاعِ
ليثُ الشرى في متنِ أجدلَ كاسرٍ (٨)   يسطو بصلٍّ في ثيابِ شجاعِ (٩)
ملكٌ فواضلُ جودهِ مبثوثةٌ   في الأرض تسألُ (١٠) عن ذوي الإدقاعِ

(١) شعواء (ظ ، ك ، ح ، ص) واللقوة الشغواء : العقاب الأنثى لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل .
(٢) تبدو (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٣) موصوفة (م ، مث) .
(٤) وكأن محكمة ... (ك) من نسج خرقاء اليدين صناع (ح ، ص) من أصح خزاء وزين لكاع ؟ (م) من نسج خز في بنان لكاع (مث) من نسج خراز وابن لكاع ؟ (ب) .
(٥) في الخطب (ك) في الحرب أخير نائل الضعضاع ؟ (م) في الحرب أخبر من نهى الضعضاع ؟ (مث) في الحرب خير أيل الضعضاع ؟ (ب) والضعضاع : الرجل بلا رأي ولا حزم .
(٦) فكأنما يختال في غمراته . (ظ) .
(٧) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب الضحى أو ما في معناه .
(٨) قاره (ح ، ص) .
(٩) سطر تفصل في ثياب شجاع ؟ (م ، مث) سطو لفصل في ثياب شجاع (ب) .
(١٠) أوصل (م) تفضل (مث) أفصل (ب) .

خُلقتْ أناملُه لحطم مُثقّفٍ   والفلّ (١) هنديٌّ وحفظ يَراعِ
ما رايةٌ رُفعتْ (٢) لأبعدِ غايةٍ   إلا تلقّاها بأطولِ باعِ
ملأتْ مساعيه الزمانَ فدهرُه   يومانِ يومُ قِرىً ويومُ قِراعِ
وشأتْ أياديه الغيوثَ لأنها   تبقى وتلك سريعةُ الإقلاعِ (٣)
وله إذا افتخر الملوكُ مفاخرٌ   لا تُعتلى بأبُوّةٍ ومَساعِ
ما أُوقدتْ نارُ الكرامِ بوهدةٍ   في المحلِ إلا شبَّها بيَفاعِ
ترجوه (٤) أملاكُ الزمانِ وتتّقي   سطواتِ ضرّارٍ لهم نفّاعِ
يا أيها الملكُ المعظَّمُ دعوةً   من نازحٍ قلِقِ الحشا مُرتاعِ (٥)
لا يأتلي لدوامِ (٦) ملكك داعياً   وإلى ولائك في المحافلِ داعي
يُهدي إليك من الثَّناءِ ملابساً   تضفو وتصفو من (٧) قذى الأطماعِ
مصقولةَ الألفاظِ يلقاها الفتى   من (٨) كل جارحةٍ بسمعٍ واعِ
أبدعتَ فيما تنتحيه فأبدعتْ   فيك المدائحُ أيَّما إبداعِ

(١) ولفك ؟ (ك) .
(٢) وقعت (م ، مث ، ب) .
(٣) هذا البيت ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) كوجوه ؟ (م ، مث ، ب) .
(٥) ملتاع (ك) .
(٦) بدوام (ك ، ح ، ص) .
(٧) عن (ظ ، م ، مث ، ب) والبيت كله ساقط من (ح ، ص) .
(٨) في كل (ظ ، ك) والبيت كله ساقط من (ح ، ص) .

فإلى متى أنا بالسفار أضيّع (م) أيام بين الشدّ والإيضاع

خلف الرّحالة والدّجى فرواحلي ما تأتلي ممعوطة[١] الأنساع

أشبهت عمراناً وأشبه كلّ من جاوزت منزله فتى زنباع[٢]

بينا أصبّح بالسلام محلّة حتى أمسّي أهلها بوداع

أبداً أرقّح[٣] كي أرقّع خلّة من[٤] حالة مثل الردا[٥] المتداعي

قسماً بما بين الحطيم إلى الصفا من طائف متنسّك[٦] أو ساع

إني إلى تقبيل كفك شيّق شوقاً يضمّ على جوى أضلاعي

وقال يمدحه :

صليل المواضي واهتزاز القنا السّمر بغيرهما لا يجتنى ثمر النّصر

وصبر الفتى في المأزق الضنك فادح ولكنّه أهدى طريق إلى الفخر[٧]

---

(١) لا تأتلي (ح ، ص) ممغوطة (م ، مث ، ب) .

(٢) شبه نفسه بعمران بن حطان في طول غربته واضطرابه في الأقطار خوفاً من عبد الملك بن مروان والحجاج . وفتى زنباع : هو روح بن زنباع الذي لم يكن أحد يتقدم عليه عند عبد الملك .

وقد ورد عجز هذا البيت مضطرباً في أكثر النسخ : جاورت منزله متى أرساع ؟ (ظ) جاوزت منزله فتى أوشاع ؟ (م ، مث ، ب) .

(٣) رقّح ماله : أصلحه وقام عليه . وقد تصحفت هذه الكلمة في بعض النسخ : أربع (ظ) أرنع (ح ، ص) .

(٤) في (ح ، ص) .

(٥) الردى (ح ، ص) .

(٦) متوسل (ظ) .

(٧) ورد هذا البيت مختلف الرواية ومضطرباً في أكثر النسخ : —

وتحت ظلام النّقع تشرق أوجه الـ(م) ثناء وجمع المجد في فرقة الوفر

وما استعبد الأحرار كالعفو إن جنى[١] جهول وفضل الصدر في سعة الصدر

ومن لم تنوّه باسمه الحرب لم يزل وإن كرمت آباؤه خامل الذكر

إذا غشي الحرب العوان تمخّضت وقد لقحت عن فتكة في العدى بكر

خلال على لولا المعظّم أعجزت طرائقها الأملاك بعد أبي بكر[٢]

هلال وبدر أشرقا فابتهالنا إلى الله إبقاء الهلال مع البدر[٣]

مليك إذا ما جال في متن[٤] ضامر ليوم وغى أبصرت بحراً على بحر

عليم بتصريف القنا فرماحه مواقعها بين الترائب والنّحر

إذا علّ في صدر المدجّج عاملاً بدا عاله فوق السنان على الظهر

وما مشبل[٥] من أسد خفّان باسل يذود الرّدى عن أم شبلين في خدر

فصبر الفتى في المأزق الضنك قادح ولكنه أهدى طريقاً إلى الفجر (ظ)

وصبر الفتى في المأزق الضنك فادح ولم يبتغي بحراً طريقاً إلى الفخر (ك)

〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 يلتق 〃 سبيلاً 〃 〃 (ح)

〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 (ص)

〃 〃 〃 〃 〃 قادح 〃 〃 〃 〃 〃

〃 〃 〃 〃 〃 فادح ولكنه أهدى طريقاً إلى الفخر (ب)

(١) كالعفو إن هفا (ك ، ح ، ص) كالحلم إن جنى (ب) .

(٢) خلال على المولى المعظم أعجزت خلائقها ... (ح ، ص) .

(٣) إلى الله في بقيا الهلال على البدر (ظ ، م ، مث ، ب) إبقاء الهلال على البدر (ك) .

(٤) ظهر (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٥) شابل (ظ) مشبك (ك) . الأبيات الآتية بعد هذا البيت إلى آخر القصيدة —

هِزَبْرٌ إذا اجتاز[1] الأسودُ بغيله[2] … فأشجعُها[3] خافي الخُطى خافتُ الزأرِ

حواليه أشلاءُ الوحوشِ نضيدةٌ[4] … غريضٌ[5] على مستكرهٍ صائكُ[6] الدَّفْرِ

بوادٍ تحاماه الأسودُ مهابةً[7] … وتنكّبَ عن مسراه والجةُ[8] السَّفْرِ

بأعظمَ منه في القلوبِ مهابةً … وإن غضَّ منها[9] بالطلاقة[10] والبِشْرِ

بكلّ[11] فتى من آل أيوبَ لم يزل … دِفاعاً لخطبٍ أو سِداداً على ثغرِ

إذا استلأموا يوم النزالِ حسبتَهم … أسودَ العرينِ الغُلبَ في غابةِ السُّمْرِ[12]

وردت في جميع النسخ مضطربة الترتيب مشوشة النسق مقتسرة في مواضعها غير مؤتلفة في تجاورها لا يتسلسل مع تناكرها معنى ولا يطرد مع تنافرها سياق كأنما جامع الديوان ظفر بها بيتاً بعد بيت من هنا وهناك فضم بعضها إلى بعض كما اتفق لا كما قالها الشاعر. فتصرفنا في ترتيبها ورجحنا إيرادها على النسق الذي نراه.

(١) جاز (ح ، ص).

(٢) بغابه (ح ، ص).

(٣) فأبسلها (ح ، ص).

(٤) نضيده ؟ (ك ، م ، مث ، ب).

(٥) عريض ؟ (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص).

(٦) صائل الذفر ؟ (ك) صائل الوفر ؟ (م ، مث ، ب) حامل الوقر (ظ).

(٧) مخافة (ظ).

(٨) الوالجة : السباع والحيات. وقد وردت هذه الكلمة مصحفة في أكثر النسخ إلى دالجة (ك ، م ، مث ، ب ، ح ، ص).

(٩) منه (ك ، م ، مث ، ب).

(١٠) باللطافة (ك).

(١١) فكل (ظ).

(١٢) ... الغلب تسبح في غدر (ك).

فلا وَزَرٌ من بأسه لعُداته … ولو وقلت[1] كالعُصْمِ في شامخٍ وعرِ

ولو حاولَ المريخُ في الأفق منعها … لخيّم ما بين النعائمِ والغفرِ[2]

فيا أيها الملكُ المعظّمُ دعوةً … إليك لمطويّ الضلوعِ على جمرِ

غريبٌ إذا ما حلّ مصراً أبى له … وشيكُ النوى إلا ارتحالاً إلى مصرِ

له غُنيةٌ عن غيركم من قناعةٍ … وأمّا[3] إلى معروفكم فأخو فقرِ

فتّامَ لا أنفكّ في ظهر سبسبٍ … أهجّرُ أو في بطن داويةٍ[4] قفرِ

أشقّقُ قلبَ الشرقِ حتى كأنني … أفتّشُ في سودائه عن سنا الفجرِ

ويقبحُ بي أن أرتجي من سواكمُ … نوالاً وأن يُعزى إلى غيركم شكري[5]

وقال يمدحه ويذكر وقعة الفرنج على ثغر دمياط سنة تسع عشرة[6] وستمائة :

سلوا صهواتِ الخيلِ يومَ الوغى[7] عنّا … إذا جهلت آياتُنا[8] والقنا اللُّدْنا

(١) ولو أرقلت (ظ ، م ، مث ، ب).

(٢) النعائم والغفر : من منازل القمر. وهذا البيت وما يليه ساقطان من (ح ، ص).

(٣) فأما (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص).

(٤) داوية قفر (م ، مث ، ب) أودية قفر (ظ) داوية أسري (ح ، ص).

(٥) شعري (ك).

(٦) كانت هذه الوقعة سنة ثماني عشرة وستمائة ويقول المقريزي في السلوك ٢١٠/١: « وقدمت على الملك الكامل تهاني الشعراء بهذا الفتح ، فكان أولهم إرسالاً شرف الدين بن عنين بكلمته التي أولها : سلوا صهوات الخيل ... ».

(٧) تخبركم عنا (ظ ، م ، مث ، ب).

(٨) آباؤنا ؟ (مث).

غداةَ لقينا دونَ دمياطَ جحفلاً   من الرومِ لا يُحصى[1] يقيناً ولا ظنّا

قد اتفقوا رأياً وعزماً[2] وهمةً   وديناً وإن كانوا قد اختلفوا لُسْنا

تداعوْا بأنصارِ الصليبِ فأقبلتْ   جموعٌ كأنَّ الموجَ كانَ لهم[3] سُفْنا

عليهم من الماذيِّ كلُّ مُفاضةٍ   دِلاصٍ[4] كقرنِ الشمسِ قد أُحكمتْ وَضْنا

وأطمعهم فينا غرورٌ فأرقلوا   إلينا سِراعاً بالجيادِ وأرقلنا

فما برحتْ سمرُ الرماحِ تنوشهم   بأطرافها حتى استجاروا بنا مِنّا

سقيناهمُ[5] كأساً نفتْ عنهم الكرى   وكيفَ ينامُ الليلَ مَن عدِمَ[6] الأمْنا

لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا   طويلاً فما أجدى دفاعٌ ولا أغنى

لَقُوا[7] الموتَ من زُرْقِ الأسنةِ أحمراً   فألقَوْا بأيديهم إلينا فأحسنّا

وما برحَ الإحسانُ منا سجيةً   توارثَها عن صيدِ آبائنا الأبنا

منحنا بقاياهم حياةً جديدةً   فعاشُوا بأعناقٍ[8] مقلّدةٍ منّا

ولو ملكوا لم يأتلوا في دمائنا   وُلوغاً ولكنّا ملكنا فأسجحنا

(١) لا تحصى ؟ (ك) .

(٢) وعونا (ظ) .

(٣) كانت (ح) .

(٤) ولأم (ظ) دلاص كقرص الشمس (م ، مث) .

(٥) مكان هذا البيت بعد البيتين اللذين بعده في (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٦) فقد الأمنا (ح ، ص) .

(٧) رأوا (ك ، ح ، ص) وفي السلوك للمقريزي ١/٢١٢ « بدا » .

(٨) بأجياد (م ، مث) بأرقاب (ح ، ص) .

وقد جرّبونا قبلها في وقائعٍ   تعلّمُ (غُمْرَ[1] القومِ) منّا بها الطعنا

فكم من مليكٍ قد شددنا إسارَه   وكم من أسيرٍ من شقا[2] الأسرِ أطلقنا

أسودٌ وغى لولا قراعُ سيوفنا   لما ركبوا قيداً ولا سكنوا سجنا[3]

وكم يومِ حربٍ ما لقينا[4] هجيرَه   بسترٍ وقُرٍّ ما طلبنا له كِنّا

فإنّ نعيمَ الملكِ في شظفِ الشقا   يُنالُ وحلوُ العزِّ[5] من مُرِّه يُجنى

يسيرُ بنا من آلِ أيوبَ ماجدٌ   أبى عزمُه أن يستقرَّ به مغنى[6]

كريمُ الثنا عارٍ من العارِ باسلٌ[7]   جميلُ المحيّا كاملُ الحسنِ والحسنى

لعمرُك ما آياتُ عيسى خفيّةٌ   هي الشمسُ للأقصى سناءً وللأدنى[8]

سرى نحو دمياطٍ بكلِّ سميذعٍ   نجيبٍ يرى وِردَ الوغى الموردَ الأهنا

فأجلى علوجَ الرومِ عنها وأفرحتْ[9]   قلوبُ رجالٍ حالفتْ بعدها الحزنا

(١) عمر الموت (ظ ، ك ، ص) غمر الموت (م ، مث ، ح) غمز الموت (ب) . والتصحيح من السلوك للمقريزي ١/٢١٢ .

(٢) موثق الأسر (م ، مث ، ب) . من يد الأسر .. مسالك الأبصار ١٠/٥٦٠ (مخطوط) .

(٣) هذا البيت ساقط من (ح ، ص) .

(٤) قد لقينا هجيره   بسير ... (ح ، ص) وفي السلوك للمقريزي :

وكم يوم حرّ ما وقينا هجيره   وكم يوم قرّ ما طلبنا له كنا

(٥) العيش (ح ، ص) .

(٦) معنا (ك) وعجز هذا البيت ساقط من (مث) .

(٧) سقط صدر هذا البيت من (مث) .

(٨) هذا البيت ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٩) أفرحه : غمّه . وقد تصحفت هذه الكلمة في أكثر النسخ فوردت : وأفرجت في (ظ ، ك ، م ، مث ، ب) .

وطهَّرها من رجسهم (١) بحسامه ... همامٌ يرى كسبَ الثنا المغنمَ الأسنى
مآثرُ مجدٍ خلّدتها (٢) سيوفُه ... لها نبأٌ يفنى الزمانُ ولا يفنى (٣)
وقد عرفتْ أسيافُنا ورقابُهم ... مواقعها فيها (٤) فإنْ عاودوا عُدنا

وقال يمدح بني أيوب بأسرهم ويذم العجم:

أرى شأنيك شأنهما انبجاسُ (٥) ... تجنّبَ مقلتيْكَ له النُّعاسُ
تُداوي داءَ شوقك بالأماني ... فيُدركه (٦) من اليأس انتكاسُ
أحنُّ ومن وراء النهرِ داري ... حنينَ العَودِ أوثقَه العِراسُ (٧)
فبانتْ (٨) عنه شِرّتُه ولانتْ ... عريكتُه وكان به شِماسُ
بأرضٍ لا الكلابُ بها كلابٌ ... ولا الناسُ السَّراةُ هناك ناسُ
لهم حملٌ بوعدك (٩) إنْ أرادوا ... جميلاً لا يكون له نِفاسُ

(١) رجسها (ك، م، مث، ب).
(٢) خلقتها (ظ، ح، ص).
(٣) ولا تفنى (ظ، ح، ص).
(٤) فيهم (ك، ح، ص).
(٥) شأنهم؟ (ح، ص).
(٦) فينكبه (م، مث، ب) والبيت كله ساقط من (ظ، ح، ص).
(٧) العِراس: الحبل الذي يُعرس به البعير أي يُشد من عنقه إلى ذراعه وقد تصحفت في بعض النسخ فوردت: الغراس (ك) واثقه النراس (ظ، م، مث، ب).
(٨) ففاضت منه (ك، ح، ص).
(٩) بوعد (ظ، ح، ص).

فكيف (١) تبيتُ تطمعُ في مديحي ... رجاءَ نوالها (٢) العجمُ الخِساسُ
إذا طمعٌ كسا غيري ثيابًا ... يذلُّ (٣) بها كساني العزَّ ياسُ
ولو أني مدحتُ ملوكَ قومي ... تراغتْ حولي (٤) النَّعَمُ الدِّخاسُ (٥)
فإنَّ الناسَ في طرقِ المعالي ... لهم تَبَعٌ وهم للناس راسُ
ملوكٌ دأبُهم شرفٌ ومجدٌ ... ودأبُ سواهمُ طربٌ (٦) وكاسُ
فلولا آلُ أيوبَ بن شاذي (٧) ... لكان لمعهدِ الجود اندراسُ
يدافعُ عن حِمامٍ كلُّ ذِمرٍ ... له في غمرةِ الموتِ انغماسُ
همُ تركوا صليبَ الكفرِ (٨) أرضًا ... يُداسُ وكان معبودًا يُباسُ
وأرغمَ بأسُهم آنافَ قومٍ ... تجنَّبها لعزّتها العُطاسُ
أولو عدلٍ يموتُ الليثُ منه ... طوىً ويجنّبُ مأواه الكِناسُ (٩)

(١) وكيف (ظ، ك، م، مث، ب).
(٢) نوالها (ح، ص).
(٣) يدل؟ (ك).
(٤) دوني (ك).
(٥) الدحاس (ظ) الرخاس (ح، ص) وهما تصحيف الدخاس والدخاس: العدد الكثير يقال: عدد دخاس ونَعَم دخاس أي كثير.
(٦) نغم (ك).
(٧) شادي (ح، ص).
(٨) القوم (مث).
(٩) أولو عدل يبيت الليث طاوٍ ... يزو وجار وربه الكناس؟ (ك)
له " " " " " " " " (ح، ص).

م (٣)

بأحلامٍ موقَّرةٍ إذا ما … تزعزعَ يذبُلٌ وهفا قُساسُ(١)
بنَوْا في ذِرْوةِ العلياءِ بيتاً … لجودهمُ(٢) حواليْهِ ارتجاسُ
فمِن سُمرِ الرماحِ له عِمادٌ … ومن بِيضِ الصِفاحِ له(٣) أساسُ

وقال يمدح الملك العزيز سيف الإسلام أبا الفوارس طغتكين بن أيوب بن شادي صاحب اليمن(٤):

حبيبٌ نأى وهو القريبُ المُصاقِبُ … وشحطُ نوًى(٥) لم تُنْضِ(٦) فيه الركائبُ
وإنَّ قريباً لا يُرجّى لِقاؤهُ … بعيدٌ تناءى والمَدى مُتقارِبُ(٧)
ألينُ لصعبِ الخُلقِ قاسٍ فؤادُهُ … وأعتِبُهُ لو يرعوي من يُعاتَبُ(٨)
من التركِ ميّاسُ القوامِ مهفهفٌ(٩) … له الدرُّ ثغرٌ والزمُرُّدُ شارِبُ

(١) يذبل: جبل بنجد. وقساس: جبل لبني نمير. وفي (ح، ص) شماس وهو تصحيف.

(٢) بجودهم (ك).

(٣) لهم (ظ، م، مث، ب).

(٤) الملك العزيز طغتكين أخو السلطان صلاح الدين بعثه أخوه إلى اليمن سنة ٥٧٩ فملكها وتوفي فيها سنة ٥٩٣ وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٧/١.

(٥) النوى (ح، ص).

(٦) لم تمض (ظ).

(٧) وإن بعيداً لا يرجّى اقترابه … بعيدٌ تناءى والهوى متقارب (ك، ف)
" " " " " " " " والمدى " (م، مث، ب)
والبيت كله ساقط من (ح، ص).

(٨) أعاتب (ظ، ك، ف، مث، ب).

(٩) منعّم (ك، ف، ح، ص).

يُفوِّقُ سهماً من كحيلٍ مُضيَّقٍ … له(١) الهُدْبُ ريشٌ والقِسيُّ الحواجبُ
أسالَ عِذاراً في(٢) أسيلٍ كأنَّه … عبيرٌ على كافورِ خدَّيهِ ذائبُ
وأنبتَ في حِقفِ النَّقا خيزُرانةً … تُقِلُّ هلالاً أطلعتْهُ الذوائبُ
سعت(٣) عقرباً صُدغيهِ في صحنِ خدِّه … فهنَّ لقلبي سالباتٌ لواسبُ
عجبتُ لجفنيهِ وقد لجَّ(٤) سُقمُها … فصحَّتْ(٥) وجسمي من أذاهنَّ ذائبُ
ومن خصرِه كيف استقلَّ وقد غدَتْ(٦) … تُجاذِبُهُ أردافُهُ والمناكبُ
ضَنيتُ به حتى رثتْ لي عواذلي … ورقَّ لما ألقى العدوُّ المُناصبُ
وما كنتُ ممَّن يستكينُ لحادثٍ … ولكنَّ سلطانَ الهوى لا يُغالَبُ
سحائبُ أجفانٍ سوارٍ سواربٌ … وأعباءُ أشواقٍ رواسٍ رواسبُ
فهل ليَ من داءِ الصبابةِ مَخلصٌ … لعمري لقد ضاقتْ عليَّ المذاهبُ
حلبتُ شطورَ الدهرِ يُسراً وعُسرةً(٧) … وجرَّبْتُ حتى حنكتني التجاربُ
فكم(٨) ليلةٍ قد بتُّ لا البدرُ(٩) مشرقٌ … يُضيءُ لرائيهِ ولا النجمُ غاربُ

(١) لها (ك، ف، ح، ص).

(٢) من (م، مث، ب).

(٣) سرت (ظ، ك، ف، ح، ص).

(٤) لجّ (ك، ف).

(٥) فصحّ (م، مث، ب) وصحّ (ظ).

(٦) غدا (ك، ف).

(٧) حكيت سطور الدهر عسراً ويسرةً ؟ (ك، ف) حكيت صروف..؟ (ظ).

(٨) وكم (ظ، م، مث، ب، ح، ص).

(٩) الليل ؟ (ح، ص).

شققتُ دُجاها لا أرى غيرَ همّتي ... أنيساً ولا لي غيرُ عزمي (١) صاحبُ

بمَعوطة (٢) الأنساعِ قودٍ كأنّها ... على الرملِ من إثرِ الأفاعي (٣) مَساحبُ

وبحرٍ تبطّنتُ الجواري بظهره ... بخبنٍ (٤) وهنّ المُقْرَباتُ المَناجبُ

إلى بحرِ جودٍ يُخجلُ البحرَ كفُّه ... فقلْ عنْ (٥) أياديه فهنّ العجائبُ (٦)

إلى ملكٍ ما جادَ إلاّ وأقلعتْ ... حياءً وخوفاً من يديهِ (٧) السحائبُ

إلى أبلجٍ كالبدرِ يُشرقُ وجهُه ... سناءً إذا التفتْ عليه المواكبُ

تسنّمَ من أعلا المراتبِ رُتبةً ... تقاصرُ عن أدنى مداها الكواكبُ (٨)

لنا من نداهُ كلَّ يومٍ رغائبٌ ... ومن فعلهِ في كلِّ مدحٍ غرائبُ

فتى حصنُه ظهرُ الحصانِ ونثرةٌ ... تكلُّ لديها المرهفاتُ القواضبُ

مضاعفةٌ حتى كأنّ قتيرَها ... حُبابٌ حبتْه بالعيونِ الجنادبُ

يُريه دقيقُ الفكرِ في كلِّ مشكلٍ ... من الأمرِ ما تُفضي إليه العواقبُ

أتيتُ إليه والزمانُ عنادُه (٩) ... عنادي وقد سُدّتْ عليَّ المذاهبُ

(١) سيفي (ح ، ص) .
(٢) بممعوطة (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٣) آثر المسير (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) بحين (ك) بخفن (م ، مث) بخن (ب) بخين (ح) بخين (ص) .
(٥) في (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٦) عجائب (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٧) نداه (ح ، ص) .
(٨) المراتب (ظ ، ك ، ف ، م ، مث ، ب) .
(٩) عناده عنادي (مث) .

ليرفعَ من قدري ويجزمَ حاسدي ... وأصبحَ (١) في خفضٍ فكم أنا ناصبُ

فلم أرَ كفّاً عارضاً غيرَ كفّه ... بوجهٍ ولم يزورَّ (٢) للسخطِ (٣) حاجبُ

قطعنا نياطَ العيسِ نحوَ ابنِ حرّةٍ ... صفتْ عنده للمعتفينَ المشاربُ

إلى طاهرِ الأنسابِ ما قعدتْ به ... عن المجدِ من (٤) بعضِ الجدودِ المناسبُ

دعا كوكباناً (٥) والنجومُ كأنّها ... نطاقٌ عليه نظّمتْه (٦) الثواقبُ

فرامَ (٧) امتناعاً عنه وهو مرادُه ... كما امتنعتْ عن (٨) خلوةِ البعلِ كاعبُ

وليس براشٌ (٩) منه أقوى قواعداً ... وإنْ غرَّ من فيه الظنونُ الكواذبُ

(١) ويخفض أعدائي فكم أنا ناصب (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) ولا يزور (ظ) .
(٣) للسخت ؟ (ف) .
(٤) في (ك ، ف) .
(٥) كوكباً ناوى النجوم ؟ (م ، مث) وكوكبان : جبل قرب صنعاء باليمن وإليه يضاف شبام كوكبان وهي مدينة غربي صنعاء في الجبل المذكور وقصر كوكبان (معجم البلدان) .
(٦) نظمتها (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) في جميع النسخ (فدام) ولعل الصواب ما اخترناه .
(٨) من (ح ، ص) .
(٩) وليس براش منه أقوى قواعد (ظ ، ب)
» » » » قواعداً (م ، مث)
وليس براشٌ منه أقوى عريكة ... وإن عرضت فيه الظنون الكواذب
(ك ، ف) وهو والبيت الذي يليه ساقطان من (ح ، ص) . وبراش : حصن من نواحي أبين باليمن ، وحصن أيضاً مطل على مدينة صنعاء على جبل نُقُم (معجم البلدان) .

تقل على كثر العديد عداته ... وتكثر (١) منهم في النوادي النوادب
ونصحي لهم (٢) أن يهربوا من عقابه ... إليه فإن النصح في الدين واجب
بقيت فكم شرفت باسمك منبراً ... وكم نال من فخر بذكرك (٣) خاطب

وقال أيضاً يمدحه :

يا ظالماً جعل القطيعة مذهبا ... ظلماً ولم أر عن هواه مذهبا
وأضاع عهداً لم أضعه حافظاً ... ذمم الوفاء وحال عن صب صبا
غادرت داعية البعاد محبتي (٤) ... فبأي حالاتي أرى متقربا
ظبي من الأتراك تثني قده ... ريح الصبا ويعيده (٥) لين الصبي
ما باله في عارضيه مسكة (٦) ... ولقد عهدت المسك في سرر (٧) الظبا
غضبان لا يرضى فما (٨) قابلته ... متبسماً إلا استحال مقطبا
الله يعلم ما طلبت له الرضا ... إلا تجنى (٩) ظالماً وتجنبا

(١) ويكثر (ظ ، ك ، ف) .
(٢) لكم أن تهربوا (ك ، ف) .
(٣) بذكراك (م ، مث ، ب) وورد في (ح ، ص) هكذا :
« وكم ... بذكرك حاطب » .
(٤) تجني (ح ، ص) .
(٥) ويميله (ح ، ص) .
(٦) مسكة (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) سرب (ح ، ص) .
(٨) بما (ح ، ص) .
(٩) إلا استحال وداده وتجنبا (مث) .

كم قد جنى ولقيته (١) متعذراً ... فكأنني كنت المسيء المذنبا
فيزيده طول التذلل عزة ... أبداً وفرط الاعتذار (٢) تعتبا
عجباً له اتخذ الوشاة وقولهم ... صدقاً وعاين ما لقيت وكذبا (٣)
ورأى جيوش (٤) الصبر وهي ضعيفة ... فأغار في خيل الصدود وأجلبا
يا بدر عمك بالملاحة خالك (٥) ... الد (م) اجي خصك بالملاحة واجتبى
سبحان من أذكى بخدك للصبي ... لهباً تريد (٦) به القلوب تلهبا
أو ما اكتفى من عارضيك (٧) بأرقم ... حتى لوى من فضل صدغك عقربا

ومنها في المدح :

ملك إذا ما الوفد حل ببابه ... قالت شمائله الكريمة مرحبا
أندى الملوك ندى وأطولهم يداً ... وأعزهم خالاً (٨) وأكرمهم أبا
ثبت الجنان إذا الجبال تزعزعت ... حامي الحقيقة حامل ما أتعبا (٩)

(١) فأتيته (ح ، ص) . وتعذر إليه : بمعنى اعتذر .
(٢) الاعتبار (ظ) .
(٣) فكذبا (ح ، ص) .
(٤) وأرى جيوش الصبر وهي هزيمة (ك ، ب) .
» » » » غريمة (ظ) .
(٥) خاله (ظ) .
(٦) يزيد (ك) .
(٧) عارضيه (ظ) وبعده في (ح ، ص) :
فكأنه في الحرب خرصان به ... ذو العزة الملك العزيز قد اجتبى
(٨) كلمة خالا ساقطة من (ح ، ص) .
(٩) ما أعتبا (ب) .

ومقصّرٌ عن بعض ما أوليتَه [1]   شكري وإن كنتُ الفصيحَ المسهبا [2]
ولو انّي نظّمتُ [3] فيكَ قلائدا (م)   جوزاء كنتَ أجلَّ منها منصبا

وقال يمدحه [4] :

لا تَعرِضَنّ لضيّقِ المُقَلِ   فتبيتَ من أمنٍ على وَجَلِ
واترك ظباء [5] التركِ سانحةً   لا تعترض [6] لحبائلِ الأجَلِ
فتى يُفيقُ وقيدُ [7] نافذةٍ   مشحوذةٍ بالسحرِ والكحَلِ
لا يوقعنَّكَ عذبُ ريقتِها   أنا من سُقيتُ السُّمَّ في العسلِ
من كلِّ مائسةٍ [8] منعّمةٍ   غَرْثى الأياطلِ فَعْمةِ الكَفَلِ
خطرتْ بمثلِ الرمحِ [9] معتدلٍ   ورنتْ بمثلِ الصارمِ الصقِلِ
وتنفّستْ عن عنبرٍ عبقٍ   وتبسّمتْ عن واضحٍ رَتِلِ [10]

---

(١) ما آتيته (ك) ما أوتيته (ح ، ص) .
(٢) المطنبا (ح ، ص) .
(٣) قدمت (ك) .
(٤) سقط عنوان هذه القصيدة من (م) .
(٥) ظبي الأتراك سانحة ؟ (ب) .
(٦) لا تقترب (ك ، م ، مث ، ب) لا تقربن (ظ) .
(٧) فتى تفيق وفيك نافذة (ظ) .
(٨) ناعمة (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٩) الريح ؟ (ح ، ص) .
(١٠) رتل ؟ (ظ) رتل ؟ (ك) .

خَوْدٌ تعثّرُ كلما رقصتْ   من شعرها بمسلسلٍ [1] رَجِلِ [2]
بيضاء تنظرُ من مضيّقةٍ   سوداء تهزأُ من بني ثُعَلِ
وبليّتي من ضيقِ مُقلتِها [3]   إنْ خِيفَ فتكُ الأعيُنِ النُّجُلِ
تسعى [4] بصافيةٍ مُعتّقةٍ   تبدو لنا في الكأسِ كالشُّعَلِ
هجرتْ بلوذانا [5] مهاجرةً   وتنصّلتْ من [6] غلظةِ الجبَلِ
وتعتّقتْ في آبلٍ [7] حُقُبا   لم تمتهنْ مزجاً [8] ولم تُذَلِ
ودنتْ كأنّ شعاعَها قبسٌ   بادٍ وإنْ جلّتْ عن المثَلِ
في روضةٍ غَنِيَ [9] الربيعُ بها   فأبانَ صنعةَ علّةِ العِلَلِ
وكأنّ آذاراً تنوّقَ في   ما حاكَ [10] من حُلَلٍ لها وحُلي

---

(١) بمبلبل ؟ (ك ، ح ، ص) .
(٢) رحل ؟ (ظ) زجل ؟ (ح ، ص) .
(٣) منطقها ؟ (ظ) .
(٤) تدق (ح) تصق ؟ (ص) .
(٥) بلوذان : قرية تطل على الزبداني . هكذا ورد ضبطها في مسالك الأبصار ٣٥٨/١ ويلفظها الناس اليوم « بلودان » وهي أشهر مصيف لدمشق . بلودانا (ك) بلوذنا (م) بلوذيا (ح ، ص) .
(٦) عن (ظ ، ك ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٧) آبل : هي آبل السوق وهي قرية تسمى اليوم سوق وادي بردى بين الزبداني ودمشق . واسمها القديم أبيلا كما في قاموس الكتاب المقدس . وتعتقت في دنها (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) ماء (ك ، ح ، ص) .
(٩) غنى (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(١٠) ما حاك من حلي ومن حلل (ك ، ح ، ص) .

وكأنما فرشت بساحتها … فرش الزمرد راحة النفل (١)

وكأن كف الجو من طرب (٢) … نثرت عليها أنجم الحمل

شق الشقيق بها ملابسه … حزناً على ديباجة الأصل

فكأنه قلب تصدع عن … سودائه فبدت (٣) من الخلل

خطب الهزار على منابرها … فاعجب لأعجم مفصح غزل

ودعت حمائمها مرجعة (٤) … فوقفت (٥) في شغل بلا شغل

فكأن في أغصانها سحراً … ثاني الثقيل ومطلق الرمل

وكأنما أغصانها طربت … فتأودت (٦) كالشارب الثمل

جر النسيم بها مطارفه … فتنفست عن عنبر شمل

م الأقاح بلثم نرجسها (٧) … فثنى له ليتاً ولم يطل

وتنظم المنثور وافتضح النـ (م) ـمام وانقبضت يد الطفل

وأسال باناس (٨) ذوائبه … فتجمدت في ضيق السبل

(١) النفل: نبت من أحرار البقول نوره أصفر. وقد وردت مصحفة: النقل (م، ب، ك) النفل (ح، ص).

(٢) وكأن كف الجو قد نثرت صبحاً عليها أنجم الحمل (م).

(٣) وجرى من الخلل (م) سودا حشاشته من الخلل (ب).

(٤) مراجعة … (ح، ص).

(٥) فوقفت (ح، ص).

(٦) فتمايلت (ظ، م، مث، ب).

(٧) نرجسه (ظ، ك، م، مث، ب).

(٨) هذا البيت ساقط من (ظ، م، مث، ب). وباناس: من أنهار دمشق يفترق من نهر بردى في قرية دمّر ويلفظه الدماشقة اليوم بانياس.

أنى اتجهت لقيت منبجساً … متدفقاً في (١) يانع خضل

فكأنها استسقت فباكرها … كف العزيز بمسبل هطل (٢)

ملك زهت أيام دولته الـ (م) ـغراء وافتخرت على الدول

يغشى الوغى والحرب قد كشرت … للموت عن أنيابها العصل

والشمس كالعذراء كاسفة … محجوبة بالنقع في كلل (٣)

ملك صوارمه رسائله … إن الصوارم أبلغ (٤) الرسل

ملك قصرت على مدائحه … شعري وعند نواله أملي

لا أبتغي من غيره نعماً … كم عفت من بر تعرض لي

عثرت خلفك كل ذي كرم … يجري وراءك وأنت في مهل

ومتى ينال علاك مجتهد (٥) … هيهات أين الترب من زحل

سفهاً بحلمي (٦) إن تركت أتـ (م) ـي السيل واستغنيت بالوشل

ووقّع له سيف الإسلام بألف دينار فطله الديوان فكتب إليه:

يا مخجل الغيث (٧) الملث إذا همى … ومهجن البحر المحيط إذا طما

(١) عن نابع هطل (ظ، م، مث، ب).

(٢) هذا البيت ساقط من (ظ، م، مث، ب).

(٣) الكلل (ظ، م، مث، ب).

(٤) الحجج (ح، ص).

(٥) مجتهداً (ظ).

(٦) لحلمي (ك، ح، ص).

(٧) القطر (ك، ح، ص).

أنتَ الذي ما زالَ واضحُ رأيِهِ ... كالصبحِ إنْ ليلُ الحوادثِ أظلما

يا كعبةَ الفضلِ الذي نادِيتُه ... بالحجِّ أقدمني إليها مُحرِما

ما كانَ برقُكَ خُلَّبًا إذْ شِمتُهُ ... فعلامَ بتُّ وقد همى أشكو الظَّما

حاشا لمجدِكَ أنْ أُوذَ بظلِّهِ ... وأكونَ في أتباعِهِ صِلةً لما

ما قطَّبتْ لي حاجباكَ فليتني ... أدري وُقيتَ الذمَّ لِمْ عبَساهُما[1]

ومرامِيَ الأقصى يراهُ سماحُكم ... سهلاً وإقتاري يراهُ مَغنَما

وقال يمدحه أيضاً :

أياديكَ عينٌ تُستهلُّ بعينٍ[2] ... وفضلُكَ شمسٌ لا تُصَدُّ بغَيْنِ

ومنكَ صفوٌ لا يُشابُ بِعِنَّةٍ ... ومدحُكَ صدقٌ لا يُعابُ بِمَيْنِ

إذا قَصُرتْ أيدي الورى عن فضيلةٍ ... تناولتَ أعلاها بطولِ يدَيْنِ

ولو أنَّ أهلَ العصرِ ألقوْا أمورَهم ... إليكَ لأَلفَوْا سيرةَ العُمَرَيْنِ

جوادٌ وكفُّ السُّحبِ بالغيثِ باخلٌ ... وقورٌ إذا خفَّتْ جبالُ حُنَيْنِ

تتبَّعتِ الحسَّادُ جلَّ خصالِهِ[3] ... فأعياهمُ فيها تطلُّبُ شَيْنِ

بعثتُ فريدَ الدرِّ والشوقُ[4] قدهفا ... بقلبي واستغشى الفؤادَ برَيْنِ

وقلدتني من جوهرِ الفضلِ خالداً ... ويفنى الذي من عسجدٍ ولُجَيْنِ

كأنَّ النوى إذْ نادتِ الدمعَ رخَّمتْ ... فلا أثرٌ فيها أجابَ لِعَيْنِ

(١) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) ومضطرب في (ح ، ص) .

(٢) كمين (ب) .

(٣) خلاله (ك ، ح ، ص) .

(٤) والقلب قد هفا ... بشوقي (م ، مث ، ب) .

وقال يمدح صفي الدين[1] بن شكر وزير الملك العادل :

ماقامَ لولاهواكَ المُدنَفُ الوَصِبُ ... يبكي الطلولَ وأهلُ المُنحنى غُيَبُ

ويسألُ الربعَ عن سُكَّانِهِ[2] سفهاً[3] ... وقد محتْ آيَهُ الأرواحُ تعتقبُ[4]

يُكفكفُ الدمعَ أحياناً وتبعثُهُ ... لواعجُ الشوقِ أحياناً فينسكبُ

صبٌّ إذا نامَ أهلُ الحيِّ أزعجَهُ ... ذكرٌ[5] يعاودُهُ من عيدِهِ طربُ

تدعوهُ هواجسُهُ طيفَ الخيالِ وسا(م) طانُ الكرى عنهُ بالأشواقِ محتجبُ[6]

يهيمُ شوقاً بأقمارٍ على قُضُبٍ ... مُلْدٍ تجاذبُها ظلماً لها الكُثُبُ

من كلِّ واضحةِ اللَّبَّاتِ تبسمُ عن ... مُرتَّلٍ زانَهُ التأشيرُ والشَّنَبُ

تُريكَ من وجهِها الوضَّاحِ إنْ سفرتْ ... بدراً وتبدو هلالاً حينَ تنتقبُ

ياضَرَّةَ الشمسِ إنَّ الحبَّ أبعدَني ... فليتَ شعري بماذا منكِ أقتربُ

إنْ كانَ للحسنِ[7] في العشرينَ عندكمُ ... حقُّ الزكاةِ فإنِّي البائسُ الجُنُبُ

ومهمهٍ طامسِ الأعلامِ متَّصلٍ ... تواهقتْ[8] بي[9] في أجوازِهِ النُّجُبُ

(١) ولد الوزير صفي الدين بن شكر سنة (٥٤٨) وتوفي سنة (٦٢٢) وترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢١٩/١ .

(٢) سكانها (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٣) عبثاً (ح ، ص) .

(٤) والحقب (ح ، ص) .

(٥) ذكرى يعاوده من عيدها طرب (ك) ... من عودها . (ح ، ص)

(٦) يحتجب (ح ، ص) .

(٧) في الحسن (ط) .

(٨) تواشجت (ح ، ص) .

(٩) لي (م ، مث ، ب) .

فِي لَيلةٍ مثلِ عَرضِ البحرِ حالكةِ الـ (م) جِلبابِ قامت(١) بها لا تهتدي الشُّهُبُ
فأسفرَ الصبحُ لي عن رايةٍ(٢) بلغتْ أقصى المدى وتناهتْ دونَها الرُّتَبُ
المَوردُ العذبُ والنادي الرحيبُ وإد (م) راكُ المُنى والقِرى والمَربعُ(٣) الخصِبُ
في ظلِّ أبلجَ يُستسقى الغمامُ بهِ فيستهلُّ(٤) ويُستشفى به الكَلَبُ
المستقلُّ بما أعيا(٥) الملوكُ به والمستقلُّ لنا الدنيا إذا يهبُ
ثَبتُ الجَنانِ له حِلمٌ يوقِّرُه إذا هفا بحلومِ السادةِ الغضَبُ
مُعشَّقٌ للمعالي لا يزالُ له في(٦) كلِّ مرتبةٍ عذراءَ مُختطَبُ
صافي الضمائرِ مَرضيُّ السرائرِ مح (م) مودُ المآثرِ تُزهى(٧) باسمه الخُطَبُ
له أيادٍ مُقيماتٌ مسافرةٌ لم يخلُ من(٨) برِّها عُجمٌ ولا عربُ
مولىً إذا افتخرَ الساداتُ في ملأٍ سما به الأشرفانِ العلمُ والحسبُ
وإن دجا ليلُ خطبٍ عمَّ فادحُه ذكا له النيِّرانِ الفضلُ والأدبُ
وإن سقتْ روضةَ القرطاسِ راحتُه رأيتَ سيفيَّ وادٍ منه تعتجبُ(٩)؟

(١) قائمة (م ، مث) .
(٢) وتبة (ظ ، ك ، ب) ونبة (م ، مث) .
(٣) والمرتع (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) والمستقل لنا الدنيا إذا يهب (ب) .
(٥) يعيا (مث) والبيت ساقط من (ب) .
(٦) من ... مختطب (ك ، ح ، ص) .
(٧) ترضى (ك) .
(٨) عن (ح ، ص) .
(٩) يتجب (ح ، ص) والبيت ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

كأنّما صدرُه البحرُ المحيطُ ومِن أقلامِه غاصةٌ للدرِّ تنتخبُ
إذا احتبى للعُفاةِ فهو مالكُها وإنْ حبا خجلتْ من جودِه السُّحُبُ
فما رأينا إماماً قبلَ رؤيتِه يرى النوافلَ فرضاً فعلُها يجبُ
والجُودُ(١) أن يسبقَ السؤالُ نائلَه وأعظمُ الذنبِ أنْ يبقى له نَشَبُ
ينأى(٢) بعِطفيهِ إعظامٌ(٣) ويجذبُه طبعٌ كريمٌ إلى الحسنى فينجذبُ
يقظانُ للمجدِ يحمي ما توارثَه آباؤه الصِّيدُ من فخرٍ(٤) أبٌ فأبُ
من أسرةٍ(٥) حازَ شيبانُ الفخارَ بهم فهم له شرفٌ باقٍ إذا انتسبوا
قومٌ(٦) ترى المجدَ(٧) في أبياتِهم زُمَراً فالمجدُ يُخزَنُ والأموالُ تُنتهَبُ
صِيدٌ إذا انتسبوا(٨) سُحبٌ إذا وهبوا أُسْدٌ إذا وثبوا حتفٌ إذا غضبوا
لو(٩) أزمعوا أمرَهم يوماً على أجأٍ(١٠) رأيتَ أركانَ سلمى خيفةً تجبُ
يا أيُّها الصاحبُ المولى الوزيرُ ومَن إلى مفاخرِه العلياءُ تنتسبُ

(١) والجود (ح ، ص) .
(٢) يثني (ظ ، ح ، ص) .
(٣) إعظاماً (ك ، ح ، ص) .
(٤) مجد (ح ، ص) .
(٥) من حار شيبانَ قد تم الفخار بهم ؟ (م ، مث ، ب) .
(٦) قوماً (ح ، ص) .
(٧) الوفد (ك) والبيت ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) نسبوا (ك ، م ، مث ، ب) .
(٩) إن (ح ، ص) .
(١٠) أجأ وسلمى جبلان عظيمان فيهما منازل طيء .

دُعيتَ في الدولة الغراء صاحبَها حقاً وظن (١) جهولٌ أنه لقبُ

ألبستَها عدلكَ الضافي فبات لها ذيلٌ على منكبِ الجوزاء ينسحبُ (٢)

وكم رددتَ العدى عنها بغيظهمُ وأكبُدُ القومِ للأحقاد تلتهبُ

إذا كتائبها عن نصرها قعدتْ في حادثٍ جللٍ قامتْ به الكتُبُ

كسَّرتَهم (٣) في دمشقٍ وهي خاليةٌ وقد أناخَ عليها الجحفلُ اللَجِبُ

كتائبُ أضحتِ البيداءُ متأقةً منها وضاقتْ بها البُطنانُ والحدَبُ

يقودُهم من بني أيوبَ كلُّ فتىً ماضي العزائمِ لا نِكسٌ ولا نَخِبُ (٤)

أُسدٌ مخالبُها بيضُ الظُّبى ولها من الذوابلِ غِيلٌ نبتُه أشِبُ

حتى إذا أشرفتْ منهم (٥) دمشقُ على حربٍ لها الويلُ من عُقباه والحرَبُ

منحتَها منك عزماً صادقاً خضعتْ له ظُبى الهندِ والخطيةُ السُلُبُ

فكان رأيُك فيها رايةً طلعتْ بالنصرِ فانجابتِ اللأواءُ والكُرَبُ

وبات أثبتُهم جأشاً وأحزمُهم رأياً وأمضى سلاحاً عزمُه الهربُ

وكان ظنُّهمُ أن تلتقي بهمُ مصرُ البوارِ وتغشى النُّوبةَ النُّوَبُ

فأجفلوا وزعيمُ القومِ غايةُ ما يرجو من الله أن تبقى له حلبُ

(١) قطن (ح ، ص) .
(٢) منسحب (م ، مث ، ب) .
(٣) كسرتهم (ظ) .
(٤) النَّخب : الجبان وقد تصحفت في بعض النسخ : يحب (ك) لحب (م ، مث ، ب) نجب (ح ، ص) والبيت ساقط من (ظ) .
(٥) منها (ظ ، م ، مث ، ب) .

تدبيرُ أروعَ لا يَعيا (١) بنازلةٍ ولا يبيتُ لخطبٍ قلبُه يجبُ

إذا شياطينُ بغيٍ خيفَ سورتُها فإنَّ آراءه في رجمها شُهُبُ

عزمٌ به أخمدَ اللهُ الشِّقاقَ ولا (٢) هزتْ رماحٌ ولا سُلَّت له قُضُبُ

ولو سعى غيرُه فيها ليرأبَها أنامَهُ المُقعِدانِ العجزُ والتعبُ

ضفتْ ملابسُ نعماهُ عليَّ فقد ردَّتْ بهاليَ أثوابُ الصِّبى القُشُبُ

وبتُّ خلواً من الآمالِ واتصلتْ بيني وبين العُلى من بابه (٣) نسبُ

هذا المديحُ الذي ما شانه (٤) خَلَلٌ كلا ولا شابه (٤) في مجدكم كذبُ

معنىً بديعٌ وألفاظٌ منقَّحةٌ غريبةٌ (٥) وقوافٍ كلُّها نُخَبُ

ما كلُّ عودِ بنبعٍ حين تعجُمُه يخورُ تحتَ ثنايا (٦) العاجمِ الغرَبُ

قد يشهدُ الحربَ بالزَّغفِ المضاعفِ أق (م) وامٌ ويشهدها من لبسه اليَلَبُ

فاسلمْ ولا زالتِ الآلاءُ (٧) سابغةً عليكَ ما عادتِ الأيامُ والحُقُبُ

وقال أيضاً يمدحه :

خبّروها بأنه ما تصدَّى لسلوٍّ عنها ولو ماتَ صدّا

واسألوها في (٨) زورةٍ من خيالٍ إن تكنْ لم تجدْ من الهجرِ بُدّا

(١) لا يخشى لنازلة (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) وما (ك ، ح ، ص) .
(٣) بأسه (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) ما شابه ، ما شانه (م ، مث ، ب) .
(٥) كذا في جميع النسخ .
(٦) نيوب (ك) وهذا البيت والبيتان بعده ساقطة من (ح ، ص) .
(٧) النعماء (ك) .
(٨) عن (ظ) .

عَنَفَتْ طيفَها على ظنها أن خيالاً منها إلينا تَسَدَّى[1]

كَذَبَتْها ظنونُها لا الكرى زار   جفوني ولا الخيالُ تَعدَّى[2]

ظبيةٌ تُخجِلُ الغزالةَ وجهاً   وبهاءً وتفضحُ الغصنَ قدّا

ذاتُ فرعٍ لولا الولائدُ أمسكـ(م)ـن مُثنّاهُ ضوَّعَ الحيَّ نَدّا[3]

وقفتْ للوداعِ وقفةَ هازٍ   هازلٍ والغرامُ بي جَدَّ[4] جِدّا

وأماطتْ لثامَها بأسارِ(م)ـعِ حِقاف[5] عن مستنيرٍ مُفدّى

نثرتْ لوعةُ الفراقِ عليه   دُرَّ دمعٍ فأنبتتْ فيه وَرْدا

وذكتْ نارُه على عنبرِ الخا(م)ـلِ[6] فكانت له سلاماً وبَردا

ثم قالت بقاءُ من يدَّعي الحبَّ   محالٌ وهذه العيسُ تُحدى

مالِعيسي[7] وما لعيشي ومالي   كلَّ يومٍ ألقى عناءً وكَدّا

ليت سهمَ الزمانِ أصمى فكم أَظـ(م)ـما لقد جاوزَ العناءُ الحَدّا[8]

أعجزتني البروقُ شَيْماً فلو عا(م)ـلجتُ بحرَ الأنباطِ الماءَ أكدى

(١) أسدى (ظ) تهدى (ك ، ح ، ص) .

(٢) تهدا ؟ (ح ، ص) .

(٣) أرسلن (ح ، ص) .

(٤) قد أجدا (ح ، ص) .

(٥) حقوف (ك ، ح ، ص) .

(٦) الخد (ب) .

(٧) ما لعيشي وما لعيسي (ك ، ح ، ص) .

(٨) هذا البيت والذي يليه ساقطان من (ظ ، م ، مث ، ب) .

ولو اني مَرَيْتُ لِقْحةَ شَوْلٍ   جعلتْها شقاوةُ الجَدِّ جلدا[1]

كم أدورُ البلادَ شرقاً وغرباً   وأرودُ الأرزاقَ غوراً ونجدا

وأيادي المولى الوزيرِ صفيِّ الدِّ(م)ـنِ أدنى إلى غناي[2] وأندى

أريحيٌّ إذا همَتْ راحتاهُ   علمتْ واكفَ الحيا كيف يُندى

دَقَّ فكراً في المشكلاتِ فجلَّتْ   بِدَعٌ أوصافُه أن تُحدّا

وَرِثَ المجدَ والمكارمَ والحِلـ(م)ـمَ وطيبَ الأعراقِ جَدّاً فَجَدّا

ظاهرُ الفضلِ طاهرُ الأصلِ سبّا(م)ـقٌ إلى المجدِ ليس يضمرُ حقدا

وحليمٌ لا يستخفُّ له الغيـ(م)ـظُ أناةً إن خامرَ الطيشُ أُحدا[3]

كعبةٌ للسماحِ والعلمِ فالحجُّ   إليه[4] فرضٌ علينا يُؤدّى

مُتلِفٌ مُخلِفٌ مُفيتٌ[5] مُفيدٌ   مُعجِزٌ مُنجِزٌ وعيداً ووعدا

لَيِّنُ العطفِ للموالي ويلقى   منه أهلُ العنادِ خصماً ألدّا

فهو مثلُ الحسامِ في حالتيهِ   لَيِّنٌ صفحةً وقاسٍ حَدّا

راضَ صعبَ الزمانِ بالعدلِ حتى   كاد[6] يأتي بذاهبِ الأمسِ رَدّا

فاستقرتْ قواعدُ الملكِ وازدا(م)ـدتْ به سُدَّةُ الوزارةِ مجدا

وغدا رأيُه أحدَّ سلاحاً   في لقاءِ العدى وأنصرَ جُندا

(١) جدا (م ، مث ، ص) .

(٢) غناي (ك) .

(٣) أحد : جبل في المدينة .

(٤) إليها (ح ، ص) .

(٥) مفيد مفيت (ك) .

(٦) كاد يأتي بالأمس يذهب ردا (ح ، ص) .

فإذا ضاق ذَرْعُ كلِّ هُمامٍ   بِهِمُ كانَ الأشدَّ الأسدّا(١)

وإذا(٢) شحّتِ السحائبُ سحّتْ   راحتاه فعمّتِ الأرضَ رِفْدا

فعلُ إحسانِه بغيرِ قياسٍ   لازمٌ وهو عاملٌ يتعدّى

رامَ قومٌ إحصاءَ غُرِّ مساعيـ(م) ـهِ وهل تستطيعُ للنجمِ(٣) عَدّا

وتعاطى الملوكُ نيلَ معاليـ(م) ـهِ فنالوا من(٤) دونِ ذلك جَهْدا

هلكوا دون(٥) نيلِ ما أمّلوه   مَن يطِرْ فوقَ طَوْرِه يتردّى

عالمٌ عاملٌ سعى للمعالي   سعيَ آبائه الكرامِ الأشدّا

أسرةٌ كلما ترعرع منهم   ناشئٌ ساد في الزمانِ وسَدّا

كلما أنهجتْ ملابسُ مجدٍ   لهمُ قامَ ماجدٌ فاستجدّا

لم يقفْ دونهم ولو كان يلقى   رتبةً من ورائهم لتعدّى

ملأتْ وفدُك الفجاجَ فأنّى   سارَ وفدٌ منهم تلقّيتَ وفدا

رُبَّ عانٍ أطلقتَه بعد(٦) ما كا(م) ن يعاني في الأسرِ قيداً وقِدّا

ويتيمٍ رأى له مِن أياديـ(م) ـكَ أباً مُشفقاً وأمّاً ومَهْدا

(١) كان الأسد الأشدا (ظ، ح، ص) كان الأسد الأسدا (ك) كان الأشد الأشدا (ب) كان الأم الأشدا (م).

(٢) ومتى (ظ، ب، ح، ص) ومكانه في (ك) قبل ثمانية أبيات.

(٣) للشهب (ظ، ك، ب).

(٤) في بعض ذلك (ظ، مث، ب).

(٥) هلك الكل دون ما أملوه (م).

(٦) ... . وأسير إذ يعاني ... (ح، ص).

أعتبتني صروفُ دهري فشكراً   لزمانٍ إلى جنابك أهدى

وحقيقٌ بالذمِّ من ذمَّ عصراً   ألبستْه خلالُك الغُرُّ حمدا

أنا مُهدٍ(١) إليك مِدحةَ عبدٍ   مخلصٍ والمديحُ أفضلُ مُهدى

بالغٍ جُهدَه ومَن بلغ الجهـ(م) ـدَ وإن لم يُصِبْ(٢) فما ضلَّ قصدا

وقال يمدح فخر الدين الرازي(٣) ويهنئه بولايات تولاها من المدارس والوقوف، وسيّرها إليه من نيسابور إلى هراة:

ريحَ الشمالِ عساكِ أنْ تتحمّلي   خِدَمي إلى المولى(٤) الإمامِ الأفضلِ

وقفي بواديه المقدّسِ وانظري(٥)   نورَ الهدى متألّقاً لا يأتلي

من دوحةٍ فخريّةٍ عُمَريّةٍ   طابتْ مغارسُ مجدها المتأثّلِ

مكيّةِ الأنسابِ زاكٍ أصلُها   وفروعُها فوق السماكِ الأعزلِ

واستمطري جدوى يديه فطالما   خلفَ الحيا في كل عامٍ مُمْحِلِ

نِعَمٌ سحائبُها تعودُ كما بدتْ   لا يعرفُ الوسميُّ منها والولي

بحرٌ تصدّرَ للعلومِ ومَنْ رأى   بحراً تصدّرَ قبلَه في محفلِ

(١) أنا أهدي (ظ، ك، ب) والبيت ساقط من (ح، ص).

(٢) يصل (ظ).

(٣) فخر الدين الرازي هو أبو عبد الله محمد بن عمر وُلد في الري سنة ٥٤٤ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ وترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٦٠٠.

(٤) إلى الصدر الهمام (ظ، م، مث، ب) شوقي إلى الصدر الامام (معجم الأدباء لياقوت ٧/١٢٤).

(٥) واسألي (ب).

ومُشمِّرٌ في(١) اللهِ يسحبُ للتُّقى ... والدينِ سِربالَ العفافِ المُسبلِ

ماتت به بِدَعٌ تمادى عمرُها ... دهراً(٢) وكانَ(٣) ظلامُها لا ينجلي

فعلا به الإسلامُ أرفعَ هضبةٍ ... ورسا سِواهُ في الحضيضِ الأسفلِ

غلطَ امرؤٌ بأبي علي(٤) قاسَهُ ... هيهاتَ قصَّرَ عن مداهُ أبو علي

لو أنَّ رسطاليسَ يسمعُ لفظةً ... من لفظِهِ لعرَتْهُ هزةُ أفْكَلِ

ولحارَ(٥) بطليموسُ لو لاقاهُ مِن ... برهانِهِ في كلِ شكلٍ مُشكِلِ

فلو(٦) انهم جُمعوا لديه تيقَّنوا ... أنَّ الفضيلةَ لم تكن للأوَّلِ

وبه يبيتُ الحلمُ مُعتصماً(٧) إذا ... هزَّتْ رياحُ الشوقِ رُكنَيْ يَذْبُلِ(٨)

يعفو عن الذنبِ العظيمِ تكرُّماً ... ويجودُ(٩) مسؤولاً وإنْ لم يُسألِ

أرضى الإلهَ بفعلِهِ ودفاعِهِ ... عن دينهِ وأقرَّ عينَ المُرسَلِ

يا أيُّها المولى الذي درجاتُه ... ترنو(١٠) إلى فلكِ الثوابتِ من علِ

---

(١) في الدين (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) قهرا (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٣) وكاد (ك) .

(٤) أبو علي هو الشيخ الرئيس ابن سينا .

(٥) ويحار بطليموس من برهانه وفعاله ... ... (ح ، ص) .

(٦) ولو (ب) .

(٧) ملتجئاً (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٨) يذبل : جبل في نجد .

(٩) ويجوده سؤلا (م) .

(١٠) ترق (ب) تزدي على (م ، مث) .

ما منصبٌ إلا وقدرُكَ فوقَهُ ... فبمجدكَ السامي يُهنَّا ما تلي

فتى أرادَ اللهُ رفعةَ منصبٍ ... أفضى إليكَ فنالَ أشرفَ منزلِ(١)

لا زالَ ربعُكَ للوفودِ محطةً ... أبداً وجودُكَ كهفَ(٢) كلِ مؤمَّلِ

وقال يمدح الملك الأمجد(٣) بهرام شاه صاحب بعلبك :

عجبتُ للطيفِ يا لمياءُ حين سَرى ... يحوي وما جالَ في عيني لذيذُ(٤) كرى

وكيف ترقدُ عينٌ طولَ ليلتِها ... تدافعُ(٥) المُقلقَينِ الدمعَ والسهرا

باتتْ وساوسُ فكري فيك تخدعني(٦) ... أطماعُها وتُريني آلَهُ غُدُرا

أحبابَنا ما لِدمعي كلما اضطرمتْ ... نارُ الجوى بين أحناءِ الضلوعِ جرى(٧)

وما لصبري الذي قد كنتُ أذخرُهُ(٨) ... على النوى ناصراً يومَ النوى غدرا

وما لدهري(٩) إذا استسقيتُ أشرقني(١٠) ... على الظما وسقاني آجِناً كدِرا

يصفي لغيري على ريٍّ موارِدَه ... ظلماً ويوردني المستوبَلَ المَقِرا

---

(١) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) فوق (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٣) كان الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب أديباً شاعراً توفي بدمشق سنة ٦٢٨ وترجمته في فوات الوفيات ١/٨١ .

(٤) طرفي (ح ، ص) .

(٥) تكابد المضنيين (ح ، ص) تدافع الفاتكين (ك) .

(٦) تطمعني ... تخدعها ... (ك) .

(٧) موضع هذا البيت بعد الذي يليه في (ك) .

(٨) آمله (ك) والبيت ساقط من (ح ، ص) .

(٩) وما لدهر (ظ ، م ، مث) وما لدمعي (ح ، ص) .

(١٠) أظمأني (ظ ، م ، مث ، ب) .

أشكو إليه(١) سقاماً قد برى جسدي(٢) … أعيا الأساةَ ولو واصلتم لَبَرا(٣)

وليلةٍ مثل موج البحر بتُّ بها … أكابدُ المزعجين الخوفَ والخطَرا

حتى وردتُ بآمالي إلى(٤) ملكٍ … لو رامَ رداً لماضي أمسه قدرا

فأصبح الدهرُ مما كان أسلفه … إليَّ في سالفِ الأيامِ مُعتذِرا

وذادَ(٥) عني الرزايا حين أبصرني … بعزة الأمجد السلطانِ مُنتصِرا

مَلْكٌ أرانا علياً في شجاعته … وعلمِه وأرانا عدلُه عمرا

أغرُّ ما نزعتْ عنهُ تمائمُه … حتى تردّى رداءَ الملكِ(٦) واتَّزرا

من آلِ أيوبَ أغنتنا عوارفُه … في كالحِ الجدبِ أن نستنزلَ المطرا

ثَبْتُ الجنانِ له حلمٌ يوقّرُهُ … إن خامرَ الطيشُ رُكنيْ يذبُلٍ وحِرا(٧)

القارحُ الهَبَواتِ السودَ يوردُ في … مواقعِ الراشقاتِ الأبيضَ الذَّكَرا

ومُقدِمُ(٨) الخيلِ في لَبّاتها قِصَدٌ … وعاقرُ(٩) البُدْنِ في يومي وغىً وقِرى

وخائضُ الهولِ والأبطالُ مُحجِمةٌ … لا تستطيعُ به ورداً ولا صَدَرا

---

(١) إليك (ب) .
(٢) رمى جسدي (ب) برى جلدي (م ، مث) .
(٣) برأ : شفي (حجازية) .
(٤) على (ك ، ح ، ص) .
(٥) يذود (ك ، ح ، ص) .
(٦) المجد (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٧) يذبل : جبل في نجد ، وحراء : جبل في مكة .
(٨) ويقدم الخيل (م ، مث ، ب) والمقدم الخيل (ح ، ص) .
(٩) ويعقر البدن (م ، مث ، ب) والبيت كله ساقط من (ظ) .

وثابتُ الرأي أغنتْ ألمعيّتُه … عن أن يشاركَه في رأيه الوُزَرا

لا يتّقي في الوغى وقعَ الأسنّةِ بالـ (م) لأغفِ الدِّلاصِ كفى سيفُه وَزَرا

عارٍ من العارِ كاسٍ من مفاخرِه … تكادُ عزّتُه تستوقفُ القدَرا

تمضي المنايا بما شاءت أسنّتُه … إذا القنا بين فرسانِ الوغى اشتجرا

تكاد تخفي النجومُ الزهرُ أنفسَها … خوفاً ويُشرَقُ ببَهرامٍ إذا ذُكِرا(١)

يدعو العُفاةَ إلى أمواله الجَفَلى … إذا دعا غيرُه في الأزمة النَّقَرى(٢)

من دوحةٍ شرُفتْ أعراقُها وزكتْ … منها الفروعُ وطابتْ مغرساً وثرى

لمّا تخيّرني أروي قصائدَه … مضيتُ قُدُماً وخلّفتُ الرُّواةَ ورا

فاعجبْ لبحرٍ غدا في رأسِ شاهقةٍ(٣) … من العواصمِ(٤) طامٍ يقذفُ الدُّرَرا

شعرٌ سمتْ(٥) باسمه الشِّعرى لشركتِها … فيه فقامت تُباهي(٦) الشمسَ والقمرا

لو قامَ بعضُ رُواةِ الشعرِ يُنشدُه … يوماً بأرضِ أزالَ(٧) أخجلَ الحِبَرا(٨)

سحرٌ ولكنّ هاروتاً وصاحبَه … ماروتَ ما(٩) نُهيا فيه ولا أُمِرا

---

(١) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) وبهرام : المريخ .
(٢) الجفلى : الدعوة العامة . والنقرى : الدعوة الخاصة .
(٣) مرقبة : (ك ، ح ، ص) .
(٤) الشواهق (ح ، ص) .
(٥) شعر به سمت الشعرى (ك) .
(٦) تباري (ح ، ص) .
(٧) أزال : مدينة صنعاء . وتصحفت في النسخ إلى أوال كما في (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) الحبرا (ظ ، م ، مث) .
(٩) لا (ظ ، م ، مث ، ب) .

كم قمتُ في مجلس السادات أنشدهُ ... فلم يكن لحسودٍ[١] في علاه مِرا
عجبتُ من معشرٍ كيف ادّعوا سفهاً ... من بعدما سمعوهُ أنهم شُعَرا
لولا التُّقى قلتُ لا شيء يعادلُه ... أستغفرُ اللهَ إلا «النملُ والشُّعَرا»[٢]
أنا الذي سار في الدنيا له مثلٌ ... أهديتُ من سفهٍ تمراً إلى هَجَرا[٣]
جرَّبتُ في شأوه أبغي اللحاقَ به ... فما تعاقتُ[٤] إلا أن ظفرتُ[٥] بَرَى
والشعرُ صيدٌ فهذا جلُّ طاقتهِ ... حرشُ الضِّبابِ وهذا صائدٌ[٦] بَقَرا
وليس مستنزلُ الأوعالِ من يَفَعٍ ... كمن أتى نَفَقَ اليربوعِ فاحتفرا
وإن من شارفَ التسعين[٧] في شغُلٍ ... عن القوافي[٨] جديرٌ أن يقولَ[٩] هُرا

---

(١) لسواه (مث) .
(٢) يشير هنا إلى سورتي النمل والشعراء .
(٣) هَجَر : مدينة مشهورة بكثرة التمر وهي قاعدة البحرين .
(٤) فما تعليت (م ، مث ، ب) .
(٥) طفرت (ب ، ح) . ظفر الشيء وبالشيء وعليه فاز به . والبَرَى بالتحريك : التراب .
(٦) قاتل (ك ، ب ، ح ، س) .
(٧) الثلاثين (م ، مث ، ب) .
(٨) عن المديح (ح ، س) .
(٩) إن نطقت (ح ، س) .

الباب الثاني

في الرثاء

قال يرثي الملك المعظم عيسى بن الملك العادل[١] :

يا دهرُ وَيحَكَ ما عَدا مِمّا بَدا ... أرسلت[٢] سهمَ الحادثات فأقصدا
أغمدتَ سيفاً مرهفاً شفراتُه ... قد كان في ذات الإله مُجرَّدا
فافعلْ بجهدِكَ ما تشاء فإنني ... بعدَ المعظّمِ لا أبالي بالرّدى
ما خلتُه[٣] يفنى وأبقى بعدَه ... يا بؤسَ عيشي[٤] ما أمرَّ وأنكدا
لهفي على بدرٍ تغيَّبَ في ثرى ... رمسٍ وبحرٍ في ضريحٍ ألحدا
أبقيتَ[٥] لي يا دهرُ بعد فراقِه ... كبداً مُقرَّحةً وجفناً أرمدا
وجوىً يُؤجّجُ بين أثناء الحشا ... ناراً تزايدُ بالدموعِ توقُّدا
لو كانَ خلقٌ بالمكارمِ والتُّقى ... يبقى لكانَ مدى الزمانِ مُخلَّدا

---

(١) توفي الملك المعظم في دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بمدرسته المعظمية بسفح قاسيون في الصالحية وقد درست الآن هذه المدرسة ؛ راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٥) .
(٢) أرشقت (م ، مث) أزهقت ؟ (ب) .
(٣) ما خلت أن يفنى (م ، مث) .
(٤) حالي (م ، مث) دهري (ظ ، ك ، ف ، ح ، س) .
(٥) ألفيت (ك ، ف) .

أو كان شقّ الجيب يُنقذ (١) من ردى ... شقّت عليك بنو أبيك الأكبُدا

أو كان يغني عنك دفعٌ بالقنا الـ(م) ... خطّيِّ غادرت (٢) الوشيج مقصّدا

ولقد تمنّت أن تكون فوارس ... من آل أيوب الكرام لك الفدا

أبكيت حتى نثرةً وطمرّةً ... وحزنت حتى ذابلاً ومهنّدا

كم ليلة قد بتّ فيها لا ترى ... إلا ظهور الأعوجيّة مرقدا

تحمي حمى الإسلام منتصراً له ... بعزائم تستقرب المستبعدا (٣)

ولرُبّ ملهوف دعاه لحادث ... جلل فكان جوابُه قبل الصدى

ولطالما شيمت (٤) بوارق كفّه ... فهمت سحائبها علينا عسجدا

ما ضلّ غمرٌ عن محجّة قصده ... إلا وكان له إليها مرشدا

يا مالكاً (٥) من بعد فقدي وجهه ... جار الزمان عليّ بعدك واعتدى

أعززْ عليّ بأن يزورك (٦) راثياً ... من كان (٧) زارك بالمدائح منشدا

كم مورد منك وردت وطعمُه ... مرٌّ وقد عاف الكماةُ الموردا

وعزيزِ قوم مترف سرباله ... ذُلاً وكان الطاغي المتمرّدا

---

(١) بعدك نافعاً (ح ، ص) .
(٢) عاد بك الوشيج (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٣) محله مختلف في (ك ، ف) .
(٤) شمنا (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) يا هالكا (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٦) أزورك (ك ، ف) .
(٧) إن كنت زرتك (ك ، ف) .

أركبته حلقات أدهم قصّرت ... منه (١) الخطى من بعد أشقر أجردا

لولا دفاعُك بالصوارم والقنا ... عن حوزة الإسلام عاد كما بدا

وديارُ مصر لو ونت عزماته ... عن نصرها (٢) لتمكّنت فيها العدى

ولأمست البيضُ الحرائر أُسْهُماً (٣) ... فيها سبايا (٤) والموالي أعْبُدا

ولأصبحت خيلُ الفرنج مغيرةً ... تجتاب ما بين البقيع إلى كُدى (٥)

وبثغر دمياط فكم من بيعة ... عَبَدَ الصليبُ بها وكانت (٦) مسجدا

أنقذتها من خطة الخسف التي ... كانت أحلّتها الحضيض الأوهدا

أجليت ليل الكفر عنها فانطوى (٧) ... وأنرت في عرصاتها فجر الهدى

ولقد شهدتُك يوم قيسارية (٨) ... والشمس قد نسج القتام لها ردا

والكفرُ معتصمٌ بسور مشرف الـ(م) ... أبراج أحكم بالصفيح وشيّدا

فجعلت عاليها مكان أساسها ... وألنت للأخشاب (٩) فيها الجلمدا

---

(١) عنه الخطى من كل أشقر أجردا (ظ ، م ، مث ، ب) .
» » » متن » » (ح ، ص) .
(٢) عمّا بها (م) .
(٣) سهماً (م ، مث ، ك ، ف ، ب ، ح ، ص) .
(٤) إماماً (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٥) البقيع : مقبرة المدينة . وكُدَى : موضع بأسفل مكة .
(٦) فصارت (ظ) وصارت (م ، مث ، ب) .
(٧) بالظبى (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) قيسارية : من أعمال فلسطين على الساحل .
(٩) كالأخشاب ؟ (ظ ، م ، مث ، ب) للأحشاء ؟ (ح ، ص) .

قل للأعادي إن فقدنا سيداً ... يحمي الذمار(١) فقد رزقنا سيدا

الناصر(٢) الملك الذي أضحى برو (م) ... ح القدس في كل الأمور مؤيدا

أعلى الملوك محلةً وأسدهم ... رأياً وأشجعهم وأطولهم يدا

ماضي العزيمة(٣) لا يرى في رأيه(٤) ... يوم الكريهة حائراً مترددا

يقظ يكاد يريه ثاقب فكره(٥) ... في يومه ما سوف يأتيه غدا

وقال يرثي ولداً صغيراً للملك المعظم عيسى عن لسان أخيه الملك الناصر داود(٦) بن المعظم وقد سأله ذلك :

لو أن غير الدهر كان العادي ... لتبادرت قومي إلى إنجادي

ولدافعت عنك(٧) المنون فوارس ... بيض الوجوه كريمة الأجداد

قوم بني شاذي وأيوب لهم ... فخراً تليداً فوق مجد عادي

من كل وضاحٍ إذا شهد الوغى ... روى الأسنة من دم الأكباد

كسبوا المكارم من متون صوارمٍ ... وجنوا المعالي من صدور صعاد

(١) لحمى الاله (م ، مث ، ب) يحمي التنزيل (ح ، ص) .
(٢) الملك الناصر داود بن الملك المعظم .
(٣) العزائم (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٤) مضيق (ك ، ف) .
(٥) رأيه (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٦) الملك الناصر داود بن الملك المعظم ولد سنة ٦٠٣ وملك دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٤ ثم أخذها منه عمه الملك الأشرف . كان شاعراً أديباً وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ ودفن عند والده (شذرات الذهب ٥/٢٧٥) .
(٧) عني (ح ، ص) .

المبصرون إذا السنابك(١) أطلعت ... شمس الظهيرة في ثياب حداد

لم تنب في يوم الهياج سيوفهم ... عن مضرب ونبت عن الأغماد

قسماً لو ان الموت يقبل فدية ... عزت لكنت بمهجتي لك فادي

قد كنت أرجو أن أراك مقاسمي ... في خفض(٢) عيش أو لقاء أعادي

وأراك في يومي وغى ومسرة ... قلب الخميس وصدر أهل النادي

وأراك من صدإ الحديد كأنما ... نضخت(٣) عليك روادع بالجادي(٤)

تجرى القضاء بضد ما أملته ... فيه وأرهف حده لمنادي(٥)

خانتني الأيام فيك(٦) فقربت ... يوم الردى من ليلة الميلاد

ورمتني الأقدار منك بلوعة ... باتت تأجج في صميم فؤادي

لهفي عليك لو ان لهفاً(٧) نافعاً ... أو ناقع حر الفؤاد الصادي

ياليت أنك لي(٨) بقيت وبيننا ... ما كنت أشكو من جوى (وبعاد)(٩)

(١) الأسنة (ح ، ص) .
(٢) في خصب (ب) لذات أنس (م ، مث) .
(٣) نضحت (ظ ، ح ، ص) .
(٤) من جادي (ظ) وموضع هذه الأبيات مختلف في النسخ .
(٥) لعناد (م ، مث) بعنادي (ك ، ف) .
(٦) حتى قربت (م) فظفرت (ك ، ف) .
(٧) لهفي (ح ، ص) .
(٨) لو (ح ، ص) .
(٩) في جميع النسخ (من جوى الابعاد) ولعل الأصوب ما اخترناه .

قد أسعدَني بعدَ فقدكَ أدمعٌ   ذُرُفٌ وخانَ[1] الصبرُ عن إسعادي

وعدمتُ بعدكَ لذةَ الدنيا فقد   أُنسيتُها حتى نسيتُ رُقادي

أبقيتَ في كبدي عليكَ حزازةً[2]   تبدو لأهل الحشرِ يومَ معادي

فسقى ضريحكَ كلُّ دانٍ مسبلٍ[3]   متواصلِ[4] الإبراقِ والإرعاد

حتى تُرى عرصاتُ قبركَ روضةً[5]   مَوْشِيَّةً كوشائعِ الأبراد

فلقد مضيتَ وما كسبتَ خطيئةً   وتركتَ دارَ بليَّةٍ وفسادِ

وسكنتَ داراً ملكها لكَ خالدٌ   وتركتَ داراً ملكُها لِنفاد

وقال يرثي الأمير بدر الدين الجعبري[6] الوالي بقلعة دمشق ونقل ميتاً إلى بالس ودُفن فيها:

لا يَخدعنَّك[7] صحةٌ ويَسارُ   ما لا يدومُ عليكَ فهو مُعارُ

يغشى الفتى حبُّ الحياةِ وزينةُ الـ(م) دنيا   وينسى ما إليه يُصارُ

وإذا البصائرُ عن طرائق[8] رُشدها   عميتْ فماذا تنفعُ الأبصارُ

(١) وخان (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٢) حرارة (ك ، ف ، ب ، ح ، ص) .
(٣) مندق (ب) .
(٤) متواتر (ح ، ص) .
(٥) زينة (ب) .
(٦) لم نقف على ترجمة له .
(٧) لا تخدعنك (ظ) لا تغررنك (ك ، ف) .
(٨) ... عن رشاد أعميت فيها ... (ظ ، م ، مث ، ب) .
. . . . . منها (ك ، ف) .

لا تغترر بالدهر إنْ وافاكَ في   حالٍ[1] يسرُّكَ إنه غرّارُ

انظرْ إلى مَن كان قبلكَ واعتبرْ   ستصيرُ عن كَثَبٍ[2] إلى ما صاروا

فيزولُ عنك جميعُ ما أُوتيتَ في الـ(م) دنيا ولو زُوِيتْ لكَ الأمصارُ[3]

رُزِئَ الكرامُ ولا كرزءِ عشيرةٍ   فُجِعتْ بمن منهم إليه يُشارُ[4]

اللهُ جارُكَ يا ابنَ يوسفَ ثاوياً   وسقى ضريحكَ وابلٌ[5] مدرارُ

حتى تُرى جَنَباتُ قبركَ روضةً   مخضرَّةً ويحفُّه[6] النوّارُ

أبكي عليكَ ولو وفتْ لك أدمعي   لتعجبتْ من مدِّها[7] الأنهارُ

يا بدرُ كنتَ لنا اليمينَ وما عسى   تُغني[8] إذا مضتْ اليمينُ يسارُ

كنتَ المُعينَ على الزمانِ لنا إذا   غاضَ المَعينُ وعزّتِ[9] الأمطارُ[10]

يا بدرُ ضاقَ بكَ الضريحُ وطالما   ضاقتْ على عزماتكَ الأقطارُ[11]

(١) حالات يسرك (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٢) قرب (ظ ، ح ، ص) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ظ) .
(٤) روي هذا البيت مضطرباً في جميع النسخ ، ولعل ما اخترناه هو الأقرب إلى الصواب .
(٥) مسبل (ح ، ص) .
(٦) ويحفها (ك ، ف ، ح ، ص) وتحفه الأنوار (ب) .
(٧) فيضها (ظ ، ح ، ص) .
(٨) تبق إذا ذَرَت اليمينَ يسارُ (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٩) وجفت (ح ، ص) .
(١٠) الأنصار (م ، مث) .
(١١) الأوطار (ظ) .

أعزِزْ عليَّ بأنْ يضيقَ بكَ الثرى   ويَعيلَ (١) عن عرَصاتكَ الزُّوَّارُ
قد كنتَ ذُخرَ الملوكِ وعُمدةً (٢)   فبرأيكَ الإيرادُ والإصدارُ
ولكم برأيكَ من ورائكَ قد سرى   نحو الأعادي جحفلٌ جرَّارُ (٣)
ومن العجائبِ أنَّ بدراً كاملاً   يعتادُهُ (٤) عند التمامِ سِرارُ
كان الجوادَ بما حوى وقد استوى   في مالِهِ الإقلالُ والإكثارُ
صافي أديمِ العِرضِ لا ينأى (٥) الندى   عنه ولا يدنو إليه العارُ
مِن أُسرةٍ عربيةٍ جاءتْ به   عربيةٌ آباؤها أحرارُ
لم يُغْذَ مِن لبنِ الإماءِ ولم تُحِلْ   أخلاقَه عن طبعِها الأظآرُ (٦)
قد كان إنْ (٧) خفَّتْ حلومُ ذوي النهى   للهَوْلِ فيه رزانةٌ ووقارُ
يا بدرُ لو أبصرتَ بعدَكَ حالَنا   لشجاكَ ما جاءتْ (٨) به الأقدارُ
سُرَّتْ (٩) أعادينا وأدركَ حاسدٌ   فينا مُناهُ وقلَّتِ الأنصارُ
كنا نُخافُ ويرتجي إحسانَنا   أعداؤنا ويعزُّ فينا (١٠) الجارُ

(١) وتمل من (ك ، ف) وتقل في (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) وعدة (ظ ، م ، مث) .
(٣) مدرار (ك ، ف) .
(٤) يغتاله (ك ، ف) يغتاله عند الكمال (ح ، ص) .
(٥) لا يبدو القذى فيه (مث) .
(٦) الأطهار (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٧) إذ (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) حالت (ظ) .
(٩) كثرت (ك ، ف ، ح ، ص) .
(١٠) فيها (ك ، ف) .

ما العيشُ بعدكَ بالهنيءِ ولو صفتْ   فيه الحياةُ ولا الديارُ ديارُ
هيهاتَ أنْ يلتذَّ جفني بالكرى   من بعدِ فقدكَ (١) أو يقرَّ قرارُ
أو أرتجي خِلاً سواكَ أبثُّه (٢)   (م) الشكوى وتُحفظُ عنده الأسرارُ
غدرَ الزمانُ بنا ففرَّقَ بيننا (٣)   إنَّ الزمانَ بأهلهِ غدَّارُ
لو أنَّ قلبَ الموتِ رقَّ لهالكٍ   لشجاهُ أطفالٌ وراكَ (٤) صغارُ
لم يكفِ صرفَ الدهرِ دفنُكَ في الثرى   حتى نأتْ بكَ عن دمشقَ الدارُ
ما أنصفَ الدهرُ المفرِّقُ بيننا   أفبعدَ موتٍ نُقلةٌ وسِفارُ (٥)

(١) بعدك (ح ، ص) .
(٢) تسوءه (ك ، ف) .
(٣) جمعنا (م ، مث) .
(٤) هناك (ظ) وهذا البيت والبيتان بعده لم ترد في (ح ، ص) .
(٥) ورد في (ك ، ف) بعد هذا البيت ما نصه : (لأن هذا المتوفى نقل بعد موته من دمشق إلى بلده – بالس – فدفن به) .

الباب الثالث

في الحنين الى دمشق [1]

قال يحن إلى دمشق ويتشوق إليها وهو في اليمن ويحيي الملك العزيز [2] سيف الإسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن سنة سبع وثمانين وخمسمائة [3] :

حنينٌ [4] إلى الأوطانِ ليس يزولُ ... وقلبٌ عن الأشواقِ ليس يحولُ
أبيتُ وأسرابُ النجومِ كأنَّها ... قُفولٌ تَهادى إثرَهنَّ قُفولُ
أُراقبها في الليلِ [5] من كل مطلعٍ ... كأني برعيِ السائراتِ كفيلُ
فيا لكَ من ليلٍ نأى عنه صبحُه ... فليس له فجرٌ إليه يؤولُ
أما لعُقودِ النجمِ فيه تصرُّمٌ [6] ... أما لخضابِ الليلِ [7] فيه نُصولُ

(١) كانت قصائد هذا الباب ومقطعاته مضمومةً إلى باب الوقائع والمحاضرات في النسخ السبع المبوَّبة على المعاني . فرأينا أن نفرد لها باباً خاصاً لتميزها عن غيرها بطرافة الموضوع وشرف المعنى . وقد أضفنا إليها ثلاث قصائد من باب المدح وقصيدةً من باب الهجاء لأنها إلى هذا الباب أقرب وبه أشبه .

(٢) راجع الحاشية رقم (٤) ص (٣٤) .

(٣) هذه القصيدة إحدى القصائد التي نقلناها من باب المدح لأنها بباب الحنين أليق .

(٤) حنيني (ظ) .

(٥) في الأمر (ك ، ح ، ص) .

(٦) تصرف (ح ، ص) .

(٧) الفجر (ك ، م ، مث ، ب) النجم (ظ) .

كأنَّ الثريّا غرةٌ وهو أدهمٌ ... له من وميض الشعريين [1] حجولُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... وظلُّك يا مقرى [2] عليَّ ظليلُ
وهل أرَيني بعدما شطتِ النوى ... ولي في رُبى [3] روضٍ هناك مقيلُ
دمشقُ في شوقٌ إليها مبرّحٌ ... وإنْ لجَّ واشٍ أو ألحَّ عذولُ
ديارٌ [4] بها الحصباء درٌّ وتُربها ... عبيرٌ وأنفاسُ الشمالِ شمولُ
تسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ ... وصحَّ نسيمُ الروضِ وهو عليلُ
فياحبذا الروضُ الذي دون عزَّتا [5] ... سُحَيراً إذا هبتْ عليه قبولُ [6]

(١) الشعرتين (ك ، م ، مث) .

(٢) مقرى : ورد في معجم البلدان أنها قرية من نواحي دمشق . وعيَّن ابن طولون الصالحي مكانها بقوله في رسالته ضرب الحوطة على الغوطة : (مقرى كانت قرية تخربت شرقي الصالحية ، أدركتُ فيها السبع قاعات والآن باق بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر تورا) وابن طولون من أهل القرن العاشر .

(٣) ذرا (ح ، ص) .

(٤) بلاد (ظ ، ك ، ب ، ح ، ص) .

(٥) عزَّتا : ورد اسم عزَّتا في بعض كتب البلدان والتاريخ عرضاً دون تعيين لمكانها . والذي عين مكانها ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ٨١/١ فقد ورد فيه : « إن نهر الفيجة يخرج من جبل تحت حصن عزَّتا ، فهي على ذلك قرب قرية الفيجة . وجاء في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٤٩٣/٨ والبداية والنهاية لابن كثير ١٦٣/١٣ وفوات الوفيات ٣٣٧/٢ أن الملك الجواد يونس ابن ممدود اعتقل في حصن عزَّتا سنة ٦٤١ وذكر شيخ الربوة في نخبة الدهر ص ١٩٩ « إقليم غرَّتا » بالغين والراء مصحفاً عن عزَّتا وأنه من أقاليم دمشق مثل « إقليم الغوطة وإقليم المرج وإقليم داريا ... » دون أن يعين مكانه . ولا تزال أطلال حصن عزَّتا ماثلة إلى الآن . أما اسم عزَّتا فقد تنوسي

ويا حبذا الوادي إذا ما تدفقت[1] جداولُ باناسٍ[2] إليه تسيلُ

وفي كبدي من قاسيونَ[3] حزازةٌ تزولُ رواسيه وليس تزولُ

إذا لاحَ برقٌ من سَنيرٍ[4] تدافقت لسُحبِ جفوني في الخدود سيولُ

فلله أيامي وغصنُ الصبا بها وَريقٌ وإذ وجهُ الزمانِ صقيلُ

هي الغرضُ الأقصى وإن لم يكن بها صديقٌ ولم يُصفِ الوِدادَ خليلُ

وكم قائلٍ في الأرض للحرِ مذهبٌ[5] إذا جارَ دهرٌ واستحالَ ملولُ

وما نافعي أنَّ المياهَ سوائحٌ[6] عِذابٌ ولم يُنقعْ بهن غليلُ

فقدتُ الصبا والأهلَ[7] والدارَ والهوى فلله صبري إنه لجميلُ

ووالله ما فارقتُها عن ملالةٍ سِوايَ[8] عن العهدِ القديم يحولُ

ولكن أبتْ أن تحملَ الضيمَ همتي ونفسٌ لها فوق السِماكِ حُلولُ

ولا يعرفه سكان قرية الفيجة اليوم . وتصحف في بعض نسخ الديوان إلى عزة كما في (ح ، ص) .

(٦) فقول ؟ (ح ، ص) .

(١) تدافقت (ظ) تدافعت (ح ، ص) .

(٢) راجع الحاشية رقم (٨) ص (٤٢) .

(٣) قاسيون : جبل دمشق المشرف عليها من شماليها والبيت كله مع الذي يليه ساقطان من (ح ، ص) .

(٤) سنير : أنظر الحاشية رقم (٨) ص (١٧) .

(٥) وكم قائل للحر في الأرض مذهب (ح ، ص) .

(٦) سوائح (ك ، ح ، ص) .

(٧) والدهر والدار (ظ ، ب) والدار والدهر (م ، مث) .

(٨) سوى ؟ (ح ، ص) .

فإنَّ الفتى يلقى المنايا مكرَّماً ويكرهُ طولَ العمرِ وهو ذليلُ

تعافُ الورودَ الحائماتُ مع القذى[1] وللقيظ[2] في أكبادهن صليلُ

كذلك[3] أتى ابنُ الأشجِّ[4] بنفسه ولم يرضَ عمراً في الإسار يطولُ

سألثمُ إن وافيتُها[5] ذلك الثرى وهيهاتَ حالتْ دون ذاك حُؤولُ

وملتطمُ الأمواجِ جونٌ كأنه دُجى الليلِ نائي الشاطئينِ مهولُ

يعاندني صرفُ الزمانِ كأنما[6] عليَّ لأحداثِ الزمانِ ذُحولُ[7]

على أنني والحمدُ لله لم أزلْ أصولُ على أحداثه وأطولُ[8]

أيعثرُ بي دهري على ما يسوءني وليَ في[9] ذرا الملكِ العزيزِ[10] مقيلُ

وكيف أخافُ الفقرَ[11] أو أحرمُ الغنى ورأيُ ظهيرِ[12] الدينِ فيَّ جميلُ

(١) مع الأذى (ح ، ص) .

(٢) وللحر (ك ، ف) .

(٣) لذلك (ك) .

(٤) ابن الأشج : هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خرج على الحجاج وحاربه طويلاً فلما هزم وأسلم إلى رسل الحجاج ألقى بنفسه من سطح حصن مرتفع . انظر الطبري ٨/٣٩ وشرح المقصورة الدريدية طبع الجوائب ص ٨٢ .

(٥) لاقيتها (ك ، ف) .

(٦) كأنني (ظ) .

(٧) دخول (ك ، ف ، ح ، ص ، ب) دحول (م ، مث) .

(٨) في هامش (ك) ما نصه : وأجول نسخة .

(٩) من ندى (ك ، ف) والبيت كله ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(١٠) ملك (ك ، ح) .

(١١) الدهر (ك ، ف) .

(١٢) ظهير الدين من ألقاب الملك العزيز : وفيات الأعيان ١/٢٩٧ .

من القوم أمّا أحنفٌ فسفّهٌ   لديهم (١) وأمّا حاتمٌ فبخيلُ
فتى المجدِ (٢) أما جارُه فممنّعٌ   عزيزٌ وأمّا ضدُّه فذليلُ
وأمّا عطايا كفهِ فسوابغٌ (٣)   عِذابٌ وأمّا ظِلّهُ فظليلُ

وقال أيضاً يتشوق إلى دمشق ويحيي الملك العزيز صاحب اليمن في سنة ثمان وثمانين وخمسماية : (٤)

أهاجك شوقٌ أم سنا بارقٍ نجدي   يُضيءُ سَناهُ ما تُجِنُّ (٥) من الوجدِ
تعرّضَ وَهناً والنجومُ كأنّها   مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ على بُعدِ
حنّتُ إليه بعدما نام صحبتي (٦)   حنينَ العِشارِ الحائماتِ إلى (٧) الوِردِ
يُذكّرني (٨) عصراً تقضّى على الحمى   وأيامَنا (٩) في أيمنِ العَلَمِ الفردِ
وإذ أمُّ عمروٍ كالغزالةِ ترتعي (١٠)   بوادي الخُزامى روضَ ذاتِ ثرى جعدِ

(١) لديه (ك ، ف ، ح ، ص) وموضع البيت في النسختين الأوليين قبل الذي يليه .
(٢) المجد (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٣) فماحة (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) من القصائد المنقولة من باب المدح .
(٥) ما يجن (ظ ، ح ، ص) بل يجن (م ، مث) .
(٦) صاحبي (ح ، ص) .
(٧) على الورد (م ، مث ، ب) على ورد (ظ) .
(٨) يذكرنا (ح ، ص) .
(٩) وأيامنا عن (ك ، ف ، ص) وأيمانا عن (ح) .
(١٠) ترتقي (ظ) .

غُلاميّةُ التخطيط (١) رعبيّةُ (٢) الطّلى   كثيبيّةُ الأردافِ خوطيّةُ القدِّ
حفظتُ لها العهدَ الذي ما أضاعهُ   صُدودٌ ولا ألوى به قِدَمُ العهدِ
ألا يا نسيمَ الريحِ من تلِّ (٣) راهطٍ   وروضِ الحمى كيف اهتديتَ إلى الهندِ (٣)
تَسدّيتَنا (٤) والبحرُ دونك معرضٌ   وبِيدٌ تحاماها جوازي (٥) المها الرُّبدِ
فأصبحَ طِيبُ الهندِ (٦) يخفى مكانُه   حياءً ولا يبدو (٧) شذا العنبرِ الوردِ
أأهلُ الحمى خصوكَ منهم (٨) بنفحةٍ   فأصبحتَ مثلَ الصَّبا عطرَ البُردِ
لئنْ جمعتْ بيني وبينهمُ النوى   فأيُّ يدٍ مشكورةٍ للنوى عندي

ومنها :

فما زالت الأيامُ تُمهي شِفارَها   وتشحذُ (٩) حتى استأصلتْ كلَّ ما عندي
فأقلتْ أجتابُ البلادَ كأنني   قذى حالَ (١٠) دون النومِ في أعينٍ رُمدِ (١١)

(١) التحطيط (ح ، ص) ومحل هذا البيت والذي يليه مختلف في سائر النسخ .
(٢) رومية (م ، مث) .
(٣) راهط : موضع في الغوطة من دمشق بعد مرج عذراء ويقال له مرج راهط (معجم البلدان) إلى هند (ب) .
(٤) تسريتنا (ف) .
(٥) جواري المها (ك ، ف) جواري القطا الربد ؟ (ح ، ص) .
وبيد تحاماه الجوازي من الربد (م ، مث ، ب) .
(٦) المسك (ظ) .
(٧) ولا يخفي (ح ، ص) .
(٨) مني (ح ، ص) .
(٩) وتسحت (م ، مث ، ب) وتسحب (ك) .
(١٠) جال (ح ، ص) .
(١١) الرمد (ب) .

فلم يبقَ حزنٌ ما توقَّلتُ متنه (١) ولم يبقَ سهلٌ ما جررتُ به بُردي (٢)

أكدُّ ويُكدي الدهرُ في كلِّ مطلبٍ فيا بؤسَ حظي (٣) كم أكدُّ وكم يُكدي

طريدُ زمانٍ لم يجدْ لصُروفِهِ بغيرِ ذَرا الباب العزيزيّ من وِرد (٤)

فلما استقرت (٥) في ذراه بي النوى وألقتْ عصاها بين مزدحم الوفد

تنصل دهري واستراحتْ من الوجى قلوصي ونامتْ مقلتي وعلا جدّي

وقال يحن إلى دمشق وكتب بها إلى المعتمد مبارز الدين (٦) إبراهيم ابن موسى والي دمشق وسيرها إليه من نيسابور سنة ٦٠١ : (٧)

كم أُورّي عن لوعتي وأُواري ما أجنَّتْ أضالعي من أُواري (٨)

وأُري صاحبي سلواً وفي القا (م) ب زِنادٌ من قادحِ الشوق واري (٩)

جلداً أظهرُ السرورَ وإنْ أضـ (م) ـمرتُ حزناً بين الحشا متواري (١٠)

(١) حزنه ؟ (ف) .

(٢) ولا وهدة إلا جررت بها بردي (ح ، ص) والبيت ساقط من (ظ ، ب) .

(٣) دهري (ظ ، ك ، ف ، م ، مث ، ب) .

(٤) ود (ك ، ف) .

(٥) استقلت ؟ (ح ، ص) .

(٦) كان من خيار الولاة ، استقر شحنة بدمشق أربعين سنة فحمدت سيرته . توفي بدمشق سنة ٦٢٣ وله ترجمة في البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١١٥ .

(٧) من القصائد المنقولة من باب المديح .

(٨) وأواري (ك) .

(٩) من الشوق (ظ ، م ، مث ، ب) .

(١٠) جلد يظهر السرور وقد يضـ مر حزناً بين الحشا متواري (ظ ، م ، مث ، ب) .

فسقى اللهُ بين آبلِ (١) والمر (م) جِ ثقالاً من الغوادي السواري

كلّ وطفاء تحسبُ الرعدَ فيها بعدَ وهنٍ تجاوبَ الأطيارِ

وربُا عزّتا (٢) وقد جادها الثا (م) جُ ولاحتْ من سائر الأقطار

كعروسٍ من آل ساسان تُجلى في دبيقي حُلّةٍ وإزار (٣)

وزماناً مضى على آبلِ السو (٤) (م) ق وليلُ الشبابِ وحفُ خُداري

ومسرّاتُنا طِوالٌ عِراضٌ والليالي قصيرةُ الأعمار

أجتلي بنتَ كرمةٍ خزنتها ا (م) لرومُ دهراً ما بين طينٍ وقارِ

صيدنائيةُ المناسب لكنّ (م) أباها إذا اعتزى كان قاري (٥)

من يدي كل مُترَفٍ (٦) ساحرِ الطَّرْ (م) فِ جميلِ الأوصافِ كالدينارِ

بجبينٍ (٧) مثلِ الصباحِ منيرٍ تحت ليلٍ (٨) تضلُّ فيه المداري

(١) راجع ما كتب على آبل في الحاشية رقم (٧) ص (٤١) وتعرف اليوم بسوق وادي بردى .

(٢) راجع الحاشية رقم (٥) ص (٦٩) .

(٣) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) . في دبيقي ثوبه في إزار ؟ (ك) .

(٤) آبل السوق : هي قرية سوق وادي بردى وقد تصحفت في جميع النسخ إلى الشوق .

(٥) صيدنائية : نسبة إلى صيدنايا وهي كما في معجم البلدان : « بلد من أعمال دمشق مشهور بكثرة الكروم والخمر الفائق » . وقاري : نسبة إلى قارة وهي قرية كبيرة في جبل القلمون على طريق حمص والبيت ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٦) مشرق (ك ، ف) .

(٧) نجبين (ك ، ف) .

(٨) شعر (ح ، ص) .

ما رأى الناسُ قبلهُ بدرَ ليلٍ طافَ في مجلسٍ بشمسِ نهارِ [1]

في [2] رياضٍ مثلِ السماءِ اخضراراً زيَّنتْها أزاهرٌ [3] كالدراري

أحكمَ الصُّنعَ شهرُ كانونَ فيها فشذاها [4] يُثني على آذارِ

مثلُ رزقي ببدرٍ لي بخراسا (م) نَ ومدحي في أهلِ جَيرونَ [5] جاري

أعتامُ وهيهاتَ أقصى اا (م) دهرُ عنهم داري وشطَّ مزاري [6]

غيرَ أنّي أطوفُ في طلبِ الرِّز (م) قِ كأنّي كُلِّفْتُ مَسحَ البراري

ومحالٌ قولي لنفسي عزاءً سرعةُ السيرِ عادةُ [7] الأقمارِ

لو يُخاتَى القطا لنامَ ولو خلَّـ (م) ـيتُ لم أرمِ عن وِجاري وَجاري

ولو انّي خُيِّرْتُ في هذه الدُّ (م) نيا لما اخترتُ غيرَ قومي وداري

فأيادي [8] مبارزِ الدينِ أدنى لثَرائي [9] وعزمُهُ لانتصاري

أدركتني نُعماه [10] في آخرِ الهِنْـ (م) ـدِ فما ظنُّكم به وهو جاري

---

(١) النهار (م ، مث ، ب).

(٢) ورياض (ظ ، م ، مث ، ب).

(٣) جواسق (ظ ، ك ، ف ، ب ، ح ، ص).

(٤) ورياها تثني (ظ ، م ، مث ، ب) فرياها تثني (ح ، ص).

(٥) جيرون شرق الجامع الأموي وقد يطلق على دمشق.

(٦) ساقط من (ح ، ص).

(٧) شيمة (ك ، ف ، ب) سُنَّة (ح ، ص).

(٨) وأيادي (ك ، ف ، ح ، ص).

(٩) لغنائي (ك ، ف) لغناء؟ (ح ، ص).

(١٠) لهاه (م ، مث).

أمَّنتني يمناه من جورِ أيا (م) مي وجادت يَسارُه بيَساري

مهَّدَ الشامَ عدلُه فالطَّلا الأخْـ (م) ـرقُ يرعى مع الذئابِ الضواري

دامَ تُخطيه حادثاتُ المنايا [1] نافذاً حكمُه على الأقدارِ

وقال يتشوق إلى دمشق وكتب بها إلى الأمير بدر [2] الدين مودود الشحنة بدمشق:

رعى اللهُ قوماً في دمشقَ أعزةً [3] عليَّ وإن لم يحفظوا [4] عهدَ من ظَعَنْ

أحبةَ قلبي في الدُّنُوِّ وفي النَّوى وأقصى أماني النفسِ في السرِّ والعلنْ

أناساً أعدُّ الغدرَ منهم بذمّتي وفاءً وألقى [5] كلَّ ما ساءني حسنْ

وكم فوَّقوا نحوي سهاماً على النَّوى فأصْمَتْ فؤادي واعتددتُ بها مِنَنْ

وقد [6] وعدتني النفسُ عنهم بسلوةٍ ولكن [7] إذا ما قمتُ في الحشرِ بالكفنْ

يُذكِّرني البرقُ الشآميُّ إنْ خفا [8] زماني بكم يا حبذا ذلك الزمنْ

---

(١) الليالي (ك ، ف).

(٢) الأمير بدر الدين مودود بن شاهنشاه بن أيوب كان شحنة دمشق (البداية والنهاية ١٣/١١٥).

(٣) أحبةٌ إلي (ك ، ف ، ح ، ص).

(٤) يعرفوا قدر (ح ، ص) يحفظوا حق (ظ ، م ، مث ، ب).

(٥) وألقى (م ، ح ، ص).

(٦) وكم (ظ ، م ، مث ، ب).

(٧) إذا ما لقيت الله في الحشر والكفن (ظ) إذا ما لقينا... (م ، مث ، ب ، ك ، ف).

(٨) هفا (ظ ، م ، مث ، ب) وهو تصحيف خفا ، يقال خفا البرق أي لمع بدا (ح ، ص).

ويا حبذا الهضبُ الذي دون عزتا[١] إذا ما بدا والثلجُ قد عمَّمَ القُنَنْ
أحبابَنا لا أسألُ الطيفَ زورةً وهيهاتَ أين الدباميات[٢] من عدَنْ
وهبكم سمحتم والظنونُ كواذبٌ بطيفكم أين الجفونُ من[٣] الوسَنْ
وكم قيلَ لي في ساحةِ الأرضِ مذهبٌ وعن وطنٍ للنفس[٤] ميلٌ إلى وطنْ
وهل نافعي أنَّ البلادَ كثيرةٌ أطوفُ بها والقلبُ بالشامِ مرتهنْ
وما كنتُ بالراضي بصنعاءَ منزلاً ولو نلتُ من غُمدانَ ملكَ ابنِ ذي يزَنْ[٥]
على عطفةٍ بدرية تعكسُ النوى فألقى قريرَ العينِ بالأهلِ والوطنْ[٦]

* * *

(١) راجع الحاشية رقم (٥) ص (٦٩) .
(٢) الدبلميات : من ضواحي دمشق كما في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٤ وفي ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادى ص ١٢٦ و ١٢٧ ما يوهم أن الدبلميات بين محلة الشويكة وطريق كفر سوسية ، وقد تنوسي هذا الاسم اليوم . وعدن من أشهر سواحل اليمن . الحالقيون (م) الجلقيون (مث ، ب) بدل الدبلميات .
(٣) أين الرقاد أو الوسن (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٤) في النفس (ب) .
(٥) صنعاء : مدينة اليمن العظمى . وغمدان : قصر عظيم بصنعاء . وسيف بن ذي يزن من ملوك اليمن . والبيت لم يرد في (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) والسكن (ك ، ف) .

وقال أيضاً وكتب بها إلى نجيب الدين بن عين العرضي[١] وكانا قد اجتمعا في بلاد العجم :

لولادَ كارُكَ تلَّ[٢] راهطَ والحمى ماسحٌ جفنُكَ بالدموعِ ولاهمى
أنّى اتجهتَ رأيتَ روضاً مُحدِقاً بشفا غديرٍ[٣] كالمجرةِ والسما[٤]
يا أهلَ ودي بالشآمِ تحيةً من نازحٍ لم يبقَ فيه سوى ذما[٥]
وإذا سقى اللهُ البلادَ فلا سقى بلدَ الهنودِ سوى الصواعقِ والدما
قد غيَّرتْ غيَرُ الليالي كلَّ حا (م) لاتي ؛ وشوقي والغرامُ هما هما
وشكيّتي[٦] بُعدُ النجيبِ فإنه قد كان لي من جورِ أيامي حمى
عهدي بأنيابِ النوائبِ[٧] عنده دُرْداً وظفرِ الحادثاتِ مقلّما
كم مدَّ صرفُ الدهرِ نحوي كفَّهُ لظلامةٍ فثناه عني أجذما
ورنا إليَّ بعينه شزْراً فما أغضى بها إلا وأثمدُها العمى
ولطالما شِمتُ السحابَ وكفَّهُ فتدافقا[٨] فجهلتُ أيهما السما

(١) لم نقف على ترجمته .
(٢) راهط : موضع في الغوطة من دمشق بعد مرج عذراء ويقال له مرج راهط (معجم البلدان) .
(٣) بشفاء غدر كالمجرة في السما (م) .
(٤) ... في السما (ظ ، مث) .
(٥) الدما (ظ) والبيت ساقط من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) وشكيت من بعد ... (ف) .
(٧) الحوادث (مث) .
(٨) متدافقاً (ب) والبيت ساقط من (ح ، ص) .

وقال يتشوق إلى معاهده وأترابه في دمشق :

لطيفكم عندي يد لا أضيعها ساشكرها شكر الرياض يد القطر
تجشم أهوال السرى لا[1] يصده مهيب ولا يرتاع من موحش قفر
بأرض يحار الركب في فلواتها على أن هادي[2] القوم فيها القطا الكدري
رعى الله أياماً تقضت بقربكم وعصر الصبي يا حبذا ذاك من عصر
فسائر أيامي لديكم مواسم وكل الليالي عندكم ليلة القدر

وقال يتشوق إلى دمشق :

ذراها إذا رامت معاجاً إلى الحمى فقد هاج منها البرق داء مكتما[3]
أضاء لنا من جانب الغور لامع[4] يلوح بواد بالدجنة قد طما
فذكرني[5] إيماضه كلما خفا زماناً مضى رغداً وعصراً[6] تصرما
وأيام دوح الغوطتين[7] وظلها الـ (م) ظليل إذا صام الهجير وصمما
وروضاً إذا ما الريح فيه تنسمت سحيراً تخال المندل الرطب أضرما

(١) ما (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) حادي (م ، مث) .
(٣) سقط من هذه القصيدة أحد عشر بيتاً أولها هذا البيت من (ظ) مع ورقة سقطت من النسخة المذكورة .
(٤) ... لامعاً يلوح وبحر للدجنة قد طما (ح ، ص) .
« « وآذي الدجنة « « (ك ، ف) .
(٥) يذكرني (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) وعيشاً (ح ، ص) .
(٧) الرقمتين (م) . راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٦) .

سقى الله ذاك الروض عني مدامجا[1] من السحب موشي الجوانب أسحما[2]
فكم قد قصرت الليل فيه بزائر تجشم أهوال السرى وتهجما[3]
مخالس عين[4] الكاشحين ومن يخف عيون العدى يركب من الليل أدهما
وكأس حباها بالحباب مزاجها فألقى عليها المزج عقداً منظما
كميت[5] إذا ما نلت منها ثلاثة رأيت السما كالأرض والأرض كالسما
وغشى على عيني منها غشاوة فلا[6] أنظر الأشياء إلا توهما
وأهيف عسال القوام كأنه قضيب على دعص من الرمل قد نما
تحمل في أعلاه[7] شمساً أظلها بليل وأبدى من ثناياه أنجما
وما كان يدري ما الصدود وإنما تصدى له الواشون حتى تعلما
فأصبح غيري يجتني شهد ريقه شهياً وأجني من تجنبه علقما[8]
وخاف على الورد الذي غرس الحيا بوجنته من أن ينال ويلثما[9]

(١) مدبجاً (ك ، ف) مدلجاً (ب) .
(٢) أسجما (ب) والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٣) وتجهما (م ، مث) ويجهما (ك ، ف) .
(٤) مر (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) يعينا (ح ، ص) .
(٦) فما (م ، مث ، ب) .
(٧) من علياه (م ، مث ، ب) .
(٨) فأصبح غيري يجتني شهد ريقه هنيا .... (ك ، ف ، ب) .
« « « ورد خده جنيا ... (ح ، ص) .
(٩) فيلثما (ح ، ص) .

وكتب إلى أخيه من الهند :

وماحائمات[١] في الصيف ظمؤها   فجاءت والرمضاء غلي[١] المراجل
فلما رأين الماء عذباً وأقبلت   عليه[٢] رأين الموت دون المناهل
فعادت ولم تنقع غليلاً وقد طوت   حشاها على سم[٣] الأفاعي القواتل
بأكثر من شوقي إليك ولوعتي   عليك وإن لم أحظ منك بطائل

* * *

وكتب إليه أيضاً :

أأنْ حن مشتاقٌ ففاضت دموعُه   غدت عذلٌ شتى حواليه تعكفُ
وما زال في الناس المودةُ والوفا   فمالي على حفظ العهود أعنَّفُ[٤]
نعم إنني صبٌّ متى لاح بارقٌ   من الغرب لا تنفك[٥] عيني تذرفُ
وماقيل قد وافى من الشام مخبر[٦]   عن القوم إلا أقبل القلبُ يرجفُ
وأعرضُ عن تسآله عنك خيفةً   إذا خفَّ كلٌّ نحوه يتعرفُ
فكيف[٧] احتيالي بالليالي وصرفُها   بضد مرادي دائماً يتصرفُ
أحاولُ أن أمشي إلى الغرب راجلاً[٨]   وأحداثها بي في فم الشرق تقذفُ

* * *

(١) عز في الصيف نقعها ... حر . (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) إليه (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٣) وكر (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ظ) .
(٥) لا ينفك غربي (ك ، ف ، م ، مث ، ب) .
(٦) مقبل . من القوم إلا ظل قلبي يرجف (ح ، ص) .
(٧) وكيف احتيالي في الليالي (ك ، ف ، ح ، ص) والبيت لم يرد في (ظ) .
(٨) راحلاً (ظ ، ب) .

فسلَّ عليه مرهفاً من جفونه   وأرسل فيه من عذاريه أرقما
أعظمه مما أرى من جماله[١]   كما عظَّم القسيس عيسى بن مريما
حلفت برب الراقصات إلى منى   ومن فرض السبع الجمار ومن رمى
لما أرجاتُ الروض جاءت بها الصبا   سحيراً ولا الماء الزلال على الظما
ولا فرحة الإثراء من بعد فاقة   على قلب من مانال في الدهر مغنما
بأحسن وجهاً من حبيبي مقطباً   فكيف إذا عاينته متبسما

* * *

وبعث إليه أخوه بسجادة مع تاجر فلم يوصلها إليه فأتاه وأنشده موريًا عنها بمصلى دمشق :

ألا خبروني عن حمى تل[٢] راهط   يلذُّ به سمعي وإن فاتني النظرْ
وقصّاً أحاديث المصلّى وأهله[٣]   عليَّ فمالي في سوى ذاك من وطرْ
لقد طال عهدي بالمصلّى فليتني[٤]   رأيت المصلّى أو سمعت له[٥] خبرْ

* * *

(١) كذا له (ظ) وهذا البيت ومابعده إلى آخر القصيدة ساقط من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٢) تل راهط : راجع الحاشية رقم (٣) ص (٧٣) . وورد في (ك ، ف) مثل راهط .
(٣) وأهلها (ك ، ف) .
(٤) وليتني (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) لها (ك ، ف) .

وكتب إليه جواباً على كتاب يتشوق إلى دمشق ويتكلف التصبر[١] عنها:

يا سيدي وأخي لقد أذكرتني[٢] عهد الصبى ووعظتني ونصحت لي
أذكرتني وادي دمشق وظلَّه الـ(م) ـضافي على صافي البرود السلسل
ووصفت لي زمن الربيع وقد بدا هرم الزمان إلى شباب[٣] مقبل
وتجاوب الأطيار فيه فطرب يلهي الشجي ونائح يشجي الخلي
يغني[٤] النديم عن القيان غناؤها فالعندليب بها رسيل البلبل
فكأنها[٥] أخذت عن ابن مقلد قول المسرّج في الثقيل الأول
ومدامة من صيدنايا نشرها من عنبر وقميصها[٦] من صندل
مسكية النفحات يشرف أصلها عن بابل ويجل عن قطربل[٧]
وتقول أهل دمشق أكرم معشر[٨] وأجلهم[٩] ودمشق أفضل منزل

---

(١) نقلت هذه القصيدة من باب الهجاء.
(٢) ذكرتني (ب).
(٣) الشباب المقبل (ح، ص).
(٤) لم يرد هذا البيت في (ب). والرسيل: من راسله الغناء أي باراه في إرساله.
(٥) وكأنما (ك، ف) والبيت لم يرد في (م، مث، ب) والمراد بابن مقلد والمسرج مغنيان لم نقف على ترجمة لهما إما لشهرتهما بغير هذه النسبة أو لتصحيف لم يظهر لنا معه وجه الصواب. والثقيل الأول: لحن.
(٦) وعبيرها (ك، ف) راجع ما كتب على صيدنايا في الحاشية رقم (٥) ص (٧٥).
(٧) لم يرد (ك، ف). وبابل وقطربل: مشهورتان بالخمر.
(٨) مقتد (ك) معقل (ف).
(٩) وأجله (ظ، م، مث، ب).

وصدقت[١] إن دمشق جنة هذه الـ(م) ـدنيا ولكن الجحيم ألذ لي
لا الحاكم[٢] المصري ينفذ حكمه فيها علي ولا العواني الموصلي
هيهات أن آوي دمشق وملكها يعزى إلى غير المليك الأفضل[٣]
ومن العجائب أن يقوم بها أبو بكر[٤] وقد علم الوصية في علي
مهلاً أبا حسن فتلك سحابة صيفية عما قليل تنجلي

* * *

---

(١) وذكرت (ظ).
(٢) لا الرايض الحلبي (ك، ف، ح، ص). يريد بالحاكم المصري: جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المصري قاضي القضاة في دمشق توفي سنة ٦٢٣ (البداية والنهاية ١٣/١١٥) ويريد بالموصلي: المبارز إبراهيم بن موسى المعروف بالمعتمد أصله من الموصل وقدم الشام وصار شحنة دمشق واستقر بعمله هذا أربعين سنة وكان محمود السيرة توفي سنة ٦٢٣ (البداية والنهاية ١٣/١١٥). أما لفظة عواني: فهي عامية وما زال أهل دمشق ينبزون بها من لا يؤمن شره من أعوان الحكومة. ولعل أصلها أعواني نسبة إلى أعوان الحكومة. على أن للأعوان معنى آخر أيضاً فمن أمثال العرب «إذا جاءت السنة جاء معها أعوانها» يعنون بالسنة الجدب وبالأعوان الجراد والذباب والأمراض.
(٣) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة من (ظ، م، مث، ب، ح، ص). والملك الأفضل: هو علي بن السلطان صلاح الدين.
(٤) أبو بكر: الملك العادل. وعلي: الملك الأفضل. ويشير بذلك إلى أخذ الملك العادل دمشق من ابن أخيه الملك الأفضل سنة ٥٩٢.

وكتب إلى أخيه من الهند وضمّن بيت أبي العلاء المعري :

ساءت كتبُك في القطيعةِ عالماً   أنّ الصحيفةَ أعوزت(١) من حاملِ
(وعذرتُ طيفكَ في الجفاءِ لأنّه   يَسري فيصبحُ دوننا بمراحلِ)

* * *

وقال يتشوق إلى دمشق من عدن :

يا برقُ حيِّ إذا مررتَ بعزَّتا(٢)   أهلي وإنْ زادوا جفاً وتعنّتا
أبلغهم عني السلامَ وقلْ لهمْ   أحبابَنا(٣) هذا الصدودُ إلى متى
طالَ انتظاري للتلاقي فاجعلوا   لصدودكم(٤) أجلاً يكونُ موقّتا
كم أحملُ الشوقَ(٥) المبرّحَ والأسى   لو كان قلبي صخرةً لتفتّتا
يا سادةً فارقتُ يومَ فراقهم   عقلي وطلقتُ السرورَ مُبَتّتا
حرُمتْ بعدكمُ وذاك يحقُّ لي   لبسَ الجبابِ وتبتُ عن ذكر الشتا(٦)
أحبابَنا بدمشقَ دعوةَ نازحٍ   لعبتْ(٧) به أيدي النوى فتشتّتا

(١) عوزت (ك) وفي ابن خلكان ٢/٣٣ « لم تجد من حامل » . والبيتان ساقطان من (مث) .
(٢) راجع عزّتا في الحاشية رقم (٥) ص (٦٩) .
(٣) حتى متى هذا الصدود إلى متى (م ، مث) .
(٤) لوصالنا (ظ) والبيت ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٥) الضيم (ح ، ص) .
(٦) ساقط من (م ، مث ، ح ، ص) .
(٧) كف النوى لفراقه قد شتنا (م ، مث) .

أشكو إليكم فرطَ وجدٍ(١) لم يزلْ   حيّاً يلازمني وصبراً(٢) ميّتا
عجباً لروحي يومَ جدَّ فراقُكم   إذ(٣) لم تفظْ(٤) والقلبُ كيف تفتّتا

* * *

وقال يتشوق إلى دمشق :

ألا ليتَ شعري هل تبيتُ مُغِذّةً   ركابيَ ما بينَ النعائمِ(٥) والنسرِ
تُجاذبُ ما بينَ(٦) المناظرِ ناظراً   مريعاً وتتلو مغربَ الطائرِ النسرِ
وترتعُ مِن روضِ الحمى في مراتعٍ(٧)   أربتْ(٧) بها الفرغينِ في مُطفي الجمرِ
ولازمَها(٨) سعدُ السعودِ وصحبُه   إلى أن تلاقى(٩) الضبُّ والنونُ في وكرِ
وأهدى لها الوسميُّ سبعاً وسبعةً   طلوعَ الزُّبانى(١٠) قبلَ ذاكَ مع الفجرِ

(١) شوق (م ، مث) .
(٢) وصبري (ب) .
(٣) أن (ك) .
(٤) تفض (مث) .
(٥) النعائم : منزل من منازل القمر . والنسر كوكب : وهما اثنان النسر الواقع والنسر الطائر .
(٦) من بين (م ، مث ، ب) .
(٧) مرابع . أوبت (ك ، ف) . وفرغا الدلو : كوكبان . ومطفي الجمر : سادس أيام العجوز .
(٨) ولازمه (ك ، ف ، ب ، ح ، ص) . وسعد السعود : من منازل القمر .
(٩) يلاقي (ك ، ف) .
(١٠) زبانيا العقرب كوكبان نيران . « ... بين ذاك إلى الفجر » (ظ) .
وأهدى لها الوسمي صنعاً وحكمة   طلوع الثريا بعد ذاك مع الفجر (م ، مث) .

فانبسطت كفُ الخضيبِ[1] بنانَها على الأرضِ إلا وهي موشيّةُ الأزرِ
فلاحبراتُ العصبِ[2] من نسجِ حِميَرٍ حكتْها ولاما وشّعَ القبطُ في مصرِ

* * *

وقال يتشوق إلى دمشق[3]:

أبعدَ مُقامي في دباوند[4] أبتغي دمشقَ لقد حاولتُ عنقاءَ مُغْرِبِ
وما قبضتْ كفُّ الخضيبِ[5] على يدي ولاحطَّ فوقَ الطائرِ النسرِ مركبي[6]
فيا حبذا قومٌ هناكَ وحبذا من الأرضِ غربيُّ الحَدالى[7] وغُرّبِ
لئن أشرفتْ بي في الشآمِ ثنيةٌ أرى كوكباً[8] من فوقِها مثلَ كوكبِ

(١) الكف الخضيب : نجم .
(٢) العضب ؟ (ك ، ف) .
(٣) هذه القصيدة ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٤) دباوند : كورة من كور الري . بداوند (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) الكف الخضيب : نجم . كف الحصيب (ك ، ف) .
(٦) منكبي (ح ، ص) .
(٧) الحدالى : موضع بين الشام وبادية كلب المعروفة بالسماوة ذكره المتنبي فقال :
فلله سيري ما أقل تئية عشية شرقي الحدالى وغُرّبُ
وغُرّب : اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب . (معجم البلدان)
فيا حبذا قوم هناك أعزة من العرب غربي الحدالى وغرب (ظ)
« « وحبذا من الأرض شرقي « « (ح ، ص)
(٨) كوكب : اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية افتتحها صلاح الدين ثم خربت . (معجم البلدان) .

ولاح سَنيرٌ[1] عن يميني كأنّهُ سنامُ رعيبٍ[2] فوقَ غاربِ مصعبِ
ولاحتْ جبالُ الثلجِ[3] زُهراً كأنّها ضياءُ[4] صباحٍ أو مفارقُ أشيبِ
وشامتْ قلوصي من حِمى تل راهطٍ[5] رياضاً حكتْ وشيَ اليماني المعصّبِ[6]
وسرّحتُها في ظل أحوى تدفّقتْ بأرجائه الأمواهُ من كل مَشربِ[7]
إذا ضاعَ ريّاهُ أذاعتْ طيورُهُ الـ(م) حديثَ فتُغني عن قيانٍ ومِسحبِ[8]
لعزّةَ دفرٌ حينَ تُوقدُ نارُها لديه ومتفالٌ به أمُّ جُندبِ[9]

(١) يريد بسنير هنا قلعة سنير التي كانت قائمة على رأس جبل سنير . راجع الحاشية رقم (٨) ص (١٧) .
(٢) الرعيب : السمين . زعيب (ظ) « سنام بعير فوق غارب أصهب » (ك ، ف) .
(٣) راجع الحاشية رقم (٩) ص (١٩) .
(٤) صديع صباح (ح ، ص) والبيت ساقط من (ظ) .
(٥) راجع الحاشية رقم (٣) ص (٧٣) .
(٦) المقضب (ك ، ف) الغمام المقصب (ح ، ص) .
(٧) مسرب (ح ، ص) .
(٨) ومسحب (ح ، ص) .
(٩) الدفر : الرائحة الكريهة وفي الأصل ذفر وهو تصحيف . والمتفال : المرأة الكريهة الرائحة وفي الأصل متقال وهو تصحيف . وفي قوله : « لعزة دفر ..... » إشارة إلى قول كثير عزة :
فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارُها
بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدتْ بالمندل الرطب نارُها
وفي قوله : « ومتفال به أم جندب » إشارة إلى قول امرئ القيس :
فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب
ألم تر أني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
يريد أن عزة الطيبة الأردان تكون دفراء وأم جندب الطيبة الريح تكون متفالا بالاضافة إلى طيب ريا رياض دمشق .

غفرتُ لدهري ما جنى من ذنوبه   وأصبحتُ راضي القلب عن كل مذنبِ (١)
أحنُّ إلى قومٍ هناك أعزَّةٍ   عليَّ وقومٍ في عراص المقطَّبِ (٢)
أأرجو (٣) وقد حاولتُ في الهند عودةً   إليهم لقد حاولتُ أطماع أشعبِ

* * *

وقال وقد سمع هديل حمامة بسمرقند :

دعت (٤) في أعالي الصُّغْدِ يوماً حمامةٌ   على فَنَنٍ في ظل ريَّانَ كالِيَمِ
فهاجتْ مشوقاً واستفزَّتْ متيَّماً   وأبكتْ غريباً واستخفَّتْ أخا حِلمِ

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ح ، ص) .
(٢) يريد بالمقطب جبل المقطم راجع الحاشية رقم (٢) ص (٩١) .
(٣) وأرجو (ك ، ف) أأرجو وقد أوغلت ... (ح ، ص) . وأشعب كان شديد الطمع يضرب به المثل .
(٤) بكت في أعالي السغد ... (ظ) . وصغد سمرقند ويقال سغد سمرقند إحدى جنان الدنيا الأربع وهي : غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبلة وشعب بوّان .

الباب الرابع
في الوقائع والمحاضرات

كتب ابن عنين إلى الملك المعظم من دمشق إلى مصر (١) :

تحيةُ مشتاقٍ بعيدٍ مزارُهُ   أبى شوقُه أنْ يستقرَّ قرارُهُ
إذا نفحةٌ مرَّتْ به قاهريةٌ   ذكتْ في الحشا بين الجوانحِ نارُهُ
وماشامَ من أعلا المقطَّمِ (٢) جفنُه   سنا بارقٍ إلا توالتْ قُطارُهُ
حديثُ صقالِ الخدِ لم يذوِ وردُهُ   ولا دبَّ كالريحانِ فيه عذارُهُ
إذا زادَهُ جنياً وشماً متيَّمٌ (٣)   ذكا وردُ خديه وزادَ احمرارُهُ
ضمانٌ على عينيه إنْ طاش سهمُهُ (٤)   إذا مارمى (٥) أن لا يطيش احورارُهُ
خليليَّ لا والله ما القومُ قومُهُ   إذا غابَ (٦) من يهوى ولا الدارُ دارُهُ
فإنْ أنتما لم تُسعداني على الهوى   ذَراني وشوقي عزَّهُ لي وعارُهُ
أحنُّ إلى مصرٍ ويا ليتَ أنَّ لي   إذا ذُكرتْ مصرٌ (٧) جناحاً أعارُهُ

(١) هذه القصيدة نقلت من باب المديح .
(٢) المقطب (ك ، ح ، ص) .
(٣) اذا ماتمطى نازعاً في حنية   ذكا ورد خديه وزاد احمراره (ك ، ح ، ص)
(٤) جفنه (ك) .
(٥) رنا (ح ، ص) .
(٦) بات (ح ، ص) ولعلها مصحفة عن (بانَ) .
(٧) جناح ؟ (ك) والبيت كله ساقط من (م) .

فآوي إلى ظلٍ ظليلٍ ونائلٍ   جزيلٍ وملكٍ حالفَ العزَّ جارُهُ

* * *

وكتب إليه وهو مريض :

أُنظرْ إليَّ بعينِ مولىً لم يزلْ   يُولي النَّدى وتلافَ قبلَ تلافي

أنا كالذي أحتاجُ ما يحتاجُه   فاغنمْ ثوابي (١) والثناءَ الوافي

فلما قرأها أتاه بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار وقال : هذه الصلة وأنا العائد .

* * *

وكتب إليه أيضاً :

كأنيَ مِن أخبارِ إنَّ ولم يُجزْ   له أحدٌ في النحوِ أنْ يتقدَّما (٢)

عسى حرفُ جرٍ مِن نداكَ يجرُّني   إليكَ فأضحي مِن زماني مُسَلَّما

* * *

وكان الملك المعظم قد غضب على القاضي زكي الدين بن محي الدين قاضي دمشق وأراد عزله ، فبعث إليه بقلنسوة صفراء وقباء أصفر وأمره بلبسهما في مجلس حكمه (٣) . فانقطع ابن عنين عند ذلك في مسجد وأظهر التوبة . فبعث إليه الملك المعظم بقنينة خمر وفصوص للنرد يداعبه بذلك .

---

(١) فاغنم ثنائي والدعاء الوافي (ح ، ص) فاغنم دعائي ... ... (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٠) وانظر أيضاً ابن خلكان (١/٥٠٢) .

(٢) هذان البيتان ساقطان من (ح ، ص) .

(٣) كان ذلك سبب موت القاضي إذ أن ما أمر بلبسه لم يكن من ثياب القضاة ، فعدّه إهانةً وتحقيراً له وانصرف الى داره ومرض ومات كمداً وكان ذلك سنة ٦١٧ انظر شذرات الذهب ٥/٧٣ ومرآة الزمان ٨/٣٩٧ — ٣٩٨ .

فقال ابن عنين مخاطباً له :

يا أيها الملكُ المعظَّمُ سنةٌ   أحدثتَها تبقى على الآبادِ

تجري الملوكُ على طريقِك بعدها   خلعُ القضاةِ وتحفةُ (١) الزُهادِ

* * *

وله من أبيات يخاطب بها الملك المعظَّم :

إذا لقيتَ الأعادي يومَ معركةٍ   فإنَّ جمعهمُ المغرورَ مُنتَهبُ (٢)

لكَ النفوسُ وللطيرِ اللحومُ ولل(م)   وحشِ العظامُ وللخيّالةِ السَّلَبُ

* * *

وقال يطلب منه الإقالة من الديوان (٣) :

أقلْني عِثاري واحتسبْها صنيعةً   يكونُ برُحْماها لكَ اللهُ جازيا

كفى حزَناً أن لستَ ترضى ولا أرى (٤)   فتىً راضياً عني ولا اللهَ راضيا

ولستُ أُرجّي بعدَ سبعينَ حجةً   حياةً وقد لاقيتُ فيها الدواهيا

ولا بُدَّ أنْ ألقى الردى من مصمِّمٍ (٥)   فكم يتوقّى مَن تخطّى الأفاعيا

---

(١) وآلة الزهاد (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) وفي مسالك الابصار (١٠/٥٦٧) « مما كتب به إلى الملك المعظم عيسى » والبيتان ساقطان من (م ، مث ، ب) والمشهور نسبتهما إلى عنترة العبسي بتحويل ضمير المخاطب إلى المتكلم ، راجع ديوان عنترة ص (٩) .

(٣) هذه القطعة ساقطة من (ص) .

(٤) ولا ترى (ح) .

(٥) بمصمم (ك) « ولابد أن ألقى المنون مصمما وهل يخطي مابس يخطي الأفاعيا » (ظ ، م ، مث ، ب) .

وقال لما نفي من دمشق[1] :

فعلام أبعدتم أخا ثقة   لم يجترم[2] ذنباً ولا سرقا

أنفوا المؤذن من بلادكم[3]   إن كان ينفى كل من صدقا

* * *

ولما عاد إلى دمشق وتقدم بها عند الملك المعظم قال[4] :

هجوت الأكابر في جلق[5]   ورعت الوضيع[6] بهجو الرفيع

وأخرجت منها ولكنني   رجعت[7] على رغم أنف الجميع

* * *

وحضر درس فخر الدين[8] الرازي بخوارزم في يوم شات وقد سقط ثلج كثير ؛ فاذا حمامة يطردها صقر ، فألقت نفسها في حجر الفخر الرازي فرجع عنها الجارح ، ورق لها الشيخ وأخذها بيده ، فقال ابن عنين في الحال :

---

(١) لم ترد في (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) جرما (ك ، ح ، ص) لم يقترف ذنباً ... (ابن خلكان ٢/٣٣) .

(٣) دياركم (ح ، ص) .

(٤) ساقطة من (ظ) .

(٥) بلدتي (م ، مث ، ب) .

(٦) ورعت الوضيع بسب الرفيع (ابن خلكان ٢/٣٤) ورعت الرفيع بسب الوضيع (مسالك الابصار ١٠/٥٥٧) .

(٧) رفعت (ك) .

(٨) انظر فخر الدين الرازي في الحاشية رقم (٣) ص (٥٣) .

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا[1]   في كل مخمصة[2] وثلج خاشف

العاصمين إذا النفوس تطايرت   بين الصوارم والوشيج الراعف

من نبأ الورقاء أن محلكم[3]   حرم وأنك ملجأ للخائف

وفدت عليك وقد تدانى حتفها   فحبوتها ببقائها المستأنف

ولو انها تحبى بمال لانثنت   من راحتيك بنائل متضاعف

جاءت سليمان الزمان بشكوها[4]   والموت يلمع من[5] جناحي خاطف

قرم لواه القوت[6] حتى ظله   بإزائه يجري بقلب واجف[7]

* * *

---

(١) إذا اشتووا (ظ) إذا اشتوى (م ، مث) .

(٢) مسغبة (ابن خلكان ١/٦٠١) و (معجم الأدباء لياقوت ٧/١٢١) .

(٣) جنابكم (م ، مث ، ب) .

(٤) اشكوها (م ، مث ، ب) بشجوها (ظ ، ح ، ص) .

(٥) في (ظ) .

(٦) الجوع (ظ) ورواه ياقوت في معجم الأدباء ٧/١٢١ هكذا :

قرم يطاردها فلما استأمنت   بجنابه ولى بقلب واجف

وفي مسالك الأبصار (١٠/٥٥٩) :

قرم لواه الجوع ثم أعاده   من دونها يهوي بقلب واجف

(٧) قال ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ٢/٢٣ : « حدثني شمس الدين محمد الوتار الموصلي قال : كنت ببلد هراة في سنة وستمائة وقد قصدها الشيخ فخر الدين بن الخطيب من بلد باميان وهو في أبهة عظيمة وحشم كثير فلما ورد إليها تلقاه السلطان بها وهو حسين خرميل وأكرمه إكراما كثيراً ونصب له بعد ذلك منبراً وسجادة في صدر الإيوان من الجامع بها ليجلس في ذلك الموضع ويكون له يوم مشهود يراه فيه سائر الناس ويسمعون كلامه . وكنت في ذلك اليوم حاضراً مع جملة الناس وإلى جانبي شرف الدين بن عنين –

واقترح عليه فخر الدين الرازي أبياتاً في كل كلمة منها سين فقال(١) :

مرسى السيادة سدة سيفية(٢)   محروسة مسعودة التأسيس
سيف يسرك سله وسؤاله   لمساءة(٣) يوسي وسلب نفوس

الشاعر رحمه الله وذلك المجلس حفل جداً بكثرة الناس والشيخ فخر الدين في صدر الايوان وعن جانبيه يمنة ويسرة صفان من مماليكه الترك متكئين على السيوف، وجاء إليه السلطان حسين بن خرمين صاحب هراة فسلم وأمره الشيخ بالجلوس قريباً منه، وجاء إليه أيضاً السلطان محمود ابن أخت شهاب الدين الغوري صاحب فيروزكوه فسلم وأشار إليه الشيخ أيضاً بالجلوس في موضع آخر قريباً منه من الناحية الأخرى؛ وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم وفصاحة بالغة. قال وبينا نحن عنده في ذلك الوقت وإذا بحمامة في دائر الجامع ووراءها صقر يكاد أن يقتنصها وهي تطير في جوانبه إلى أن أعيت فدخلت الايوان الذي فيه الشيخ ومرت طائرة بين الصفين إلى أن رمت بنفسها عنده ونجت. فذكر شرف الدين بن عنين أنه عمل شعراً على البديه ثم نهض لوقته واستأذنه في أن يورد شيئاً قد قاله في المعنى فأمره الشيخ بذلك فقال :

جاءت سليمان الزمان بشجوها   والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبأ الورقاء أن محلكم   حرم وأنك ملجأ للخائف

فطرب لها الشيخ فخر الدين واستدناه وأجلسه قريباً منه وبعث إليه بعد ما قام من مجلسه خلعة كاملة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً إليه. قال لي شمس الدين الوتار: لم ينشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين وإنما بعد ذلك زاد فيها أبياتاً أخر».

(١) نقلت من باب المديح.

(٢) مرس السيادة سن سنة سيفه (ظ، م، مث، ب).
فرش السيادة سدة سيفية (ك).

(٣) بمساءة يؤسى (ظ، ب) بمساءة يوسى (م، مث) لساءة توسى (ك) لمساق بؤس أو لسلب نفوس (ح، ص) ويوسي: يقطع.

سبق السراة بسيرة وسريرة   محسودتين(١) وسار سير رئيس
حسنت سريرته وقدس سنخه(٢)   وسما بأسلاف سراة شوس
أسلاف سادات سما(٣) بجلوسهم   رأس السرير ومسند التدريس
سدوا وسادوا واستجدوا(٤) للسخا ا (م)   منسوخ طاسم رسمه المدروس
سنوا السماح فأسرفت سؤالهم   فإساءة إحسانهم بالعيس
ويسر سارية السحاب قياسها(٥)   بسماحه وبسيبه المبجوس
والسحب ممسكة فلست أقيسها(٦)   بسيول سيب للسحاب خبوس(٧)
فسرة(٨) المستنين مساءة   سبقت لسرح سوامه والكيس
آنست من أستار سدته سنا   قبس فسقت(٩) نفيسة لنفيس
وسقيتها سال سحر مسكر   للسامعين وسقتها كعروس
فاستحلها واستجلها حسناء أ ا (م)   بسها سناسمك أحسن الملبوس(١٠)

* * *

(١) مسعودتين (ح، ص).

(٢) سره (ح، ص).

(٣) سموا (ظ، م، مث، ب) سما بسماحهم (ح، ص).

(٤) واستجادوا (ب) والبيت ساقط من (ح، ص).

(٥) قياسهم (ظ، م، مث، ب).

(٦) فليس (ظ، ب).

(٧) حبوس (ظ، مث) حبيس (ك، ح، ص).

(٨) محل هذا البيت بعد الذي يليه في (ظ، م، مث، ب).

(٩) فقست نفيسه بنفيس (ظ، م، مث، ب).

(١٠) فاستجلها حسناء ألبسها سنا   إحسان اسمك أحسن الملبوس (ظ، م، مث، ب).

وقال أيضاً[١] وقد اقترح عليه أخرى مثلها تشتمل كل كلمة منها على الحاء[٢] :

حيّاً محلَّ الحاجبيةِ[٣] بالحمى والسفحِ[٤] سفحُ مُدلَّحٍ سحّاحِ

حتى تُصاحبَ حِسلَه[٥] حيّاتُه ويُضاحكُ[٦] الحوذانُ حسنَ أقاحِ

سُحبٌ يُوشّحُها لموحٌ[٧] مُلقِحٌ ويَحُفُّ حافلَها[٨] حفيفُ رياحِ

حمّالةٌ حنّانةٌ لحنينِها والريحُ تُحفِزُها[٩] حنينُ رزاحِ[١٠]

تُحيي المُصوّحَ والمحيلَ فسحُّها[١١] كحيا أبي الفتحِ السحوحِ الساحي

المحتوي بسماحِهِ وحُسامِهِ مدحَ الفصيحِ[١٢] وحِلمةَ الجحجاحِ

الأريحيُّ السمحُ والرحبُ الحبا أضحى حماهُ[١٣] محطةَ المجتاحِ

(١) منقولة من باب المديح مع بعض المقطعات التالية .

(٢) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ظ) .

(٣) الحاجرية (ح ، ص) .

(٤) والسفح سح (ك) والحي حي (م) .

(٥) حتى يصاحب حلسه حيتانه ؟ (ك) سحله حيتانه (ح ، ص) .

(٦) وتضاحك (م ، مث ، ب) .

(٧) بلوح مفلح (م ، مث ، ب) .

(٨) حاملها (م ، مث ، ب) .

(٩) يحرمها ؟ (م ، مث) يحزمها ؟ (ب) .

(١٠) وداح (ك) .

(١١) وسحها (ك ، ح ، ص) .

(١٢) النصيح (م ، مث ، ب) . والحُلة : هنا السلاح .

(١٣) حمام (م ، مث ، ب) .

ومُحالِفُ الإحسانِ يمحو حاءُه أحقادَهُ والحلمُ أحسنُ ماحِ

ومسامحٌ[١] حلوُ الحديثِ محبّبٌ فضحَ الصباحَ بحسنه[٢] الوضّاحِ

فحديثُه السحرُ الحلالُ ومدحُه محضُ الصحيحِ وحانةُ[٣] المُدّاحِ

مُتحرّجٌ حامي الحقيقةِ حافظٌ حُشيتْ حشا حُسّاده بجراحِ

حاشا لحَبْوتِه تُحلُّ بحِدّةٍ كحُبى تُحلُّ بحدّةٍ وطِماحِ[٤]

ومحافظٌ حسنُ الحديثِ مُنجَّحٌ[٥] حيثُ انتحى نحو الحيا الفيّاحِ[٦]

مُتوضِّحٌ حيثُ الحتوفُ كوالحٌ محشودةٌ[٧] بصفائحٍ ورماحِ

فلأحسنَ الحاسدينَ[٨] بمِدحةٍ لممدَّحٍ نحوَ الحبا مُرتاحِ

متحمّلٍ حيفَ الحميمِ لحاجةٍ[٩] فدحتْ وحتفٍ للحسود مُتاحِ

* * *

(١) هذا البيت متأخر عن الذي يليه في (م ، مث ، ب) .

(٢) بحره (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .

(٣) الحانة : القصد .

(٤) وصماح (ب) .

(٥) ملحح (م ، مث ، ب) .

(٦) الفتاح (ك ، ح ، ص) .

(٧) محقودة (م ، مث ، ب) محسودة (ك) .

(٨) الحامدين مديحة (م ، مث ، ب) .

(٩) بحاجة (ك) والبيت ساقط من (م) .

وكتب إلى الملك العزيز (١) سيف الإسلام صاحب اليمن يطلب منه دواةً :

ياسيداً (٢) عِرضُه عارٍ من العارِ ... وَجُودُه في البرايا سائرٌ ساري

قد كان لي من بناتِ الزنجِ جاريةٌ ... صبورةٌ عند إعساري وإيساري

لها من الرومِ أولادٌ كأنهمُ ... قِداحُ نَبْعٍ أُجيلتْ بين أيْسارِ (٣)

تَضمهم (٤) في حشاها طول ليلتِها ... وأكثرَ اليومِ إشفاقاً من الباري

وكنتُ أجرَرتُهم (٥) عنها فما امتنعوا ... عن جمّ أخلافِها يوماً بإجرارِ

وقد شقيتُ تخاصمني بضرّتِها ا (م) بيضاءُ أو أختُها السوداءُ من قارِ (٦)

❊ ❊ ❊

وقال يمدحه ويحثه على الشرب :

يا ابنَ الكرامِ الأولي (م) نَ السابقينَ إلى المكارمْ

الأولينَ إلى الوغى والآخرينَ إلى الغنائمْ (٧)

(١) راجع الحاشية رقم (٤) ص (٣٤) .
(٢) الأبيات كلها ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٣) الأيسار : القوم المجتمعون على الميسر ، وقد تصحفت الكلمة إلى « أسراري » في (ك ، ف) ووردت « أيساري » في (ظ) .
(٤) تصبيهم (ك ، ف) .
(٥) أجرّ الفصيلَ : شقّ لسانه لئلا يرتضع . وقد تصحفت بعض كلمات هذا البيت في (ك ، ف) فوردت هكذا :
« وكنت أحرزهم عنها فما امتنعوا ... عن جم أخلاقها يوماً بإحرار »
(٦) السودا من النار (ح ، ص) .
(٧) المغانم (ح ، ص) .

أُنظرْ إلى زهرِ الربيـ (م) ـعِ كأنه زُهرُ النعائمْ (١)

والروضِ قد رقمتْ وشا ... ئعَ بُردِهِ كفُّ الغمائمْ (٢)

وبدا الهلالُ كزورقٍ ... من فضةٍ في البحرِ عائمْ

فانهضْ إلى شربِ المُدا (م) مِ ولا تُطعْ في (٣) الراحِ لائمْ

فنديمُنا تَمِلُ (٤) القوا (م) مِ أغنُّ ساجي الطرفِ ناعمْ (٥)

ما شدّ بندَ قبائِهِ ... إلا وحلّ به العزائمْ (٦)

❊ ❊ ❊

وكتب إليه يطلب منه شراباً (٧) :

ياسيداً لا يُماري في فواضلِه ... خلائقٌ ولم يُرَ منها غيرُ مُمتارِ

يا باذلَ المالِ والأنواءُ مخلفةٌ ... ومانعَ القدرِ الجاري من الجارِ

مالي ظمئتُ إلى الصهباءِ في عدنٍ ... وجودُ كفِّكَ فيها سائرٌ ساري

فانقعْ أُواري بها صهباءَ صافيةً ... صِرفاً لها قبسٌ من دنّها وارِ

كأنما نشرُها المسكُ الفتيقُ إذا ... مافاح أو عِرضُكَ العاري من العارِ

❊ ❊ ❊

(١) النعائم : نجوم .
(٢) ساقط من (ظ ، ك ، م ، مث ، ب) .
(٣) لوم اللوائم (ظ) .
(٤) مثل ؟ (ك) .
(٥) ساجم (ح ، ص) .
(٦) وبعده في (ح ، ص) « أضحي سليم القلب وهـ ... وبما لقيت لديه سالم » .
(٧) لم ترد هذه الأبيات إلا في (ح ، ص) .

وقال وقد أُخذ له متاع بمكة يحرّض سيف الاسلام على أشرافها :

أعيتْ صفاتُ نداكَ المصقعَ اللسنا　　وجزتَ في الفضلِ (١) حدَّ الحسنِ والحسنا

يحيى، من جملتها :

ولا (٢) تقلْ ساحلُ الافرنجِ أملكه (٣)　　فما يساوي إذا قايسته عدَنا

وما تريدُ بجسمٍ لا حياةَ له　　من خلص الزبدَ ما أبقى لك (٤) اللبنا

وإنْ أردتَ جهاداً روِّ (٥) سيفكَ مِن　　قومٍ أضاعوا فروضَ (٦) اللهِ والسننا

طهّرْ بسيفكَ بيتَ اللهِ من دنسٍ　　وما أحاطَ به من خِسَّةٍ وخَنا

ولا تقلْ إنهم مِن آلِ (٧) فاطمةٍ　　لو (٨) أدركوا آلَ حربٍ قاتلوا الحسنا (٩)

* * *

(١) الوصف (ح ، ص) والبيت كله ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) فلا (ك) .

(٣) افتحه (ح ، ص) .

(٤) له (ح ، ص) .

(٥) دون ؟ (ك ، ح ، ص) فارو (م) أروِ (ب) .

(٦) حقوق (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) . و (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٢) .

(٧) أولاد فاطمة (مسالك الأبصار) .

(٨) لو انهم ؟ (ح ، ص) .

(٩) ورد في كتاب « عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب » لجمال الدين أحمد بن علي الداودي الحسني ص ١١٢ ، ما ملخصه : (توجه ابن عنين إلى مكة ومعه مال وأقمشة ، فخرج عليه بعض بني داود فأخذوا ما كان معه وسلبوه وجرحوه ، فكتب إلى الملك العزيز صاحب اليمن وقد كان أخوه الملك الناصر — صلاح الدين — طلبه ليقيم بالساحل المفتتح من الافرنج ، فزهده ابن عنين في الساحل ورغّبه في اليمن ، وحرضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا بقوله :

وكتب في مرض موته إلى الملك الأشرف (١) موسى بن الملك العادل يسأله أن يقبل مماليكه هدية :

يا ملكَ الدنيا الذي سخطُه　　يُفني وجدوى كفِّه تُغني (٢)

لي أعبدٌ قد ضاقَ ذرعي بهم　　وأضجرَتْهم علّتي مني

يشكونَ مني مثلَ ما أشتكي　　منهم فخلّصهم وخلّصني

* * *

« أعيت صفات نداك المصقع اللسنا ... ... »

فلما قال هذه القصيدة رأى في النوم فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تطوف بالبيت فسلم عليها فلم تجبه فتضرع وسأل عن ذنبه فأنشدته :

حاشا بني فاطمةٍ كلهم　　من خسة تعرض أو من خنا

وإنما الأيام في غدرها　　وفعلها السوء أساءت بنا

أأن أسا من ولدي واحدٌ　　جعلت كلَّ السب عمداً لنا

فتب إلى الله فمن يعترفْ　　ذنباً بنا يغفر له ما جنا

أكرم بعين المصطفى جدهم　　ولا تهن من آله أعينا

فكل ما نالك منهم عنا　　تلقى به في الحشر منا هنا

قال ابن عنين : فانتبهت من منامي فزعاً مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من الجرح والمرض ، فكتبت هذه الأبيات وحفظتها وتبت إلى الله تعالى مما قلت ، وقطّعت تلك القصيدة (وقلت) :

عذراً إلى بنت نبي الهدى　　تصفح عن ذنب مسيء جنى

وتوبةً تقبلها من أخي　　مقالة توقعه في العنا

والله لو قطّعني واحدٌ　　منهم بسيف البغي أو بالقنا

لم أرَ ما يفعله شائناً　　بل أرهُ في الفعل قد أحسنا) .

انتهى ما نقل عن عمدة الطالب . والوضع في هذا الشعر ظاهر .

(١) راجع الحاشية رقم (١) ص (٩) .

(٢) يغني (م ، مث ، ب ، ح ، ص) وهذه الأبيات ساقطة من (ك) دون عنوانها .

وقطع الماء عن داره بدمشق وهو جار الصفي (١) بن شكر وزير الملك العادل فكتب إليه :

أشكو يا صفيَّ الدينِ حالي   ولا يُشكى إلى غيرِ الكرامِ
أتقتلني ظمايَ (٢) وأنتَ جاري   وكيفَ يَبيتُ جارُ البحرِ ظامي

* * *

وقال (٣) لابن المجاور وزير الملك العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر :

سواءٌ علينا نلتَ ما نلتَ من علاً   إذا لم تُنل أو كنتَ ما كنتَ من قبلُ
وما نافعي أن يبلغَ العرشَ صاحبي   ويحطَّ قدري في الثرى مثل ما يعلو

* * *

وقال في نجيب الدين بن يمن العرضي :

إنَّ القدودَ على تأوُّدِها   فتكتْ بكل مقوَّمٍ لَدْنِ
وأرى لحاظَ الترك ما تركتْ   قدراً (٤) لهنديٍّ ولا يمني
يا مانعاً من فقرِ (٥) عاشقِه   زكواتِ حسنٍ أنتَ (٦) عنه غني
أتبعْ جمالَكَ بالجميلِ لنا   ما أليقَ الإحسانَ بالحسنِ (٧)

(١) راجع الحاشية رقم (١) ص (٤٥) .
(٢) الظماء (ظ ، ح ، ص) .
(٣) لم ترد في (ب) .
(٤) فضلاً (ح ، ص) .
(٥) فقد (ك ، ف) .
(٦) بات منه (ك ، ف) أنت منه (ح ، ص) .
(٧) لم يرد في (ظ ، ك ، ف ، م ، مث ، ب) .

الصدُّ منكَ سجيّةٌ عُرفتْ   مثلَ السماحةِ في بني يمنِ (١)
قومٌ يبيتُ المالُ عندهمُ   في غُربةٍ والمجدُ في وطنِ

* * *

وأهدى إليه صديق مقامة عليها صورة الفلك فقال :

أفديكَ من مولًى تملَّكَ خلّتي (٢)   بخلائقٍ غُرٍّ فأسجحَ إذ ملكْ
لولا الذي يبدو لنا من هيئةٍ (٣)   وخلائقٍ بشريةٍ قلنا ملكْ
ما أخفقَ المُزجي إليكَ ركابَهُ   حتى يراكَ ولم يخبْ من أمّلكْ
ما تحتويه يداكَ من مالٍ (٤) لنا   وجميعُ ما نأتيه من مدحٍ فلكْ
ترتاحُ للراجي إلى أقصى المدى (٥)   كرماً فيصغرُ عنده ما تملكْ (٦)
وكأنها لم ترضَ ما في الأرضِ من   عرضٍ لراجيها لجاءت (٧) بالفلكْ
لكَ في المعالي منزلٌ (٨) أعيا الورى   لا سُوقةٌ يرقى إليه ولا ملكْ

* * *

(١) يمني (ك ، ف) .
(٢) مهجتي (ظ) .
(٣) هيبة (ك ، ف ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٤) وفر (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) المنى (م ، مث ، ب) .
(٦) ما مثلك (ظ) عندها ما تمتلك (ح ، ص) .
(٧) لجادت (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٨) همة ما مثلها (ح ، ص) .

وتوجه رسولاً إلى بلاد المشرق فوقف له بغل في حلب فكتب إلى الأمير سيف الدين قليج [1] يودعه عنده :

ولي حاجةٌ في جنبِ جودكَ سهلةٌ ولكنها عندي تجلُّ وتعظمُ [2]

فإن تُولنيها أحتسبْها صنيعةً أقومُ لها بالشكرِ ما قام موسمُ

فأمر بأخذ البغل وإكرامه وبعث إليه بغيره .

٭ ٭ ٭

وقال يعرض بطلب خلعة من الأمير بدر الدين [3] مودود :

يا مُوردَ الرمحِ ظمآناً ومُصدرَه يومَ الكريهةِ ريَّاناً من العلَقِ

قد عيَّدَ الناسُ في نعماكَ في جُدُدٍ لكنني بينهم عيَّدتُ في خلَقِ

٭ ٭ ٭

وقال يطلب من صديق له فروة :

جاءَ الشتاءُ وليس عندي فروةٌ والقرُّ [4] خصمٌ لا يُردُّ ويُدفعُ

وإذا الشتاءُ أتى ومالي فروةٌ « ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ » [5]

فوحقِّ مجدِكَ وهو جهدُ أليَّتي ونداكَ وهو لكلِ خطبٍ مدفعُ [6]

(١) هو قليج أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة . (النجوم الزاهرة ٦/٢٥٠) .

(٢) هذا البيت والذي يليه ساقطان من (ح ، ص) .

(٣) كان شحنة دمشق وتوفي سنة (٦٠٢) النجوم الزاهرة (٦/٥٩ و ١٩٠) . والبداية والنهاية ١٣/١١٥ .

(٤) والبرد (ك ، ف) .

(٥) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي صدره : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » .

(٦) يدفع (ك ، ف) .

إني أبيتُ على الطوى [1] خاوي الحشا سغَباً وأحناءُ الضلوعِ تقعقعُ

٭ ٭ ٭

ورعف القطب السرخسي [2] فقال :

ورأتْ طبيعتُكَ الكريمةُ نقضَ [3] ما عوَّدتَها من شيمةِ الإسرافِ

فكأنما [4] أنفتْ لذاكَ فعوَّضتْ عن بَزْلِ قيفالٍ بِبَزلِ [5] رُعافِ

٭ ٭ ٭

وقال في شمس الدين بن جميل صاحب المخزن بالديوان العزيز ببغداد :

وقالوا غدتْ بغدادُ خلْواً ومابها جميلٌ ولا مَن يُرتجى لجميلِ

وكيفَ استجازوا اقولَ ذاكَ وقدحوتْ أخا [6] الفضلِ شمسَ الدولة بن جميلِ

٭ ٭ ٭

(١) طوى (م ، مث ، ب) الطوى طاوي الحشا (ح ، ص) من النوى طاوي الحشا (ك ، ف) .

(٢) كذا في جميع النسخ ، ولم أقف على ترجمة له ، ولعله القطب النيسابوري شيخ ابن عنين . (الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، مخطوط في الخزانة الأحمدية بحلب رقم ١٢١٦) .

(٣) قطع ما عودت عنه خلائق الاسراف (ح ، ص) الأشراف (ك ، ف) .

(٤) فكأنها (ح ، ص) .

(٥) القيفال بالكسر عرق في اليد يفصد معرّب وكأنها سريانية (التاج) . بسح رعاف (ح ، ص) عن ذاك تكرعاً بسح رعاف (ك ، ف) .

(٦) لنا (ب) .

وقال في شمس الملك (١) ويذم أهل دمشق :

لو كنتُ جاراً لشمس الملك ما خطرت ... مَساءَتي (٢) لصروفِ الدهر في خَلَدِ (٣)
وكانَ أرفعَ من كيوانَ منزلةً ... قدري وأمنعَ مِن عِرِّيسةِ الأسدِ (٤)
لكنّني بين قومٍ ما رعَوا ذِمَمي ... فيهم ولا أخذوا من (٥) عثرةٍ بيدي
الحابسين أوانَ الخِصبِ كَيلَهم (٦) ... والموقدي النارِ بين السجفِ والنَضَدِ

* * *

وزاره فتًى مليح في بلاد العجم وطلب منه شراباً فكتب إلى صديق له يلتمس منه ذلك :

قد زارني من بني الأتراكِ مختفياً ... ظبيٌ على غيرِ ميعادٍ له سلَفا
يهزّ (٧) من قده رمحاً على نَقَوَيْ ... رملٍ ينوءُ به ثِقلاً إذا انعطفا
سقتْ عوارضَهُ جفناهُ سارِيةً ... فأنبتتْ (٨) عارضاهُ روضةً أُنُفا

(١) لعله شمس الملوك إسماعيل بن طغتكين بن أيوب تولى اليمن بعد أبيه سنة ٥٩٣ (النجوم الزاهرة ٦/١٤٢) والقطعة كلها ساقطة من (ك ، ف).
(٢) إساءتي (م ، مث ، ب ، ظ).
(٣) خلدي (ظ ، م ، مث).
(٤) لم يرد في (ظ ، م ، مث ، ب).
(٥) في (م ، مث).
(٦) النافسين أوان الخصب كيلهم (ح ، ص).
(٧) يهز من قده رمحاً به قمر ... على كثيب من الأرداف منعطفا (م ، مث)
« « « على كثب ... ليناً ويهزأ بالأغصان منعطفا (ب)
« « « « نقوي ... رمل تنوء به غصن إذا انعطفا (ظ).
(٨) فأصبحت (ب).

كأنّهُ دُرَّةُ الغوّاصِ كادَ يرى ... من قبلِ رؤيتها (١) في كفهِ التلَفا
ولا سبيلَ إلى معسولِ رِيقتهِ ... حتى يَبيتَ (٢) من الصهباءِ مرتشفا
فامنن (٣) بها مثل ديني رقةً وشذًى ... ذكراكَ طيباً وقلبي في هواكَ صفا

* * *

وقال في غلام هندي :

ما للمحبِّ وللعواذلْ ... لو أنهم شُغلوا بشاغلْ
ما أنكروا أعجوبةً (٤) ... أن يُصبحَ الهنديُّ قاتلْ

* * *

وقال في مليحين يلعبان بالرماح (٥) :

بقدّكما (٦) إنْ شئتما تطاعنا ... بكلِّ رُدَيْنيِّ القوامِ مثقَّفِ
وإنْ شئتما (٧) بالنبلِ أن تتناضلا ... فدونكما بالرشق من كل أوطفِ
ولا تُثقلا خصريكما بمهنّدٍ ... ففي (٨) كل جفنٍ منكما حدُّ مرهفِ

* * *

(١) رؤيته (ح ، ص).
(٢) إلا إذا بات للصهباء مرتشفا (ك ، ف ، ح ، ص).
(٣) فانهض بها (م ، مث ، ب).
(٤) أعجوبة ... مسالك الأبصار (١٠/٥٦٤) أعجوبة ... أن أصبح ... (ح ، ص).
(٥) ساقط من (ظ) مع ورقة.
(٦) بقديكما (ك ، ف ، ح ، ص).
(٧) رمتما (ك ، ف ، ح ، ص).
(٨) في جفن كل منكما حد مرهف (ح ، ص) صقيل وفي جفنيكما حد مرهف (ك ، ف).

وقال يتغزل (١):

جاءت تودعني والدمع يغلبها ... عند الرحيل وحادي البين منصلتُ
وأقبلت وهي في خوفٍ وفي دهشٍ ... مثل الغزال من الأشراك ينفلتُ
فلم تطق خيفة الواشي تودعني ... ويح الوشاة لقد لاموا وقد شمتوا
وقفت أبكي وراحت وهي باكيةٌ ... تسير عني قليلاً ثم تلتفتُ
فيا فؤادي كم وجدٍ وكم حزنٍ ... ويا زماني ذا جورٌ وذا عنتُ

* * *

وقال في صبي بيطار بحمص:

للهِ بيطارٌ بحمصٍ ما رنا ... إلا وسالت مقلتاه مخذما (٢)
أنحى (٣) على سرد النعال بخلته ... بدراً يصوغ من الأهلة أنجما

* * *

وقال في مليح اسمه بكمش:

لو أنَّ قاضي الحب ممن يرتشي ... ما بتُّ أشكو من ظلامة بكمشِ
قمرٌ على غصنٍ يميل (٤) به الصبا ... فكأنه من خمر عانة منتشي
وكأنَّ طرته وضوء جبينه ... صبحٌ توضح تحت ليلٍ أغطشِ (٥)

(١) لم ترد هذه القطعة إلا في (م).
(٢) مخدما (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص).
(٣) أجنى (ظ ، ب) أحنى (م ، مث).
(٤) تميل (ك ، ف).
(٥) منعطش (م ، مث ، ح ، ص).

عبثَ الغرامُ بقلبِ عاشقه كما ... عبثَ النسيمُ (١) بصدغه المتشوشِ

* * *

وقال في غلام التحى (٢):

وأهيف كم من مبتلىً فيه قد بلي ... له جملٌ من حسنه لم تفصَّل
صبرتُ عليه وانتظرتُ زيارةً (٣) ... وقلتُ الهوى يومان يومٌ له ولي
فلم تكُ (٤) إلا مدةٌ إذ رأيته ... وعزته قد بُدِّلت بتذلل
وأصبح مثل الرسم أقوت رسومه ... (لما نسجتها من جنوب وشمأل) (٥)
فقلتُ (٦) لقلبي بعد ذاك وناظري ... (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) (٥)

* * *

وقال في مليح تبسم وقد سأله نظم هذا المعنى ابن المجاور (٧) في مصر:

يا غزالاً أرى الغواية رشداً ... في هواه وأحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدرَ (٨) ا (م) تمّ يفترّ عن نجوم الثريا

* * *

(١) السقام ؟ (ك ، ف).
(٢) ساقطة من (م ، مث ، ح ، ص).
(٣) عذاره (ظ).
(٤) يك (ك ، ف).
(٥) تضمين من معلقة امرئ القيس.
(٦) ساقط من (ك ، ف).
(٧) في الأصل ابن الحاور والتصحيح من مرآة الزمان ٨/٢٢٥ وابن المجاور هو يوسف بن الحسين معلم الملك العزيز صاحب مصر ثم وزيره والبيتان ساقطان من (م ، مث ، ب).
(٨) ثغراً تم (ك ، ف).

وقال وقد زاره من يحبه[١] :

عاذلي لو رأيتَ مَن أنا مُغْرى   بهواه بَدَأْتَ[٢] عَذْلَكَ عُذْرا
زارَ وهنا لا أصغرَ اللهُ مَمْشا (م) هُ وحيَّا فزادهُ اللهُ بِرّا[٣]

☆ ☆ ☆

وقال في غلام أسود[٤] :

أجَلْ أنا في لون الشبيبة مغرمُ   وإنْ لجَّ عُذّالٌ وأسرفَ لُوَّمُ
وماذا عليهم أنْ[٥] كَلِفْتُ بأسودٍ   محلّهُ في العين والقلب منهمُ
وقد عابني قومٌ[٦] بتقبيل خدهِ   وماذاكَ عيبٌ[٧] أسودُ الركنِ يُلثَمُ
لئنْ ضمَّ جُنحَ الليل أثناءُ بُردهِ   لقد شقَّ عن مثلِ الصباحِ التبسمُ
وما شانهُ لونُ السوادِ لأنّه   بِثغْرٍ[٨] الثنايا والخلائقُ مُعلَمُ
فكم أشقرٍ يومَ النزالِ رأيتَهُ اا (م) سُكَيْتَ وجلّى يقدمُ النقعَ أدهمُ
ومستعجمُ الألفاظِ يُفصحُ تارةً   ويُرتجُ عنهُ تارةً فيُجمجمُ[٩]

☆ ☆ ☆

(١) ساقطان من (م ، مث ، ب) .
(٢) قبلت (ك ، ف) .
(٣) بشرا (ظ) .
(٤) القطعة كلها ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٥) لو (ك ، ف) إذ (ح ، ص) .
(٦) قومي (ك ، ف) . ومسالك الأبصار (١٠/٥٦٧) .
(٧) عاب (ك ، ف) .
(٨) لثغر (ك ، ف) بثغر؟ (ح ، ص) .
(٩) فيجمجم (ك ، ف) .

وقال في ولد نجم الدين بن سلام :

وحديثِ عهدٍ بالفطامِ كأنّما   قد صيغَ من صَدَفيّةٍ بيضاءِ[١]
سبحانَ من أذكى بصفحةِ خدهِ   ناراً يُؤَجّجُ وَقْدُها في ماءِ[٢]
وأنارَ ضوءَ جبينه متوضّحاً[٣]   في ليلةٍ من شعرهِ ليلاءِ
يفترُّ عن مثلِ الجُمانِ[٤] مُؤَشَّرٍ   قد صِينَ تحتَ عقيقةٍ حمراءِ
ومضيّقُ الألحاظِ يهزأ سحرُها   وفتورُها بالمقلةِ النجلاءِ
وكأنّما بُرْداهُ في خطراتهِ   سُنُنًا[٥] على بُزْيَةٍ سمراءِ
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلها   نجمٌ تولّدَ منهُ بدرُ سماءِ

☆ ☆ ☆

وقال وقد سأله مليح أن يشفع له :

ومن عجبِ الأيامِ أنَّ شفاعتي   تُرَجّى لمن في وجههِ ألفُ شافعِ[٦]
لأبلجَ عسّالِ التثني مهذّبِ اا (م) خلائقِ معسولِ الثنايا مُطاوعِ
يَرومُ شفيعاً من سواهُ جهالةً   ولا[٧] شافعٌ مثلَ الحبيبِ المضاجعِ

☆ ☆ ☆

(١) هذه الأبيات لم ترد في (م ، مث ، ب) . وراجع ابن سلام (شذرات الذهب ٥/١٤٠) .
(٢) ناراً تأجج وقدها من ماء (ظ) ناراً تؤجج وقدها بالماء (ح ، ص) .
(٣) متواضحاً (ك ، ف) .
(٤) الأقاح (ح ، ص) .
(٥) سنت (ك ، ف) سن على بزدية سمراء؟ (ح ، ص) .
(٦) الأبيات كلها لم ترد في (م ، مث ، ب) .
(٧) وهل شافع (ظ) .

وقال يستهدي خمراً من بعض أصدقائه مع غلام له [١] :

هذا الغزالُ [٢] الذي بعثتُ بهِ   ظمآنُ يشكو إلى نَداكَ ظَمَا [٢]
وهو صبورٌ على الأذى [٣] ومتى اسـ (م) تشاط غيظاً بحلمه [٤] كَظَما

* * *

وقال في صبي نبتت لحيته :

وصاحبٍ قال [٥] في معاتبتي   وظنَّ [٦] أنَّ الملالَ من قِبَلي
قلبُكَ قد كان [٧] شافعي أبداً   يا مالكي كيفَ صرتَ معتزلي
فقلتُ إذ لجَّ في معاتبتي   ظلماً وضاقتْ عن [٨] عذره حِيَلي
خدُّكَ ذا الأشعريُّ حنَّفني   فقال مِن أحمدِ المذاهبِ [٩] لي

* * *

(١) البيتان لم يردا في (م ، مث ، ب) .
(٢) الغلام ... ظمآن يشكو إليك فرط ظما (ظ) .
(٣) على البلاء متى (ظ) .
(٤) حمله (ظ ، ك ، ف) .
(٥) لج (ك ، ف) .
(٦) ظلماً وظن الملال من قبلي (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٧) ما زال (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٨) في عذره (م ، مث ، ب ، ح ، ص) والبيت والذي بعده ساقطان من (ظ) .
(٩) الحوادث (ك ، ف ، ح ، ص) .

وغنى مغن بهذا البيت [١] :

سائلِ الربعَ والديارَ اللواتي   بتُّ أسقي طلولها من دموعي

* * *

فأجازه بقوله [١] :

هل وفتْ للطلولِ عيني فأغنتْ [٢]   ساحتَيها عن [٢] صيِّفٍ [٣] وربيعِ
وضلالٌ سؤالُ غيرِ مجيبٍ   وسَفاهٌ دعاءُ غيرِ سميعِ
لو رآني المذولُ يومَ استقلوا   لرثى لي في موقف التوديعِ
عبَراتٌ تحارُ منها الغوادي   وزفيرٌ تضيقُ عنه [٤] ضلوعي

* * *

وقال في الرزق وطلبه :

يَعدو الرياضَ الحيا والأرضُ مجدبةٌ   رزقاً وفي البحرِ ذيلُ السحبِ مسحوبُ
فلا لعجزٍ تعدَّى تلك نائلُهُ [٥]   ولا لحرصٍ سقتْ تلك الشآبيبُ
والرزقُ [٦] يأتي وإن لم يسعَ صاحبُهُ   حتماً ولكنْ شقاءُ المرءِ [٧] مكتوبُ

* * *

(١) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٢) فأروت ... من ... (ح ، ص) .
(٣) الصيِّف : مطر الصيف . وفي (ك ، ف) مصيف .
(٤) منه (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) فلا بعجز تعدى تلك وابله   ولا بحرص سقت تلك الشآبيبُ (م ، مث ، ب)
" لبحر " " " " " " " " (ك ، ف)
والبيت ساقط من (ظ) .
(٦) فالرزق (ظ) .
(٧) العبد (ح ، ص) الله (ك ، ف) .

وقال في الموت وما بعده :

لم يبقَ لي غيرَ أنْ أموتَ كما ... قد ماتَ (١) قبلي مني إلى آدمْ

كلٌّ إلى اللهِ صائرٌ وعلى ... ما قدَّم المرءُ قبله قادمْ

يُدركُ ما قدَّمتْ يداه إذا ... ماتَ فإمَّا جذلانُ أو نادمْ (٢)

فيا لها حسرةً مُخلَّدةً ... إذا تساوى المخدومُ والخادمْ (٣)

* * *

وقال في الدنيا (٤) :

لولا (٥) الرَّدى كانت الدنيا لمن سبقا ... اللهُ يبقى ويفنى كلُّ ما خلقا

يهوى (٦) الحياةَ بنو الدنيا وقد علموا ... أنَّ الحياةَ عناءٌ دائمٌ وشقا

ما مرَّ من عمرِ الإنسانِ في حزنٍ ... أو (٧) في سرورٍ كطيفٍ في الكرى طرقا

* * *

وقال في غرض له (٨) :

ولا بُدَّ أنْ أسعى لأفضلِ رتبةٍ ... وأحمي عن عيني لذيذَ منامي

(١) قد مات من قبلي إلى آدم (ح، ص).
(٢) ورد هذا البيت في (ظ، ك، ف، ح، ص) محرفاً ومضطرباً. وورد في الوافي بالوفيات هكذا: «يدرك ما قدمت يداه كما قيل فاما جذلان أو نادم»
(٣) ساقط من (م، مث).
(٤) الأبيات الثلاثة ساقطة من (م، مث، ب).
(٥) ولى السرور فلا بدأ لمن سبقا الله يبقى ويفني الله ما خلقا (ك، ف).
(٦) تهوى (ك، ف، ح، ص).
(٧) وفي سرور (ظ، ح، ص).
(٨) هذه الأبيات ساقطة من (م، مث، ب).

وأقتحمُ الأمرَ الجسيمَ بحيثُ أنْ ... أرى الموتَ خلفي تارةً وأمامي

فإمّا مقاماً (١) يضربُ المجدُ حولَه ... سُرادِقَهُ أو باكياً لحِمامي

فإنْ أنا لم أبلغْ مقاماً أرومُهُ ... فكم حسراتٍ في نفوسِ كرامِ

* * *

وقال مخاطباً نفسه :

أجدَّكَ ما تزالُ بكَ الرواحلْ ... تنقَّلُ في الهواجرِ (٢) والهواجلْ

إذا (٣) أمسيتَ في بلدٍ غريباً ... ترومُ إقامةً أصبحتَ راحلْ

كأنّكَ (٤) في الزمانِ اسمٌ صحيحٌ ... جرى فتحكَّمتْ فيه العواملْ

مزيدٌ في بنيهِ كواوِ عمرٍو ... ومُلْغى (٥) الحكمِ فيه كراءِ واصلْ

وحقِّكَ (٦) أنْ يلازمَكَ ارتفاعٌ ... لأنّكَ للندى والجودِ فاعلْ

* * *

(١) مقام (ك، ف) والبيت ساقط من (ح، ص).
(٢) الهواجر: جمع هاجرة وهي نصف النهار في القيظ. والهواجل: جمع هوجل وهي المفازة البعيدة، والليل الطويل.
(٣) لم يرد في (ك، ف).
(٤) كأني (ظ، م، مث، ب). وشرح العينين في شرح عنين لنصر الهوريني مخطوط.
(٥) وملغى الحظ فيه كراء واصل (ك، ف) وشرح العينين. وملغى الحظ فيه كرمز واصل؟ (ح، ص) وملغى الجر فيه كواو واصل؟ (ب). وواصل هو ابن عطاء رأس المعتزلة كان يلثغ بالراء فهجرها طول حياته وضرب به المثل في هجر الراء.
(٦) وحق (ح، ص).

وقال في وصف النجوم :

سَرى والليلُ مزرورُ(١) الجنُوبِ ... وقد دنت الثُريَّا للغُروبِ
ومَدَّتْ كفَّها الجذْما قليلاً ... كمَن يَرجو مصافحةَ الحبيبِ
كأنَّ النسرَ حينَ رأى وُرودَ ا (م) نعائمِ طارَ عن كفِّ الخضيبِ(٢)
ويتلو أرنبَ الجبَّارِ كلبُ ... تَراهُ قد تَهيَّأ للوثوبِ(٣)
شحا فاهُ عن الشِعرى(٤) فلاحتْ ... كمصباحٍ تألَّقَ في قليبِ
وللعُلجومِ في الأفقِ ارتعادُ ا (م) جبانٍ مخافةَ الحوتِ الجَنوبي(٥)
وأبدتْ فنطساً في النهرِ يطفو ... عينُ الشرقِ في شكلٍ عجيبِ
وباتَ الذئبُ والظبياتُ ترعى ... مع الدبينِ(٦) في روضٍ خصيبِ

* * *

(١) مزرور الجيوب (ح ، ص) .
(٢) النسر : كوكب وهما اثنان النسر الواقع والنسر الطائر ، والنعائم : منزل من منازل القمر صورته كالنعامة وهي ثمانية أنجم ، والكف الخضيب : نجم .
(٣) الأرنب والجبار والكلب أسماء نجوم .
(٤) الشعرى : اسم كوكب .
(٥) العلجوم : من معانيه الضفدع الذكر ولعله اسم نجم ، والحوت اسم نجم .
(٦) الذئب والظبيات والدبان الأكبر والأصغر كلها أسماء نجوم . وبات الليث (مث) مع الذئبين (م ، مث ، ب) .

وكان الشهاب فتيان الشاغوري الشاعر(١) معلماً بالزبداني فاجتاز بها ابن عنين وقصد مكتبه ليزوره فلم يجده ، فأخذ لوحاً من أحد الصبيان وكتب فيه(٢) :

أتيتُ فحاظيتُ لسوء(٣) بختي ... بخدمة سيدي ورجعتُ خائبْ
إمامٌ ما تيممناهُ إلاَّ ... رجعنا بالرغائبِ والغرائبْ

* * *

وقال في صديق له قلع ضرسه فحم(٤) :

اللهُ يعلمُ ما سخنتَ(٥) لعلةٍ ... عرضتْ من المأكولِ والمشروبِ
لكنَّ نفسكَ إذ رأتْ لكَ صاحباً ... قد عابَ(٦) وهو إليكَ جِدُّ قريبِ
فكأنَّها أنفتْ لذاكَ فنالها ... ألمُ الكريمِ لصحبةِ المعيوبِ

* * *

(١) الشهاب فتيان بن علي الأسدي الشاغوري نسبة إلى محلة الشاغور بدمشق ولد ببانياس بعد سنة (٥٣٠) وكان فاضلاً شاعراً خدم الملوك وعلم أولادهم وتوفي بدمشق سنة (٦١٥) ودفن بمقابر الباب الصغير (ابن خلكان ٥١٥/١) .
(٢) لم ترد في (م ، مث ، ب) .
(٣) لشؤم (ظ) .
(٤) لم ترد في (م ، مث ، ب) .
(٥) ما اشتكيت (ظ) .
(٦) عيب (ظ) غاب ؟ (ح ، ص) .

ومرض بمصر فكتب إلى الصلاح الإربلي (١) يستزيره (٢) :

أُبُثُّكَ ما لقيتُ من الليالي (٣) فقد قَصَّتْ نوائبُها جناحي

وكيفَ يُفيقُ مَن عَنَتِ (٤) الليالي مريضٌ لا يرى وجهَ الصلاحِ

* * *

وكتب مع هدية إلى الرشيد (٥) النابلسي (٦) :

يا أيها الصاحبُ الصدرُ (٧) الذي شهدتْ بفضله ونداهُ البدوُ والحَضَرُ

(١) هو صلاح الدين أبو العباس أحمد بن عبد السيد الاربلي ولد سنة (٥٧٢) وانتقل من إربل قاصداً بلاد الشام سنة (٦٠٣) ثم انتقل إلى الديار المصرية وخدم الملك الكامل فعظمت منزلته عنده وكان ذا فضيلة تامة. قال ابن خلكان: كتب إليه ابن عنين كتاباً من دمشق إلى الديار المصرية في أوله :

أبثك ما لقيت من الليالي فقد قصت نوائبها جناحي

وكيف يفيق من عنت الرزايا مريض ما يرى وجه الصلاح

وتوفي الصلاح الاربلي في معسكر الملك الكامل قرب الرها سنة (٦٣١) ودفن بظاهرها ثم نقله ولده إلى الديار المصرية فدفنه بالقرافة الصغرى (ابن خلكان ٧٤/١).

(٢) لم ترد في (م ، مث ، ب).

(٣) إليك شكيتي عنت الليالي لقد حصت بوثبتها جناحي (ك ، ف)

وفي هامشهما : « أبثك ما لقيت من الليالي لقد حصت نوائبها جناحي »

أبثك يا صلاح الدين حالي لقد قصت يد البلوى جناحي (ح ، ص)

وفي مسالك الأبصار (٥٦٧/١٠) :

« إليك شكيتي عبث الليالي لقد حصت نوائبها جناحي »

(٤) عبث (ح ، ص) ومسالك الأبصار.

(٥) رشيد الدين عبد الرحمن بن بدر النابلسي شاعر مدح بني أيوب وتوفي بدمشق سنة (٦١٩) ودفن بمقابر الباب الصغير (فوات الوفيات ٢٥٥/١).

(٦) لم ترد في (م ، مث ، ب).

(٧) الفاضل (ح ، ص).

عساكَ تقبلُ شيئاً قد بعثتُ به نَزْراً فإني إلى علياكَ أعتذرُ

ولو بعثتُ على مقدار فضلكَ أرْ (م) سلتُ الكواكبَ فيها الشمسُ والقمرُ

* * *

وكان عند الملك الناصر (١) بن الملك المعظم شاعر شيخ فأمره أن يخضب لحيته ففعل ومدح الملك الناصر بأبيات منها (٢) :

مَنَنْتَ عليَّ بالنُّعماء (٣) حتى رَدَدتَ (٣) عليَّ أيامَ الشبابِ

ودفعها إلى ابن عنين لينشدها فألحق بها هذا البيت وهو :

وأرجو أن تُعيدَ (٤) بياضَ خدي إليَّ فأستريحَ من الخِضابِ

* * *

وسأله رجل من أهل دمشق شفاعة إلى الملك العزيز (٥) بعد وفاة الملك المعظم فكتب إليه :

عطفاً علينا يا عزيزُ فإننا بعدَ المعظم عندكم أيتامُ (٦)

ولأنتَ خيرُ الكافلينَ فلا تدعْ أيتامَكم يا ابنَ الكرامِ تُضامُ

(١) راجع الحاشية رقم (٦) ص (٦٢).

(٢) لم يرد في (م ، مث ، ب).

(٣) بالاحسان ... أدرت ... (ك ، ف).

(٤) يعيد (ك ، ف).

(٥) الملك العزيز عثمان بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وهو صاحب بانياس وتبنين، توفي بدمشق سنة (٦٣٠) ودفن عند شقيقه الملك المعظم بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون (النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٨١/٦).

(٦) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة من (م ، مث ، ب).

حاشا لمجدِكُمُ الأثيلِ بأنْ نُرى⁽١⁾ في بابِ غيرِكُمُ ونحنُ قيامُ

☆ ☆ ☆

ومدحه شاعر من أهل حماة يقال له ابن إدريس بمجلد من شعره على نمط معشرات الحصري فأجازه وردَّ إليه مجلده وكتب عليه⁽٢⁾ :

يا ابنَ إدريسَ لفظُكَ الأنجمُ الزُّهـ(م)ـرُ تعالى عن جرْولٍ⁽٣⁾ وزهيرِ
لا تُذِلْهُ في⁽٤⁾ سائرِ الناسِ واحفظـ(م)ـهُ فما في خيارِهم من خيرِ
واقتعْ بالقليلِ من برِّ مثلي واكشطِ اسمي وحُطَّ⁽٥⁾ من شئتَ غيري

☆ ☆ ☆

وكتب مع هدية⁽٦⁾ :

لو كنتُ أهدي لمولانا مُشاكِلَهُ لكنتُ أُهدي⁽٧⁾ إليه السهلَ⁽٨⁾ والجبلا
وإنما العبدُ أهدى كُنْهَ قدرتِهِ والنملُ⁽٩⁾ يُعذَرُ في القدرِ الذي حملا

☆ ☆ ☆

(١) يرى (ك ، ف) .
(٢) الأبيات الثلاثة ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٣) جرول : لقب الحطيئة الشاعر ؛ وزهير هو ابن أبي سُلمى . جرول بن زهير ؟ (ك ، ف) .
(٤) لا تذله في الناس واحفظ قوافيك ... (ظ) .
(٥) وحط (ك ، ف) .
(٦) لم ترد في (م ، مث ، ب) .
(٧) مهد (ك ، ف) .
(٨) الشمس والقمرا (ظ) .
(٩) والذر (ك ، ف) . والمرء يعذر في القدر الذي قدرا (ظ) .

وكتب مع هدية⁽١⁾ :

يُهدي⁽٢⁾ إلى المولى أقلُّ عبيدِهِ ولقد تفاضلَ حملُهُ⁽٣⁾ ما يحتقرْ
ولو⁽٤⁾ انهُ أهدى على مقدارِكم لم يرتضِ الشمسَ المنيرةَ والقمرْ

☆ ☆ ☆

وقال في حاشية ديوانه :

إنَّ الجهولَ إذا تصدَّرَ بالغنى في مجلسٍ فوقَ العليمِ الفاضلِ⁽٥⁾
فهو المؤخَّرُ في المحافلِ⁽٦⁾ كلِّها كتقدُّمِ المفعولِ فوقَ⁽٧⁾ الفاعلِ

☆ ☆ ☆

(١) لم ترد في (م ، مث ، م) .
(٢) أهدى (ظ) .
(٣) حمله ما احتقر (ظ) .
(٤) لو انه (ك ، ف) .
(٥) لم يرد هذان البيتان إلا في (ح ، ص) . كتاب المحاضرات والمحاورات للزمخشري
(٦) المعاني) من تعليقة لمطالع على ظاهر
(٧) قبل) (مخطوط) .

« الأبيات النحوية »

وكتب (١) إلى صدر جهان (٢) :

لِمَ أخَّرتني (٣) وقدَّمتَ غيري   أنا حالٌ وغيري استفهامُ ؟

وكتب إلى ابن شكر (٤) :

ولأنتَ إنْ رُفِعَ امرؤٌ من غيره   كالمبتدا سببٌ (٥) ارتفاعكَ معنوي

وله (٦) :

فداؤكَ (٧) كلُّ مَنْ أمسى لبخلٍ   نداهُ (٨) كأنَّهُ عَلَمٌ مُنادى (٩)

(١) هذه الأبيات النحوية الثلاثة كانت في بعض نسخ الديوان المخطوطة مضمومة إلى باب في آخر الديوان عنوانه « باب الأبيات النحوية » يشتمل على خمسة عشر بيتاً مقتطعة من قصائد الديوان المختلفة ، فرأينا أن إثباتها في باب واحد بعد ورودها في مواضعها من القصائد ضربٌ من الاعادة والتكرير . أما هذه الأبيات الثلاثة فلم يسبق ورودها فأثبتناها في آخر هذا الباب واستغنينا بها عن باب الأبيات النحوية .

(٢) برهان الدين صدر جهان محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري رئيس الحنفية ببخارى له ترجمة في الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبد الحي اللكنوي ص ١٧٧ . وذكره ابن الأثير في الكامل ١٢/١٠٠ في حوادث سنة ٦٠٣ . وابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/٥٤٥ وورد الاسم فيهما مصحفاً إلى ابن مارة .

(٣) ساقط من (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص ، م) .

(٤) راجع الحاشية رقم (١) ص (٤٥) والبيت ساقط من (م ، ح ، ص) .

(٥) بياض في (ك ، ف) .

(٦) ساقط من (م ، ح ، ص) .

(٧) فداك (ظ ، ب) .

(٨) بداه (مث) .

(٩) فداؤك كل من أمست ببخلٍ   يداه فانها علم منادى (ك ، ف) .

الباب الخامس

في الدعابة والتهكم والسخرية (١)

قيل (٢) إن جد الحلوانية (٣) كان حائكاً فقال ابن عنين هذه القصيدة على لسانه وجعلها فخراً باطنه تهكم وسخرية :

ليَ الشرفُ الأعلى الذي عزَّ جانبُهْ   فلا (٤) أحدٌ إلا ومجدي غالبُهْ (٥)

وإني الذي لولا صنائعُ جَدِّهِ (٦)   لما رُفعتْ (٧) يوماً لملكٍ مضاربُهْ

(١) أكثر قصائد هذا الباب ومقطعاته كانت مضمومة إلى باب الهجاء في النسخ السبع المبوبة على المعاني ، وقليل منها كان مضافاً إلى باب الوقائع والحاضرات أو مجتلباً إلى باب الألغاز أو مقتسراً في باب الرثاء ، فرأينا الدقة تقضي بجمعها في باب خاص لتميزها عن غيرها بالمتعة والطرافة ، ولما اشتملت عليه من الفكاهة الحلوة والنكتة البارعة اللاذعة وخفة الروح وتوقد الذهن ؛ ولندرة هذا النوع من الشعر في مجموع الشعر العربي .

(٢) نقلت هذه القصيدة من باب الألغاز .

(٣) ابن الحلوانية : أبو العباس أحمد بن المسلم الأزدي الدمشقي التاجر ولد سنة (٦٠٤) وتوفي سنة (٦٦٦) « شذرات الذهب ٥/٣٢٢ » ، وفي (ح ، ص) ابن الحلواني . وفي (ظ ، م ، مث ، ب) : « وقال في رجل زعموا أن جده كان حائكاً » .

(٤) ولا أحد (ك ، ف) .

(٥) يغالبه (م ، مث ، ب) .

(٦) أنا ابن الذي لولا صنائع كفه (ك ، ف ، ح ، ص) ومسالك الأبصار (٥٦٤/١٠) .

(٧) لما ضربت (ظ) .

فتىً يتقاضى[1] صنعةَ الناسِ دائماً ... فلم يخلُ يوماً[2] من غريمٍ يطالبُهْ

له قصباتُ السبقِ في كلِّ موطنٍ ... يُطيل[3] إذا أسدى لمن لا يناسبُهْ

ونَسقي إذا الأنواءُ في العامِ أخلفت ... فهل مثلُ آبائي تُعَدُّ مناقبُهْ[4]

وكم قد كسونا من يتيمٍ[5] وميّتٍ ... سترنا ولولانا لبانتْ معايبُهْ[6]

وكم قد سعى جدّي لمدّ[7] صنيعةٍ ... تهزُّ لها أعطافُهُ ومناكبُهْ[8]

وكم راضَ صعباً جامحاً متمنّعاً ... يُلاينُه طوراً وطوراً يُصاعبُهْ

وأصحبَ[9] من بعد الجماحِ وأسمحتْ ... قرونتُهُ حتى تولّاهُ راكبُهْ

وإنّي لمقدامٌ إذا ما تأخّرتْ ... بغيري في يومِ الطِّعانِ مراكبُهْ

ولستُ كمن ولّى فراراً من الوغى[10] ... يُطيلُ سؤالاً عن رفيقٍ يصاحبُهْ

❊ ❊ ❊

(١) تتقاضى (ك ، ف) .

(٢) وقتاً (م ، مث ، ب ، ك ، ف ، ح) ومسالك الأبصار .

(٣) يطول (ك ، ف) تطيل (ب) تطيل لمن أسدى ... (م ، مث) .

(٤) مناسبه (م ، مث ، ب) .

(٥) فقير (ح ، ص) .

(٦) سترنا ولولا نحن بانت معايبه (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٧) لكل (ظ) .

(٨) وجوانبه (مسالك الأبصار ٥٦٤/١٠) .

(٩) فأصبح ؟ (ك ، ف) . أصحب : ذلّ وانقاد . وأسمحت قرونته : ذلت نفسه وأطاعته .

(١٠) العنا (م ، مث ، ب ، ك ، ف) العيا (ظ) .

وقال أيضاً في قاضٍ في بعض بلاد الهند كان حائكاً[1] :

لله قاضي دیندوز[2] فإنه ... قاضٍ إذا أسدى أطالَ وأعرضا

المتقنُ الأعمالَ حتى أنها ... بهرتْ وأعجزَ[3] صنعُها من قد مضى

ستر الأراملَ[4] واليتامى كفُّهُ ... وسعى فأصبح سعيُه عين الرضى

لولاهُ لم تُستَرْ لميْتٍ عورةٌ ... فينا ولا كانتْ صلاةٌ ترتضى[5]

ما إنْ تراهُ الدهرَ إلاّ آمراً ... وسطَ النديِّ وناهياً ومحرّضا

كم من فقيرٍ صُنْتَ مهجتَهُ ولو (م) لا صُنعُ كفِّك كان من بردٍ قضى

ورواقِ ملكٍ أنت شدّت ظلالَهُ ... لولاكَ زالَ ظلالُهُ وتقوّضا

أصبحتَ إنْ نشرَ امرؤٌ من صُنْعِهِ ... ما قد مضى تطوي الصنيعَ إذا مضى[6]

ولرُبَّ مُنْبَتٍّ وصلتَ بصحبِهِ ... وطريقُهُ لخفائه قد أغمضا[7]

ولكم ركضتَ فنلتَ بالركضِ المُنى ... وأنرتَ[8] مطويّاً ورضتَ الريّضا

وكستْ أناملُكَ اليراعَ وشائعاً ... هنَّ السحابُ سقى البلادَ وروّضا[9]

(١) نقلت من باب الهجاء وهي ساقطة من (مث) .

(٢) دنديور (ظ) ديندون (ب) دينور (ك ، ف) ديندور (ح ، ص) .

(٣) فأعجز (مث ، ب) .

(٤) اليتامى والأرامل (ح ، ص) سلب العواري واليتامى كفه ؟ (ك ، ف) .

(٥) محل هذا البيت في (ك ، ف) بعد الذي يليه .

(٦) هذا البيت والذي بعده ساقطان من (ب) .

(٧) محل هذا البيت بياض في (ك ، ف) .

(٨) وأنلت مطوياً ورحت الريضا (ظ) وأنرت مطواعاً ... (ح ، ص) .

(٩) مروضا (ظ) هن اكتساب تق البلاد تعوضا ؟ (ك ، ف) وساقط من (ب) .

وصنيعةٍ قد باتَ غيرُكَ نائماً | عنها وجفنُكَ ساهرٌ (١) ما غمّضا
معدودةٍ ممدودةٍ مشهودةٍ (٢) | بيضاءَ أعجلَ صُنعُها (٣) أن يُقتضى
كلتا يديكَ لصُنعها مبسوطةٌ (٤) | يتباريان كلمعِ برقٍ أومضا
كم فارسٍ في (٥) راحتيكَ ثيابُهُ | وجوادُهُ والمشرفيُّ المُنتضى
لو رامَ نشرَ صنائعٍ أسديتَها | فيما مضى بَشَرٌ لضاقَ (٦) به الفضا
يسقي (٧) إذا بخلَ السحابُ ويُرتوى (٨) | منه وعارضُ مُزنِه (٩) قد أعرضا
فاللهُ (١٠) يُبقي للخليفةِ صُنعَهُ | ويقي لنا قدميه من أن تُدحضا

* * *

ولما قدم إلى دمشق من اليمن طالبه أصدقاؤه بدعوة فقال لهم: تعالوا غداً، فلما حضروا لم يجدوه في منزله وقد ترك لهم رقعةً فيها (١١):

تجوّعَ (١٢) لي الشيخُ الزكيُّ وجاءني | معَ الشمسِ قبلَ الشمسِ يتلوها النجمُ

(١) ساهراً لا غمضا (ك، ف). والبيت مع الذي يليه ساقطان من (ب، ح، ص).
(٢) مشهورة (ظ، ك، ف).
(٣) صنعها (ك).
(٤) ممدودة (ح، ص).
(٥) من راحتيك (ك، ف).
(٦) لقد ضاق الفضا (ك، ف).
(٧) تسقي (م، ب، ح، ص).
(٨) وترتوي (م، ب، ح، ص).
(٩) مزنة (م، ب، ح، ص) مزنها (ك، ف).
(١٠) الله (م، ب).
(١١) لم ترد في (مث).
(١٢) تجوّع: تعمد الجوع.

وقد سَرَّحا (١) ذقنيهما وتسربلا | من الوَشْيِ ما ازدانت (٢) حواشيه والرقمُ
وجاءتْ بنو عبدانَ (٣) طُرّاً كأنما | لهم في الذي استصحبتُ من عددٍ قسمُ
وجاء أبو الفضلِ الأمينُ وعبدُهُ | كذئبي غضاً قد مسَّهم من طوى سقمُ
وأقبلَ شمسُ الدينِ يسعى مُبادراً | وفي كُمِّه للنهبِ من أُدْمٍ كِمُّ (٤)
جموعٌ لو انّ السدَّ أعرضَ دونهم (٥) | بدا منهمُ في جانبيْ رَتْقِه (٦) ثَلْمُ (٧)
يرومون خبزي والكواكبُ دونه | لقد ضلّ عنهم رأيُهم ونأى (٨) الفهمُ
أما علموا أنّ الذبابةَ لا ترى | طعامي وأنّ الفارَ عندي لها لُجْمُ (٩)

* * *

(١) خضبا (ح، ص). وسرّح ذقنه للشيء تهيأ له «كناية شامية».
(٢) ما راقت (ح، ص).
(٣) بنو عيدان (ك).
(٤) سهم ؟ (ك، ف).
(٥) عنهم (ك، ف) دونه (م، ب، ح، ص).
(٦) ركنه (م، ب، ح، ص) سده (ك، ف).
(٧) ظلم ؟ (ك).
(٨) ونبا (ك).
(٩) حكم (ظ).

وخرج ابن أبي عصرون [١] مع السلطان صلاح الدين [٢] إلى الغزاة فقال ابن عنين يخاطب السلطان [٣] :

صلاحَ الدينِ يا خيرَ البرايا   ومَن قد عمَّ بالفضلِ [٤] الرعايا
سمعتُ بأنَّ محيي الدينِ [٥] يغزى ا (م) وغى والحربُ ضاريةٌ [٦] المنايا
فلا تَشهدْ بصفعانٍ قِتالاً   فقوسُ الندفِ لا تُصمي الرمايا

* * *

(١) وقوله في محيي الدين بن أبي عصرون وكان يباشر الحرب تحت العصابة الناصرية الصلاحية « مسالك الأبصار ١٠/٥٦٨ » . وهو محيي الدين محمد بن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون تولى أبوه القضاء بدمشق سنة (٥٧٣) وتوفي سنة (٥٨٥) وعمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين . وابنه محيي الدين ينوب عنه وهو باق على القضاء (ابن خلكان ١/٣٢٠) وإلى والده تنسب المدرسة العصرونية وسوق العصرونية بدمشق .

(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي مؤسس الدولة الأيوبية ومن أعظم ملوك الاسلام وأشهرهم ولد بتكريت سنة (٥٣٢) وتوفي بدمشق سنة (٥٨٩) والاشارة إلى أعماله الجليلة وخصائصه النبيلة لا يتسع لها مثل هذه التعليقات الموجزة فضلاً عن شهرته بين الخاص والعام في الشرق والغرب .

(٣) هذه القطعة ساقطة من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٤) بالعدل (ح ، ص) .

(٥) مجد الدين (ك ، ف ، ح ، ص) وهو تصحيف ؛ والتصحيح من مسالك الأبصار .

(٦) كالحة الثنايا (ح ، ص) .

وكتب إلى الملك المعظم [١] يتهم القاضي شرف الدين [٢] بالميل إلى النساء :

أقولها [٣] لو بلغتْ ما عسى   فالطبلُ [٤] لا يُضرَبُ [٥] تحت الكِسا
قاضيك إنْ لم تقصِه [٦] فاخصِه   أوْ لا فلا يَحكُمُ بين النسا

* * *

وكثرت عليه الضيوف في خربة اللصوص [٧] فكتب إلى الملك المعظم :

تباركَ اللهُ أعطى الناسَ ما سألوا   صفواً [٨] وكال لهم بالزائدِ [٩] الوافي
فالحمدُ للهِ شكراً إنني رجلٌ   ما باركَ اللهُ لي إلاَّ بأضيافي [١٠]

* * *

(١) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٥) .

(٢) زكي الدين (ظ) القاضي شرف الدين أبو الطيب (ك ، ف) . هو القاضي شرف الدين أبو طالب عبد الله بن عبدالرحمن بن الزكي ناب في القضاء بدمشق عن ابن عمه القاضي محيي الدين بن الزكي وعن أبيه زكي الدين كان فقيهاً نزهاً لطيفاً عفيفاً توفي سنة (٦١٥) ودفن في القدم (مرآة الزمان ٨/٣٩٠) و (شذرات الذهب ٥/٦٣) .

(٣) أقولها بالغة ما عسى   والطبل ... (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٨) .
أقول لحال بلغت ما عسا ؟   والطبل ... (ك ، ف) .

(٤) والطفل (م ، مث) .

(٥) ما يضرب (ظ) . والبيتان ساقطان من (ح ، ص) .

(٦) إن لم تخصه فاقصه (م ، مث ، ب) ومحل البيت بياض في (ك ، ف) .

(٧) خربة اللصوص : بين حوران ودمشق (النجوم الزاهرة ٦/٣٠٦) .

(٨) عفواً (ح ، ص) .

(٩) الوافر (ظ) والبيتان ساقطان من (م ، مث ، ب) .

(١٠) في غير أضيافي (ح ، ص) .

وقال على لسان الملك المعظم وقد قيل له إن الفقيه (١) الإسكندراني يشرب الخمر خفية :

اللهُ يعلمُ ما حلَّلتَ من دمِها ... وسفكِهِ (٢) مستحلاً بعدما حرُما

لكنْ رأيتَ ذوي (٣) الجاهات تشربُها ... رِيّاً وتتعبُ في تحصيلِها العلما

***

وقال لما فتح الملك الكامل محمد (٤) دمشق بعد الملك المعظم عيسى وأعطاها الملك الأشرف موسى (٥) :

وكنّا نُرجّي (٦) بعد عيسى محمداً ... لينقذَنا من لاعجِ (٧) الضُرّ والبلوى

فأوقعنا في تيهِ موسى فكلُّنا (٨) ... حيارى ولا مَنٌّ لدينا ولا سلوى (٩)

***

(١) لم نهتد إلى تعيين هذا الفقيه .
(٢) وشربه مستحلاً بعض ما حرما (ح ، ص) .
(٣) لكن رأيت أولي الأقدار تشربها ... سراً وترسل في بطلانها العلما (ح ، ص) .
(٤) ولد الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر سنة (٥٧٦) وتوفي بدمشق سنة (٦٣٥) وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٦٥) .
(٥) راجع الحاشية رقم (١) ص (٩) .
(٦) أتينا لنرجو (م ، مث ، ب) والبيتان ساقطان من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) عالج (ظ) شدة (مرآة الزمان) ص (٤٣٥) .
(٨) كما ترى (مرآة الزمان) .
(٩) في مرآة الزمان ص (٤٣٥) في حوادث سنة (٦٢٦) : إن الملك الأشرف لما بلغه ما قاله فيه ابن عنين : وكنا نرجي ... قال إذا لم يكن عندي مَنٌّ ولا سلوى فعند مَنْ ؟ وأمر بقطع لسانه ، فحلف ابن عنين أنه ما قال هذا ، فقال الأشرف ما أفلت من لسانه أحد ولا بد من قطعه ، فهرب إلى بلاده زرع وحوران وسكت الأشرف عنه .

وقال يعرض بصاحب حماة (١) ويوري عنه بحماته :

أشكو إلى اللهِ حَماتي فما ... يعلمُ ما لاقيتُ منها سواه

عجوزُ سوءٍ لو رأتْ قودةً ... في النسرِ طارتْ بجناحَي قطاه

تقولُ للبنتِ الطمي خدَّهُ (٢) ... ولا تهابيهِ وصُكّي قفاه (٣)

ولَبِّني بالمُخِّ أخلاقَهُ ... وضمِّخي لحيتَهُ من حراه

وباهتيهِ إنْ رأى ريبةً ... وابكي وسُبّيهِ وسُبّي (٤) أباه

واللهِ لا أُفلحُ (٥) ما عُمِّرتُ ... قل لي متى أفلحَ (٦) صاحبُ حماه

***

وقال في الموفق (٧) بن المطران وغلامه عمر :

قالوا الموفقُ شيعيٌّ فقلتُ لهم ... هذا خلافُ الذي للناسِ منهُ ظهر

(١) راجع الحاشية رقم (١) ص (١٠٦) .
(٢) رأسه (ظ ، ح ، ص) .
(٣) وسكي (ك ، ف) وسبي أباه (ظ) .
(٤) وصكي قفاه (ظ) .
(٥) لا أفلحت (ك ، ف) .
(٦) يفلح (ظ) .
(٧) موفق الدين أبو نصر أسعد بن إلياس بن المطران طبيب غزير المروءة خدم السلطان صلاح الدين وأسلم على يده . وكان يصحبه غلام حسن الصورة اسمه عمر . وكان الموفق يحب أهل البيت . وتوفي بدمشق سنة (٥٨٧) وله ترجمة في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢/١٧٥) .

وكيفَ (١) يصحُّ دينُ الرفضِ مذهبَهُ   وما دعاهُ إلى الإسلامِ غيرُ عمرْ

✡ ✡ ✡

وأهدى إليه الشريف (٢) الكحال خروفاً بالديار المصرية بعد أن وعده به مدة وكان هزيلاً جداً فكتب إليه:

أبو (٣) الفضلِ وابنُ الفضلِ أنتَ وتربُهُ (٤)   فغيرُ بديعٍ أنْ يكونَ لكَ الفضلُ
أتتني أياديكَ التي لا أعدها   لكثرتِها لا كفرَ (٥) عندي ولا جهلُ
ولكنَّني أُنبيكَ عنها بطرفةٍ   تروقُكَ ما وافى لها (٦) قبلَها مثلُ
أتاني خروفٌ ما شككتُ (٧) بأنهُ   حليفُ هوىً (٨) قد شفَّهُ الهجرُ والعذلُ
إذا قامَ في شمسِ الظهيرةِ خلتَهُ   خيالاً سرى في ظلمةٍ ما لهُ ظِلْ

(١) فكيف يحمل دين الرفض مذهبه (مرآة الزمان ٢٦٤/٨) و (النجوم الزاهرة ١١٣/٦).
(٢) برهان الدين أبو الفضل سليمان المعروف بالشريف الكحال، أصله من مصر وانتقل إلى الشام، وكان عالماً بصناعة الكحل أديباً، خدم السلطان صلاح الدين وتوفي بأيامه، وترجمته في طبقات الأطباء (١٨٢/٢). وفي معجم الأدباء ٢٥٥/٤ أنه توفي سنة (٥٩٠).
(٣) أبا الفضل (ح، ص).
(٤) وأهله (ح، ص) ومعجم الأدباء ليافوت ٢٥٦/٤ و ١٢٥/٧.
(٥) نعمى (ك، ف، ح، ص) وطبقات الأطباء ١٨٣/٢ ومعجم الأدباء.
(٦) بها (ك، ف).
(٧) ما تشككت أنه (ك، ف، م، مث، ب).
(٨) جوى (ب).

فناشدتهُ ما تشتهي قال قَتَّةٌ (١)   وقاسمتُهُ ما شفَّهُ قال لي الأكلُ
فأحضرتُها خضراءَ مجّاجةَ الثرى   مُسلَّمةً ما حصَّ أوراقَها الفتلُ
فظلَّ يُراعيها بعينٍ ضعيفةٍ (٢)   ويُنشدُها والدمعُ في الخدِّ (٣) منهلُ
«أتتْ وحياضُ الموتِ بيني وبينها   وجادتْ بوصلٍ حينَ لا ينفعُ الوصلُ»

✡ ✡ ✡

وقال في الشريف الكحال وكان أحبَّ غلاماً ينبز بالجمل (٤):

فَديتُكَ قلْ للشريفِ الشهابِ   وإن شاطَ (٥) غيظاً فلا (٦) تحتفلْ
تُوالي الحنابلةَ القائلينَ   بأنَّ يزيدَ إمامٌ عدلْ
وتزعُمُ أنَّكَ من عترةِ (٧) ال(م) وصيٍّ وأنتَ تحبُّ الجملْ

✡ ✡ ✡

(١) القتة: الفصفصة. «فناشدته ما يشتهي قال حلبة وقسمته ما شاقه ...» معجم الأدباء ١٢٥/٧.
(٢) مريضة (ظ).
(٣) في العين (ك، ف) وطبقات الأطباء ومعجم الأدباء.
(٤) ساقطة من (ب).
(٥) شام (ك، ف). وروي في مسالك الأبصار (٥٦٧/١٠) هكذا:
فديتك قل للشهاب الشريف   وإن شاط غيظاً لذا واحتفل
(٦) ألا تحتفل (م)، وأبدى الحجل (مث).
(٧) شيمة الوصي (م، مث) ومسالك الأبصار: شيمة الرضي (ح، ص).

وقال يداعب ابن عروة [1] الموصلي [2] :

قم فاسقنيها من سُلافٍ صانَها ... عصّارُها في الدَّنّ حولاً كاملا

خمراً تخالُ [3] شُعاعَها في كأسِها ... برقاً تألقَ أو نُضاراً سائلا

أوَ ما ترى الجوزاءَ كيف تعرّضتْ ... والنجمَ في أُفُقِ المغاربِ آفلا [4]

والصبح قد فضحَ الدُّجى فكأنّهُ [5] ... شيبُ ابنِ عُروةَ حين يُضحي [6] ناصِلا

* * *

وقال يداعب الصدر [7] البكري وكان ينبز بالزاغ وأنشده إياها :

لا تحسبوا أنّ قلبي عن [8] محبتكم ... وإنْ تماديتمُ في هجركم زاغا

رثّتْ مواثيقُ عهدٍ كنتُ أعرفُها ... وبيننا أصبح الشيطانُ [9] نزّاغا

(١) هو سيف الدين محمد بن عروة الموصلي كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، وإليه ينسب مشهد ابن عروة بالجامع الأموي ، توفي بدمشق سنة (٦٢٠) . البداية والنهاية ١٣/١٠١ .

(٢) ساقطة من (ب) .

(٣) يخال (ك ، ف) .

(٤) مائلا (ك ، ف) .

(٥) بوضوحه ... فكأنه شيب ابن عروة ناصلا (ك ، ف) .

(٦) أضحى (ح ، ص) .

(٧) هو أبو علي الحسن بن محمد التيمي المعروف بالصدر البكري ولي مشيخة الشيوخ وحسبة دمشق في دولة الملك المعظم ، وتوفي بمصر سنة (٦٥٦) (شذرات الذهب ٥/٢٧٤) .

(٨) من (ب) .

(٩) النظار ؟ (ظ) وجئت الهجر شغلاً فيك رواغا ؟ (ك ، ف) . والبيت كله ساقط من (ح ، ص) .

ولستُ آيسُ من وصلٍ أُسَرُّ به ... قد يجمعُ [1] اللهُ بومَ القفرِ والزّاغا

وسوف أرقُبُ بدراً من وصالِكمُ ... يكونُ [2] في ظلمة الهجرانِ نزّاغا

إذا اختبرتَ بني الدنيا وجدتَهمُ [3] ... عقاربا وثعابينا وأوزاغا [4]

وإنْ تأمّلتَ أخباراً أتوكَ بها ... رأيتَ زُوراً وروّاغا وأوزاغا [5]

* * *

وكان شرف الدين يعقوب [6] يُسمع الحديث على باب الكلاّسة بجامع دمشق فقال ابن عنين :

رأيتُ النبيَّ عليهِ السلامُ ... فقمتُ [7] إليه وقبّلتُهُ

فقالَ أيعقوبُ يَروي الحديـ ... ـثَ فقلتُ نعمْ قالَ ما قلتُهُ

* * *

(١) قد يجمع الدهر بين الصقر والزاغا ؟ (ك ، ف) .

(٢) يكون في ظلم والفجر بزاغا (ك ، ف) .

(٣) ... رأيتهم عقاربا ذا زبانات ولداغا ؟ (ك) وبياض في (ف) .

(٤) جمع وزَغَة : سام أبرص .

(٥) الأوزاغ هنا جمع وَزَغ : وهو الرجل الفاسد الفشل الفسل . وتحريفاً أوزاغا (ظ) وبهتاناً وأوزاغا (ح ، ص) .

(٦) هو الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد الهذباني الاربلي ، روى عن يحيى الثقفي وطائفة ، وولي شد دواوين الشام ، وكان ذا علم وأدب ، توفي بمصر سنة (٦٤٥) (شذرات الذهب ٥/٢٣٣) .

(٧) بجيرون عني فقبلته (ح ، ص) . وورد البيتان في (ك ، ف) مضطربين مشوشين وكأنما كان ذلك عن قصد تحرجاً وتأثماً .

وقال [1] في محاسن بن كامل ناظر الأيتام بدمشق :

يامعشرَ [2] الناسِ حالي بينكم عَجَبٌ … وليس [3] لي بينكم ياقومُ أنصارُ
هذا ابنُ كاملٍ قد أودعتُهُ ذَهَباً … صُيَّابةً [4] مالها [5] في العينِ مقدارُ
وجئتُ [6] أطلُبهامنهُ وقد عرضتْ … في السوقِ [7] مني لُبانات وأوطارُ
فقامَ ينفضُ كمَّهُ [8] وينظرُ في … صندوقهِ ويُنادي جرَّها الفارُ
فقلتُ لاشبَّ قرنُ الفارِ كم أكلوا … مالَ [9] اليتامى وكم جرُّوا وكم جاروا

* * *

وخرج مع بعض أصدقائه إلى الكهف بذيل قاسيون فصادفوا ثَمَّ زاهداً فقصَّ سبالهم وألزمهم بالصلاة هناك فقال :

تجنَّبْ عن الكهفِ لا تأتهِ … وإنْ راقَ رَوشَنُهُ والعَلالي
فثَمَّ مصابُ لا تُتّقى … لُزومُ الصلاةِ وقصُّ [10] السِبالِ

* * *

(١) القطعة ساقطة من (ب) .
(٢) يا أيها الناس أمري بينكم عجب (ك ، ف) .
(٣) وكيف لي بينكم ... (ظ) .
(٤) الصُّيَّابة : الخالص والخيار من كل شيء وقد تصحفت في جميع النسخ إلى صبابة .
(٥) مالة (ظ) .
(٦) نجئت (ظ) .
(٧) في الشوق (ك) .
(٨) كفيه (ح ، ص) .
(٩) من اليتامى (م ، مث) .
(١٠) وقطع السبال (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .

ودخل الأقصى فألزموه بالصلاة وكان قد أُلزم قبل ذلك بها في كهف دمشق كما مرَّ فقال :

أينما سرتُ [1] في بلادِ إلَهِ ا (م) عرشِ ألفيتُ ثَمَّ كهفاً وصخرهْ … فإلى اللهِ [2] أشتكي ما أُلاقي كلُّ أرضٍ فيها على الناسِ سخرهْ

* * *

ووعده صديق له بغزال ومطله فقال [3] :

غزالُكَ [4] بالوَعساءِ من [5] أرضِ وجرةٍ … يصيفُ ويشتو [6] من وراءِ الخورنقِ
تناءتْ به عن قانصِ [7] الانسِ دارُهُ … فكيفَ يُرجّيهِ مُقيمٌ بجِلِّقِ

* * *

وجاء رجل من بغداد يلقب بالجدي يدعي الخطابة ومعه طومار يأخذ فيه خطوط الناس فتناوله وكتب فيه :

حَوى قصبَ السَبَقِ [8] أهلُ العراقِ … وعطَّرَ ذِكرَهُمُ الأنديَهْ

(١) قلما سرت سارياً في بلاد الله * إلا وجدتُ كهفاً وصخرهْ (ك ، ف) .
(٢) فالى من أشتكي (ك ، ف) .
(٣) ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٤) غزال من الأعشا ؟ (ك ، ف) .
(٥) من خلف وجرة (ح ، ص) .
(٦) ويشتي (ظ) .
(٧) قابض (ظ ، ك ، ف) .
(٨) الجد (م ، مث ، ب) .

وأي[١] خطيبٍ بجارِيهم[٢] وقد خطبتْ فيهم الأجْدبةْ

* * *

ووزع له مال ووكلوا معه من يجبيه فقال :

مثلي وقد وافيتُ أطلبُ رِفدكم جهلاً ولم يكُ لي حجى ينهاني

مثلُ الظليمِ مضى[٣] يرومُ بجهلهِ قرناً فعادَ مُصلَّمَ الآذانِ

وكَلتْ بي[٤] صعبَ المراسِ ملازماً كالظلِ يتبعني بكلِ مكانِ

لم أعشُ عن ذكرِ الإلهِ فليتني أدري علامَ قُرنتُ بالشيطانِ

* * *

ومن ملحه قوله يرثي حماراً له مات في الموصل[٥] :

ليلٌ بأول يومِ الحشرِ متصلُ ومقلةٌ أبداً إنسانُها خضِلُ

وهل ألامُ وقد لاقيتُ داهيةً يَنهدُ لو حمّلتْها[٦] بعضَها الجبلُ

تَوى المصاكُ[٧] الذي قد كنتُ آملهُ عوناً وخُيّبَ فيهِ ذلكَ الأملُ

(١) فأي (ك ، ف ، ظ ، ح ، ص) .

(٢) على هامش (ك) ببارهم .

(٣) غدا (م ، مث) والبيت ساقط من (ك ، ف) .

(٤) في (ح ، ص) .

(٥) موضع هذه القصيدة في جميع النسخ في آخر باب الرثاء ، وقد رأينا أنها بهذا الباب أجدر .

(٦) حملته ؟ (ك ، ف) والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (مخطوط في خزانة الكتب الأحمدية بحلب رقم ١٢١٦) . والجبْل : الجماعة من الناس . والبيت كله لم يرد في (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٧) المصاك والأصك : النوي .

لا تبعدنْ تربةٌ ضمتْ شمائلَهُ ولا عدا جانبيها العارضُ الهطِلُ

لقد حوتْ غيرَ مكسالٍ ولا رعِشٍ إنْ قيّدَ القودَ[١] من دون السُرى الكَلَلُ

قد كانَ إنْ سابقتْهُ الريحُ غادرَها كأنَّ أخمصَها بالشوكِ ينتعلُ[٢]

لا عاجزاً[٣] عند حملِ المثقلاتِ ولا يمشي[٤] الهوينى كما يمشي الوجي الوَجِلُ

مكمّلُ الخلقِ رحبُ الصدرِ منتفخُ الـ جنبينِ لا ضامرٌ طاوٍ ولا سَغِلُ[٥]

يطوي على ظمأٍ خمساً أصالحهُ في بيضةِ[٦] الصيفِ والرمضاءُ تشتعلُ

ويقطعُ المقفراتِ الموحشاتِ إذا عن قطعِها كانتِ المهريةُ البُزُلُ

في الأباطحِ هيقٌ[٧] راعَهُ قنصٌ وفي الجبالِ المنيفاتِ الذُرى وَعِلُ

يُرجّعُ النهقَ مقروناً ويطربني لحناً كما يُطربُ المزمومُ والرمَلُ[٨]

لو كانَ يُفدى بمالٍ ما ضننتُ بهِ ولم تُصنْ دونَهُ خيلٌ ولا خَوَلُ

لكنها خُطةٌ لا بدَّ يبلغُها[٩] هذا الورى كلُّ مخلوقٍ لهُ أجلُ

(١) القود : الخيل والابل .

(٢) تنتعل (ك ، ف) منتعل (ح ، ص) والوافي بالوفيات .

(٣) لا غامراً (ك ، ف) والوافي بالوفيات .

(٤) عجز بيت للأعشى ميمون وصدره : « غراء فرعاء مصقول عوارضها » .

(٥) السغل : من معانيه المهزول .

(٦) في كوكب القيظ ... (الوافي بالوفيات) .

(٧) الهيق : الظليم وهو ذكر النعام .

(٨) المزموم والرمل : لحنان . وموضع هذا البيت بعد الذي يليه في (ك ، ف ، ح ، ص) ولم يرد في (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٩) يتبعها (ك ، ف) .

وإنَّ لي بنظام الدينِ تعزيةً عنهُ وفي النجبِ [١] من أبنائه بَدَلْ

* * *

وكان له ابن أخت يلثغ بالقاف ويخرجها همزة فعمل له هذه الأبيات يداعبه بها في كل كلمة منها قاف [٢] :

مُقلة قرحى وقلبٌ شيِّقٌ [٣] ومآقٍ وَدْقُها [٤] يَستبِقُ
واشتياقٌ واحتراقٌ واتقا رُقباءٍ وسَقامٌ موبِقُ [٥]
يا لَقومي ولِقومي قوَّةٌ لوقيذٍ [٦] قتلتْهُ الحدَقُ [٧]
إرفقوا بالقلبِ قد أوثقتمُ قَيدَهُ والعشقُ قيدٌ موثِقُ [٨]

* * *

(١) وفي الكل من آبائه (ظ ، م ، مث ، ب) وموضعه قبل سابقه . وفي النجل من آبائه بدل (ك ، ف ، ح ، ص) . وفي النجل عن آبائه بدل (الوافي بالوفيات) . وكل ذلك تصحيف عما اخترناه .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (م ، مث ، ب) .
(٣) مشفق (ظ) .
(٤) دمعها (ظ ، ف) وحبيب طبعه لا يشفق (ح ، ص) .
(٥) موثق (ظ) ومقام موثق (ف) يوثق (ك) .
(٦) الوقيذ : الشديد المرض ، وفي الأصل (لوقيد) وهو تصحيف .
(٧) الحرق (ح ، ص) .
(٨) ساقط من (ص) .

وقال في جامع دمشق لما سلسلت أبوابه [١] :

سَلوهُ إنْ أجابكمْ سَلوهُ سلوهُ جُنَّ حتى سَلسلوهُ
ولولا أنكمْ بقرٌ حميرٌ لما منعوكمْ أن تدخلوهُ

* * *

وقال في معنى ذلك ساخراً من الجمال المصري [٢] والخطيب الدولعي [٣] :

لمّا رأى الجامعُ أموالَهُ مأكولة [٤] ما بين نُوّابه
جُنَّ فمنْ خوفٍ عليه غدا مُسلسلاً من [٥] كل أبوابه
وكيف [٦] لا تَعتادُهُ جِنّةٌ وقد [٧] رأى المَسخَ لأربابه
القردُ في شبّاكهِ حاكمٌ والتيسُ في قبّةِ [٨] محرابه

* * *

(١) كان ذلك سنة ٦١٠ بأمر الملك العادل (الدارس في المدارس للنعيمي ٢/٥٩٣) مخطوط في المجمع العلمي العربي . والبيتان ساقطان من (م ، مث ، ب) .
(٢) جمال الدين يونس بن بدر المصري قاضي القضاة . راجع الحاشية رقم (٢) ص (٨٥) .
(٣) جمال الدين محمد بن أبي الفضل الدولعي ولد بالدولعية قرية بالموصل سنة (٥٥٥) وتفقه على عمه ضياء الدين الدولعي خطيب دمشق وولي الخطابة بعده وطالت مدته وتوفي بدمشق سنة (٦٣٥) ودفن بمدرسته التي أنشأها بجيرون (شذرات الذهب ٥/١٧٤) .
(٤) منهوبة (ك ، ف) والأبيات كلها ساقطة من (ب) .
(٥) في كل (ك ، ف) .
(٦) وكيف لا تزداده خيفة (ك ، ف) .
(٧) وقد رأى خمسة أربابه (ظ ، م ، مث ، ح ، ص) .
(٨) قبلة محرابه (ك ، ف ، م ، مث) .

وكان في بغداد رجل اسمه عمرو يتردّد على امرأته رجل اسمه غياث تزعم أنه أخوها، فوجدهما يوماً على حال لا تكون بين الأخوين، فمنعه من دخول داره. وتحاكما فلم يُمنع غياث من زيارة « أخته » فقال ابن عنين في ذلك[1]:

غياثٌ فاسمعوا قولي وعمروٌ   لهم عندي أحاديثٌ ظريفهْ
فزانٍ ما عليه من جُناحٍ   وقوّادٌ بتوقيعِ الخليفَهْ

* * *

وقال فيهما أيضاً[2]:

غياثٌ وعمروٌ فاسمعوا ما علمتُهُ   لشيخينِ[3] عندي من حديثِهما[4] شانُ
غياثٌ نفى عن نفسهِ الحدَّ في الزنى   وعمروٌ بتوقيعِ الخليفةِ قَرنانُ

* * *

وأضافه قوم في بخارى فقال[5]:

لا رعى اللهُ ليلتي في بُخارى[6]   ذكرُها ما حييتُ حشوُ ضميري
طرقتْني الضيوفُ فيها وقد بِـ (م) ـتُ من الجوعِ في عذابِ[7] السعيرِ

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) لشخصين (ظ).
(٤) مشابهما (ك) مشابها (ف).
(٥) ساقطة من (مث).
(٦) بخارى (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص).
(٧) عباب (ك ، ف).

ليسَ في منزلي سوى قحفِ إبر (م) ق[1] وباقي قطيعة من حصيرِ
أتقرّى التجارَ في سائرِ الخا (م) نات ظُهراً عندَ استواء القُدورِ
فإذا[2] فاتني كريمٌ يُغدّ (م) ني تعشيتُ قُرصةً من شعيرِ
وأداري في صونِ مالي بعرضي   وأقولُ القليلُ أصلُ الكثيرِ
وأنا المُوسرُ الغنيُّ ولكنْ (م) ي من فرط خسة[3] كالفقيرِ
فأتاحَ القضاءُ لي رهطَ سوءٍ   كذئاب قد أخفقت أو نُمورِ[4]
ألزموني ما قالهُ الخالديّانِ[5]   وراحوا عني بقول جريرِ[6]
ثمَّ قالوا معادُنا عن قريبٍ   فارتقبْنا فقلتُ هذا مسيري

* * *

(١) وما فيه قطعة من حصير (ح ، ص).
(٢) فاذا فاتني كريم تغذي   بعسيف في محله وعسير ؟ (ك ، ف).
ومن هذا البيت إلى آخر القطعة ساقط من (ب).
(٣) خستي (م).
(٤) ونمور (م).
(٥) الخالديان : هما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم كانا يشتركان في قول الشعر وينفردان ، فيمدحان بقصيدة واحدة يشتركان في نظمها ؛ وأراد بما قالاه : قولهما من قصيدة يمدحان بها سيف الدولة بن حمدان :
فغدا لنا من جودك المأكول والـ   ـمشروب والمركوب والملبوس
أراد ابن عنين أن ضيوفه ألزموه المأكول والمشروب وغيرهما. من (ك ، ف).
(٦) أراد بقوله « وراحوا عني بقول جرير » لما هجا الفرزدق بأبيات منها :
« وكنت إذا حللت بدار قوم   رحلت بخزية وتركت عاراً »
من (ك ، ف).

وكان بدمشق رجل بخيل يعمل لأصدقائه كل سنة دعوة ويتبرم بها، فقال فيه (١) :

أحبابنا ما لهذا الهجر من أمدٍ ... وحقكم عزّ صبري وانتهى جلَدي
أبيضةُ الديك حظي من وصالكمُ ... لا تفعلوا (٢) واجعلوها (٣) دعوة الأبدِ
فللعواذلِ (٤) مني حظُّ شيعتهِ ... يومَ الوليمةِ لا يُلوي على أحدِ
عهدي به واليدُ اليمنى يكفكفُ بها ... غربَ المدامعِ والأخرى على الكبدِ
يقولُ للخبز لا يبعدْ (٥) مداكَ ولا ... «أخنى عليك الذي أخنى على لُبَدِ (٦)»

* * *

وقال يداعب جمالَ الدين (٧) بن شيث والرشيد (٨) بن النابلسي ويضيف نفسه إليهما (٩) :

(١) ساقطة من (ح ، ص) .
(٢) لا تقلعوا (م ، مث) .
(٣) واجعلوه (ف) .
(٤) حظ العواذل مني (ظ) نال العواذل مني (م) . وورد البيت مضطرباً في (ك ، ف) .
(٥) لا تبعد (ك ، ف) .
(٦) تضمين قول النابغة الذبياني :
أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ
ولبد : اسم آخر نسور لقمان .
(٧) هو جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي ، تولى الوزارة للملك المعظم وتوفي بدمشق سنة (٦٢٥) ودفن بتربته بقاسيون (شذرات الذهب ١١٧/٥) .
(٨) راجع الحاشية رقم (٥) ص (١٢٠) .
(٩) ساقطة من (ب) .

أنا وابنُ شيثٍ والرشيدُ ثلاثةٌ ... لا تُرتجى فينا لخلقٍ فائدهْ
من كل من قصرت يداهُ عن النَّدى (١) ... يومَ الجدا (١) وتطولُ عند المائدهْ
فكأنَّنا واوٌ بعمروٍ أُلحقتْ ... أو إصبعٌ بين الأصابع زائدهْ (٢)

* * *

وقال أيضاً (٣) :

أنا وابنُ شيثٍ (٤) في الخيامِ زيادةٌ ... وابنُ النفيس (٥) وذا المُلق (٦) الصوفي
لا نيلُنا يُرجى ولا أضيافُنا ... تُقرى ولا نُدعى (٧) لدفع مَخوفِ
أما الملقْ كما علمتَ فنُسْكُهُ ... نَصْبٌ (٨) على زبديةٍ ورغيفِ

(١) عن الجدا ... يوم الندى (ك ، ف) .
(٢) ساقط من (ح ، ص) .
(٣) القطعة كلها ساقطة من (ظ) .
(٤) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٤٦) .
(٥) ورد في شذرات الذهب ج ٥ ترجمة ستة رجال يعرف كل منهم بابن النفيس توفوا ما بين سنة (٦١٨) وبين سنة (٦٤٢) انظر الشذرات (٨٠/٥ و ١٠٩ و ١١٧ و ٢٠٣ و ٢١٥) فلم يترجح عندنا تعيين من يريده الشاعر منهم .
(٦) الملق الصوفي كان من خواص رجال الملك المعظم يرسله بمهمات الأمور (مرآة الزمان ٤٤٢/٨) .
(٧) ولا نرجى (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٨) النصب هنا الاحتيال كما يستعمله أهل دمشق فيقولون : فلان نصّاب أي محتال . والزبدية : الصحفة من الخزف . وورد في (م ، مث ، ح ، ص) فزهده ... وقف على زبدية ورغيفِ .

وفتى بجيلة إن قرا ما خطّه ... أبصرت[1] منه[2] غرائب التصحيف
ومهوّس بالكيمياء يقطّع الأ (م) وقات بالآمال والتسويف[3]
يبغي[4] من الأبوال تبراً خالصاً ... عقل لعمر أبيك جدّ سخيف
وأنا وشعري كم يعنّفني الورى ... فيه فلا[5] فلا أصغي إلى التعنيف

فغضب ابن شيث وشقّ عليه أن يسخر منه فأصلح الملك المعظم بينهما وأخذ عليه عهداً أن لا يتعرّض لابن شيث فقال ابن عنين:

كذب كلّ ما ادعيت وزور ... أنا وحدي زيادة في الخيام[6]
ولزوم[7] السباط أكبر همّي ... وعلاج الأبوال أقصى مرامي
وضيوفي الأولى[8] يبيتون غرثى ... وبداي الطوال عند الطعام

(١) عاينت (ك ، ف) .
(٢) فيه (مث) .
(٣) ورد هذا البيت مضطرباً ومشوشاً في (ك ، ف) .
(٤) يروي (ك ، ف) .
(٥) ولا (ك ، ف) .
(٦) ساقطة من (ظ) .
(٧) ولزومي (ك ، ف) .
(٨) التي (ك ، ف) الذي (م ، مث ، ب) .

الباب السادس

في الألغاز[1]

قال ملغزاً في المشمش والسمسم[2] :

ندمان هذا أصله سامق[3] ... قاس وذا من خائر قاصر
أيهما صحّفت معكوسه ... دلّ بلا شكّ على الآخر

* * *

وقال في الساقية[4] :

وجارية يشفي الغليل[5] رضابها ... ويحكي محيّاها لنا الشمس والقمر
حصان وما ردّت أنامل لامس ... (تنوح)[6] و مقلات وما ضاجعت ذكر

* * *

(١) تختلف نسخ الديوان في إيراد ألغاز هذا الباب وترتيبها ، وكثير منها ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٢) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٣) سابق (ك ، ف) شامق (ظ) .
(٤) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٥) العليل (ح ، ص) .
(٦) تنوح (ك ، ف) تبوح (ح ، ص) تنوح وما إن صالحت أبداً ذكر (ظ) . ولعل الصواب ما اخترناه .

وقال في العقرب :

وما حيوانٌ يتّقي(١) الناسُ شرّهُ   على أنّه واهي القُوى واهنُ البطشِ
إذا صحّفوا نصفَ اسمهِ(٢) صار طائراً   وإن صحّفوا باقيه صار(٣) من الوحشِ

٭ ٭ ٭

وقال في سخانة الماء(٤) :

عندي مملوكةٌ إذا حملتْ   علمتَ حقاً بأنها منتْئِمْ
تجمعُ ضدّين قطُّ ما اجتمعا   في ناطقٍ قبلَها ولا أعجمْ
أعلمُ ما تحتوي أضالعُها   عليه من حملِها وما تعلمْ
يلقحُها(٥) كلُّ من يباشرُها   سيّانِ عمرانُ كان أو(٦) مريمْ
وهي(٧) متى استنتجتْ بدا ذكرٌ   وأختُهُ في الحشا وما تسلمْ

٭ ٭ ٭

(١) يحذر (م ، مث) تحذر (ب) .
(٢) طار (ك ، ف) كان (م ، مث ، ب) وتسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز للشيخ طاهر الجزائري ص (٨٦) .
(٣) كان (م ، مث ، ب ، ح ، ص) وتسهيل المجاز .
(٤) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٥) يلقحها (ك) .
(٦) أم (ح ، ص) .
(٧) وهو متى استفحصت له ذكر (ك ، ف) .

وقال في الوراشين « جمع ورشان(١) » :

يا أدباءَ الزمانِ إني   أعجزني للعويص كشفُ
خبّروني عن اسمِ جمعٍ   النصفُ ظرفٌ والنصفُ حرفُ

٭ ٭ ٭

وقال في الميزاب(٢) :

وما مُسْبَطِرٌ ماؤهُ متدفقٌ   من الظاهر يأتي(٣) غير زورٍ ولا كذبْ
يمجّ بما منهُ الخليقةُ كلُّها   ولا روحَ فيه إنّ هذا هو العجبْ

٭ ٭ ٭

وقال في العجلة (المعدة لجر الأثقال)(٤) :

أهلَ العلومِ أحاجيكم بواردةٍ   لا ترتوي ذاتِ(٥) إبطاءٍ على عجلَهْ
إذا استوى بين رجليها امرؤٌ نطقتْ   بزعجاتٍ من الأصواتِ متّصلهْ
تمشي وقائدُها من خلفِها أبداً   تميدُ في المشي كالسكرانةِ الثملهْ
صعراءُ(٦) إنْ هي قامتْ فهي مائلةٌ   وإنْ مشتْ فهي كالميزانِ معتدلهْ
محمولةٌ وهي للأثقالِ حاملةٌ   مقيمةٌ لا تزالُ الدهرَ مرتحلهْ

٭ ٭ ٭

(١) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٢) الميزان ؛ (ك ، ف) وساقط من (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٣) يأبى (ك ، ف) .
(٤) ساقط من (م ، مث ، ب) وتتمة العنوان من مسالك الأبصار (١٠/٥٦٨) .
(٥) هات ؛ (ك ، ف) وفي (ظ) ورد هذا البيت ثم ضمت إليه سهواً أبيات من لغز القوس الآتي .
(٦) صفراء (ك ، ف) .

وقال في القوس [1] :

وممْلوكةٍ أنسابُها فارسيَّةٌ ... لها لينُ مولىً تحتَ قوةِ والي

عليها جلابيبٌ يروقُكَ وشيُها ... كأنْ قد وشتْها حِميَرٌ بأزال [2]

تحنُّ لفقدانِ القرينِ كأنّها ... فصيلٌ حماهُ الخِلفَ ربُّ عيالِ

إذا آنستْ فقدَ القرينِ حسبتَها ... جمالاً (تراغتْ) [3] بكرةً لجمالِ

تواصلُ بين الكافِ والجيمِ رنّةً ... إذا ما عينٌ أردفتْ بشمالِ

* * *

وأنشده الملك المعظم هذا البيت [4] لغزاً في الإسلام :

أيُّ شيءٍ تراهُ حقّاً يقيناً ... حالما [5] اعوجَّ في الزمانِ استقاما

فأجابه بديهاً وصرّح بالجواب [6] :

أيُّها السيدُ الذي جعلَ الشِّرْ (م) كَ حُطاماً وشيّدَ الإسلاما

قدأتاكَ الجوابُ [7] لا شكَّ فيه ... فاتّخذني للمشكلاتِ إماما

* * *

(١) ساقط من (م ، مث ، ب) .

(٢) أزال : مدينة صنعاء .

(٣) في الأصل تداعت ، ولعل ما اخترناه هو الأصوب .

(٤) ساقط من (م ، مث ، ب) .

(٥) حينا (ح ، س) .

(٦) ساقط من (م ، مث ، ب) .

(٧) قد أتاك الجواب مني سريعا (ظ) .

وكتب إليه مجد الدين محمد [1] بخوارزم لغزاً في الميزان وهو قوله [2] :

لنا حاكمٌ أعمى سديدٌ [3] قضاؤهُ ... ولو كانَ ذا عينٍ لما سدَّدَ [4] الحكما

له لهجةٌ [5] خرساءُ يجري [6] بها القضا ... ترى فصحاءَ الناسِ في [7] جنبها بُكما

ولا حكمَ إلا حينَ يُصلَبُ [8] جهرةً ... فحينئذٍ لا ظلمَ تخشى ولا هضْما

سوى ناقصٍ يسمو إليه [9] وكاملٍ ... يُرى في حضيضٍ لا يُقلُّ ولا يُسمى

إذا خرَّ منهُ الرأسُ ثمَّ نكستَهُ ... غدا ناوياً فاعجبْ وصفَّ لك الأسما [10]

له [11] الحكمُ في الدنيا كذلك حكمُهُ ... يُنفَّذُ في الأخرى فدقِّقْ له فهما

إلى شرفِ الدينِ اقتضيتُ مقالتي ... إلى سيّدٍ حازَ الشهامةَ والعلما [12]

(١) لم نقف على ترجمة له .

(٢) ساقط من (م ، مث) .

(٣) شديد (ك ، ف ، ظ) .

(٤) شدد (ظ) .

(٥) مهجة ؟ (ك ، ف) .

(٦) يجري قضاؤها (ظ) .

(٧) من (ك ، ف) .

(٨) يطلب ؟ (ك ، ف) والبيت ساقط من (ظ) .

(٩) لديه (ك ، ف) .

(١٠) إذا جرّ منه الرأس ثم نكسته ... غدا ناريا فاعجب وصفت لك الاسما (ب) .
والبيت ساقط من (ح ، س) .

(١١) لك ؟ (ب) .

(١٢) والحكما (ب) .

إلى مِصقَعٍ لو قيسَ قُسٌّ[1] بمثله[2] ... لأُلفيتَ قُسّاً في بلاغته[3] قَدْما

إليهِ[4] رجائي أنْ يَرُدَّ جوابَها ... فنحنُ[5] إلى نظمٍ بديعٍ له نَظْما

ونَروى متى نَروي بدائعَ لفظِهِ ... ونَظْما إذا[6] لم نَروِ يوماً له نظما

فأجابه بقوله:

لكَ الفضلُ مجدَ الدينِ شرّفتَ عبدَكَ ... !! (م) غريبَ بنظمٍ لا نَقيسُ[7] به نَظما

وسَقّيتَني[8] من بحرِ فضلِكَ شُربةً ... مُقدّسةً صِرفاً حَمتني أنْ أظما

وألبستَني بُرداً من المجدِ ضافياً ... جمعتَ عليه من صِفاتِك لي رَقْما

وألغزتَ لي في حاكمٍ غيرِ مبصرٍ ... ولسنا[9] نَرى فضلاً لديهِ ولا علما

ونَقبلُ من أحكامِه كلَّ أمّةٍ ... ولا بخسَ فيه للأنامِ ولا هضما

وقلتَ بأنَّ العينَ تُبطِلُ حكمَهُ ... نعم[10] يحتوي عيناً وتُمضي[11] له الحكما

(١) هو قس بن ساعدة الايادي.

(٢) بفضله (ب).

(٣) فصاحته (ب).

(٤) إلي رجاء (ب).

(٥) ونحن (ك، ف، ح، ص).

(٦) متى لم نرو (ب) والبيت ساقط من (ح، ص).

(٧) لا بقيس (م، مث، ب).

(٨) واسقيتني من بحر جودك شربة (ظ).

(٩) ولست (ك).

(١٠) أجل (ظ، م، مث).

(١١) وتمضي (ك، ف).

وتنزلُ فيهِ الشمسُ في العامِ مرةً ... وترحلُ عنهُ مثلما نزلتْ حتما[1]

فلو جعلوا المعتلَّ[2] هاءً ورخّموا ... لكانَ على كلِّ الورى حكمُهُ[3] حلما

فلازلتَ محروسَ الجنابِ مسلَّماً[4] ... سنا مجدِكَ الأعلى وجانبُكَ الأسمى[4]

* * *

وقال في خليل:

ما اسمٌ حرامٌ للنساءِ[5] فِعالُهُ ... وتراهُ[6] بالتصحيفِ وهو مُحلَّلُ

جمعٌ إذا ألقيتَ ثانيه[7] ولم ... يُسمَعْ بواحدِهِ[8] على ما يُنقَلُ

وبحذفِ ثالثِهِ يُعابُ أخو الحِجى[9] ... إنْ جاءَ فيما قالَ أو ما يفعلُ

ويصيرُ بالترخيمِ إنْ ناديتَهُ ... ضداً لتصحيفِ الذي لا يَخلُ

لغزٌ أتاكَ بهِ خليلٌ صادقٌ ... في ودِّهِ بادٍ لمَنْ يتأمّلُ[10]

(١) ويبطل عنه الميل ما نزلت حتما (م، مث).

(٢) المختل (م، مث).

(٣) حكما حلما (ك، ف) لكم حكما (ظ، ب).

(٤) منعما. الأحمى (م، مث، ب).

(٥) للنسا أفعاله (ك).

(٦) وتراه (م، مث).

(٧) ثلثيه؟ (ك، ف).

(٨) بواحدة (ك، ف).

(٩) أخو حجى (ظ).

(١٠) يتأول (ظ).

تركَ الخداعَ بكشفِهِ لِقناعِهِ   فأبانَهُ وهو الخفيُّ المشكلُ (١)

* * *

وقال في رسلان (٢) :

ما نالَ سرَّ الهوى (٣) ممن كلفتُ بهِ   مني صديقٌ ولا أبثثتهُ بَشرا
خفتُ الرقيبَ عليهِ والوُشاةَ بهِ (٤)   فقد جعلتُ اسمَهُ (٥) في القلبِ مستترا

* * *

وقال في حاتم (٦) :

قَدَرٌ مُتاحٌ نظرةٌ أرسلتُها   فكأنَّني ناضلتُ أحذقَ (٧) رامي
أألومُهُ فيما جنَتْهُ سِهامُهُ   ما ذنبُهُ الجاني عليَّ سِهامي (٨)
لا أتّقي فيهِ الملامَ لأنَّني   أخفيتُهُ في القلبِ عن لُوّامي

* * *

(١) ساقط من (ظ) .
(٢) نقل من باب الوقائع والمحاضرات ، وهو ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٣) فيمن (ك ، ف) .
(٤) والوشاة معاً .
(٥) فقد جعلت سمي العبد مستترا (ك ، ف) .
(٦) نقل من باب الوقائع والمحاضرات ، وهو ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٧) أحدق (ك) .
(٨) هذا البيت ساقط من (ح ، س) .

وقال في قراقوش :

أخفي اسمَ مَنْ أحبُّهُ مخافةً   وذكرُهُ في القلبِ شوقٌ وأرقْ
شُبِّهَ (١) بالوردِ الجنيِّ خدُّهُ   وخدُّهُ من ذاكَ أندى وأرقْ

* * *

وكتب إليه نجيب الدين أبو الفتح نصر بن شقيشقة (٢) ملغزاً باسم مظفر (٣) :

أيا عالماً فاقَ الأنامَ بعلمهِ   وأبدى خفيّاتِ الرموزِ بفهمهِ
أبِنْ لي ما اسمٌ ليتَ لي يُمْنَ مَنْ بهِ   تَسمّى ولو يوماً من الدهرِ باسمه (٤)
بتصحيفِكَ الثاني وحذفِكَ ثالثاً   يَصيرُ حياً يُحيي البلادَ بسجمه
فإنْ تحذفِ الحرفَ الذي هو أوّلٌ   تصادفْ لهُ عشرينَ شبهاً بجسمه

فأجابه مصرحاً بالاسم :

فَدَيتُ فتىً مازالَ ثاقبُ فكرِهِ (٥)   يُقلّدُ دراً من نفائسِ نظمه

(١) قد شيب بالورد ... (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٢) كان ابن الشقيشقة محدثاً أديباً بارعاً ، توفي بدمشق سنة (٦٥٦) شذرات الذهب (٥/٢٨٥) .
(٣) لم يرد إلا في (ح ، ص) .
(٤) ورد هذا البيت في الأصل مصحفاً مضطرباً هكذا :
« أبن لي ما اسم ايث إلى يمن به   تسمى ولو يوماً من الدهر كاسمه »
ولعل ما اخترناه أقرب إلى الصواب .
(٥) رأيه (م ، مث ، ب) .

فلا(١) زال في كل الأمور مظفَّراً ... بطول أياديه وصادق عزمه
أجدُّكَ ما تنفكُّ تُلغزُ مُشكلاً ... تُقصِّرُ(٢) ألبابُ الورى دون فهمه
وقد ضاع من أنفاس نظمك نفحةٌ ... من المسك فاجعلْ ها فدامًا(٣) لختمه

* * *

وكتب إليه ملغزاً باسم حمّاد فأجابه(٤):

يا جامعَ الفضلِ الذي قد غدا ... مفرِّقاً(٥) ما بين أندادِه
أنتَ الذي مالي مُذِ اختصَّني ... بينَ الورى اسمٌ غيرُ حمّادِه

* * *

وقال في يحيى(٦):

ما اسمٌ رُباعيُّ الحروفِ وإنما ... باثنينِ يُكتبُ والصحيحُ فواحدُ
فإذا(٧) دعوتُ له فلستُ(٧) أزيدهُ ... فإن(٧) استُجيبَ دُعاي فهو الخالدُ
ولو انَّه لي في المنامِ(٨) مصحَّفٌ ... لوددتُ أني طولَ دهري راقدُ
وتراهُ إن صحَّفتَهُ وعكستَهُ ... يُنجي فبيِّنْهُ فإنَّكَ ناقدُ

* * *

(١) ولا زال (ك ، ف).
(٢) تحير (ح ، ص).
(٣) مداما (ظ) فداء ؟ (ك ، ف).
(٤) ساقط من (ظ).
(٥) مقسما (م ، مث ، ب).
(٦) ساقط من (م ، مث ، ب).
(٧) وإذا . فكنت . وإن (ظ).
(٨) الزمان (ح ، ص).

وقال في إسحق:

ولقد كتمتُ اسمَ الذي أحببتُهُ ... ودفنتُ سرَّ حديثِه بين الحشا
ورأيتُ(١) نقضَ العهدِ ذنباً يحتوى(٢) ... أبداً وكشفَ السرِّ شيئاً مُفحشا(٣)
فجعلتُ سرَّ القلبِ ستراً دونَهُ ... فمنَ الأمينُ البرُّ إن قلبٌ وشى
إني لأخشى القلبَ يكشفُ سرَّهُ ... إنْ طارَ عنه النسرُ واصطادَ الرشا

* * *

وقال في يٰسن:

وشادنٍ أبصرتُهُ قائماً ... يلعبُ بالأكرةِ(٤) في موسمِ
كأنَّهُ البدرُ وقد كُلِّلتْ ... من عرقٍ خدّاهُ بالأنجُمِ
وكلَّما أبعدَها ركضُهُ ... عادتْ على(٥) أقدامه ترتمي
قلتُ له ما اسمكَ قلْ لي فقد ... سفكتَ من غيرِ جراحٍ دمي
فمرَّ في لعبتهِ لاهياً(٦) ... وقال حرفانِ من المُعجمِ

* * *

(١) وركبت (ك ، ف).
(٢) كذا في جميع النسخ ، ولعله يجتوى.
(٣) فاحشا (ظ ، م ، مث ، ب).
(٤) بالبابوك (ك ، ف) بالبازات (م) بالبازل (ب) في التابوك (ح ، ص) بالناقول في الموسم (ظ).
(٥) إلى أقدامه (ظ ، م ، مث ، ب).
(٦) هازئا (ح ، ص).

وقال في شيث :

أيُّها العالمُ الرئيسُ (١) أجِبْني عن سؤالي فأنتَ ربُّ المعاني
أعجزتني ثلاثةٌ وهي خمسٌ مُشكلاتٌ مالم (٢) تُنَطْ بثمانِ
فإذا ما عكستها ثمَّ صحَّفْـ (م) ـتَ غدتْ (٣) واحداً من الحيوانِ

* * *

وأنشده رجل لغزاً في حرب (٤) :

ما اسمٌ إذا صحَّفوه كان مَجلبةً للهمِّ (٥) أو صحَّفوا معكوسَه فكذا
وإنْ أُقِرَّ على مفهومِ صيغتهِ ولم يُخِلَّ (٦) به التغييرُ كان أذى

فأجابه في الحال بقوله (٤) :

ما في نفاقِ أبي سفيانَ مختلفٌ قد كانَ أوفى قريشٍ للنبيِّ أذى
وكانَ رأسَ العمى في جاهليَّته فصارَ في مُقلةِ الدينِ الحنيفِ قذى

* * *

وقال في إلياس :

يا خليليَّ لا تُطيلا سؤالي سرُّ مثلي في الحب لا يُبديه (٧)
سائلا القلبَ إن قدرتم على أنْ تسألاهُ عن اسمِ من حلَّ فيه

(١) اللبيب (هامش ظ) .
(٢) ولم تنط (م ، مث ، ب) .
(٣) غدا (م ، مث ، ب) وتسهيل المجاز ص (٨٨) .
(٤) ساقط من (م) .
(٥) للسوء (ك ، ف) .
(٦) ولم يحل (ب) .
(٧) لا أبديه (ح ، ص) لا تبديه (ك) .

هو في الناسِ ظاهرٌ (١) غيرَ حرفٍ واحدٍ في هجائه يُخفيه (٢)
وإذا نقطةٌ نفتْ أُختَها عنهُ (٣) فكلٌّ بجهدهِ يتَّقيه (٤)

* * *

وقال في فاتك ونصر :

وساحرِ الطرفِ شهيِّ اللَّمى حلوِ التثنّي كاملِ الحُسْنِ
يَمشي وتِرْبٌ معهُ مثلُهُ في الشكلِ والهيئةِ والسنِّ
قلتُ له ما اسمُكَ قالَ لي فقد فتنتَني قالَ انصرفْ عني
نَبغي (٥) سوى اسمي وتُوَرِّي به فاتكَ ما تطلبُهُ مني
أخفيتُهُ عنكَ ولكنَّهُ يبدو بما غرَّكَ (٦) من جفني
قلتُ فهذا ما اسمُهُ قال لي بعضُ الذي قد قلتَه يُغني (٧)

* * *

وقال في سفرى (٨) :

ما اسمٌ إذا قطَّعوهُ كان أربعةً وعدُّهُ ستةٌ معروفةُ السببِ

(١) ظاهراً ؟ (ظ) .
(٢) أخفيه (ح ، ص) .
(٣) عنها (ب) .
(٤) ينفيه (ك ، ف) .
(٥) بين سوى اسمي ووري به ؟ (ك ، ف) .
(٦) غزل ؟ (ظ) والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٧) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) ساقط من (م ، مث ، ب) .

نصفُ ثلاثةُ أرباعٍ يكونُ لهُ   ونصفهُ ربعهُ (١) هذا مِنَ العجبِ
وحرفُ ثانيهِ معجومٌ بواحدةٍ   وعُجْمُ آخِرِهِ ثنتانِ في الكتبِ
ولاسمهِ نسبٌ لو كنتَ تعرفُهُ   ما إنْ يؤولُ إلى عُجْمٍ ولا عربِ
هذا اسمُ ذي غُنُجٍ ما إنْ يفسّرُهُ   إلا امرؤٌ بارعٌ في العلمِ (٢) والأدبِ

* * *

وقال في بدر (٣) :

ومبينٍ ما زالَ في النّاسِ مخفو (م) ظاً مناهُ من كلهم حرفُ جرٍّ (٤)
قيلَ يا صاحِ ما اسمُهُ قلتُ بدرٌ   إنما راهُ بدرِهِ واوُ عمروِ

* * *

وقال في أبي بكر (٥) :

إني لأعجبُ من ثلاثةِ أحرفٍ   نسقٍ يخالفُ شكلُها أوصافَها
يلقاكَ سائرُها بشكلٍ واحدٍ   ويُريكَ (٦) قطعُ رؤوسِها أنصافَها
في اسمٍ (٧) لبدرٍ ما رنتْ ألحاظُهُ   إلاّ وأهدتْ للنفوسِ تلافَها

* * *

(١) ثلثه (ك ، ف) .
(٢) الفضل (ك) .
(٣) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٤) ومبين ما زال في الناس مبذو   لاً من كلاهما حرف جر؟ (ح ، ص) .
(٥) ساقط من (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٦) ويزيل قطع رؤوسها أيصافها (ك ، ف) .
(٧) اسم لبدر (ظ) .

وقال في سنجر :

إنْ بَدّلوا (١) أوّلَهُ آخراً   وبدّلوا الثانيَ بالآخرِ
حدّثَ (٢) عن أنفاسهِ آخرَ الليـ (م) ـلِ وعن جفنٍ له فاترِ

* * *

وقال في يعقوب (٣) :

إسمعْ وقاكَ إلٰهي ما تحاذرُهُ   خيرُ ما وُقيَ الإنسانُ ما حذرا
مضروبُ أولهِ في نصفِ آخرهِ   جذرٌ لأوسطهِ إنْ حاسبٌ نظرا

* * *

وقال في السرج واللجام :

ولي صاحبٌ يغشى الوغى وهو فارسٌ   ويعجزُ أنْ يغشى (٤) الوغى وهو راجلُ
تفخّذَ ظهرَ الأعوجيّ محزّماً (٥)   فقلتَ هلالٌ أطلعتْهُ المنازلُ
ولا غُنيةٌ فيه بغيرِ أخٍ له   شديدِ القوى صعبٍ على (٦) الخيلِ باسلِ

(١) إن جعلوا أوله ثانياً   وبدلوا الثالث بالآخر (ك ، ف)
» » » آخراً   » » » (ح ، ص) .
(٢) يفاث من أنفاسه آخر الليـ   ـل وعن جفن له ساحر (ك)
» عن » » »   » » » » » (ف)
حدث » » » »   » » » ساهر (ح ، ص) .
(٣) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٤) إن واف الوغى (ك ، ف) .
(٥) محرماً (ح ، ص) .
(٦) من الخيل (ك ، ف) .

أسيمرُ (١) موشيُّ العذارِ كأنّما ... يُناطُ (٢) به من ساعديه جداولُ

* * *

وقال في البئر:

ورومية في الدارِ عندي عزيزةٌ ... عليّ (٣) تروّيني الحديث بلا ضجرْ
تفوتُ (٤) القنا الخطّيَّ طولاً وشكلُها ... يُوازي (٥) الغلامَ الطفلَ في (٦) شدّة القِصَرْ
وأحببتُ يوماً أن أراها بحانيةٍ (٧) ... فصغتُ لها تاجاً ولكنّه حجرْ

* * *

وقال في الفروة:

وتركيةِ الأنسابِ طوراً أحبُّها ... فأكرمُ مثواها وأعنى (٨) ببرّها
أواصلُها حتى إذا ما ملَلتُها (٩) ... رأيتُ لذيذَ العيشِ في طولِ هجرها

(١) أسيم موشى بالعذار (ك، ف).
(٢) تبدى له من ساعديه (م، مث).
(٣) علي وترويني الحديث (ك، ف) ومسالك الأبصار (١٠/٥٦٤).
على أنها تروي الحديث (جوهر الكنز لنجم الدين أحمد بن الأثير ص ٨٤) مخطوط في دار الكتب الظاهرية.
(٤) تفوق (ظ) تنوب ؟ (ك).
(٥) يواري (ك، ف).
(٦) في الدار إن حضر (ك، ف) إن خطر (مسالك الأبصار).
(٧) بحيلة (ك، ف).
(٨) وأغنى (ك، ف).
(٩) ملكتها (ظ، م، مث، ك، ف).

خلقتُ (١) لها آباءَها ووكلتُها ... إلى ناصحٍ (٢) طبٍّ خبيرٍ بسرّها (٣)
فجاءت على ما اخترتُ لا الطولُ شانَها ... ولا قال فيها الناسُ عيباً لقصرها
وألبستُها ثوباً من الوشي مُعْلَماً ... لإتمام معناها وإكمالِ فخرها (٤)
وما ليلةٌ في الدهرِ إلا هجرتُها ... فلا وصلَ حتى تستنيرَ بفجرها (٥)
وكانت (٦) زماناً يُستلذُّ ببطنها ... ولكنّني ألتذُّ منها بظهرها

* * *

وقال في الخمر (٧):

وسائرةٍ في الليلِ لا تعرفُ الكرى ... تُحمَّلُ أعباءً ثقالاً فتصبرُ (٨)
أُتيحَ لها علجٌ عنيفٌ (٩) فبزّها ... ملابسَها مستأجرٌ لا يُقصّرُ
وألبسها ثوباً من الوشيِ رائعاً (١٠) ... وليس لها عقلٌ فتُثني وتشكرُ
فمَن سرّه تأنيثُها أنّثَ اسمها ... ومَن سرّه التذكيرُ فهو مذكّرُ

* * *

(١) جعلت لها مستوطناً ووكلتها (ك، ف) جعلت لها ما سرها (ح، ص).
(٢) صانع (ح، ص).
(٣) بسبرها (ك، ف).
(٤) ساقط من (ح، ص).
(٥) ساقط من (ظ، م، مث، ب).
(٦) وكنت زماناً أستلذ (ظ).
(٧) ساقط من (ك، ف).
(٨) وتصبر (م، مث).
(٩) عسيف (م، مث).
(١٠) رائقاً (م، مث).

وقال في المرآة :

وَمملوكةٍ[1] عندي عزيزٍ نِجارُها ... عليها حُلِيٌّ مِن لُجَيْنٍ ومن تِبْرِ
إذا قابلتْ بدرَ السماءِ بوجهها ... تيقَّنْتَ أنَّ البدرَ قُوبِلَ بالبدرِ
يُؤَثِّرُ فيها الوهمُ من صَلَفٍ بها ... فمِنْ أجلِ هذا الأمرِ تريم[2] عن الخِدرِ
تُخبِّرُني عني بما لا رأيتُهُ ... فتصدقُ فيما خَبَّرتْ[3] وهي لا تدري
تُقابِلُ بالتقطيبِ[4] إنْ قُوبِلتْ بهِ ... وإنْ قُوبِلتْ[5] بالبِشْرِ لاقتْهُ بالبِشْرِ

* * *

وقال في الصلوات الخمس وكتب بها إلى الصلاح الإربلي[6] :

يا أولي العلمِ[7] خَبِّروني فإني ... ضاقَ ذَرْعي وضَلَّ ثاقِبُ فَهمي
عن ثلاثٍ[8] لزمنني أخواتٍ ... مُفصحاتٍ نِيطتْ بثنتينِ عُجْمِ
فاعجبوا مِن عجائزٍ لزمتني ... كلَّ يومٍ إتيانُهنَّ[9] برغمي

(١) ومكودة (مث ، ب) وفاتنة (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٤) .
(٢) من الخدر (ظ ، م ، مث) ومسالك الأبصار ، وتسهيل المجاز ص ٩١ .
(٣) فيا خبرته ولا تدري (ظ) وتسهيل المجاز .
(٤) بالمكروه (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص) ومسالك الأبصار ، وتسهيل المجاز .
(٥) وإن قوبلت بالخير لاقته بالخير (ك ، ف) .
(٦) راجع الحاشية رقم (١) ص (١٢٠) .
(٧) الفهم (م) .
(٨) عن ثلاث لزمنني كل يوم ... مفصحات أتت بألسن عجم (م) .
(٩) بحيثهن (ظ) .
فاعجبوا من عجائز هي خمس ... كل يوم بحيثهن برغمي (م ، ب) .

لا يُنجِّي الفرارُ منهنَّ في البحـ(م)ـرِ ولا في ذُرى الجبالِ الشُّمِّ
ولو أني طلقتُهنَّ تسربا(م)تُ بعارِ الدنيا وبُؤْتُ بإثمِ
وَيحَ أعضاي[1] من زواجِ النصارى ... بسوى الموتِ لا يُفرَّجُ همي

* * *

وقال[2] :

قد[3] تنقَّلْنا بميمٍ ... وسينينِ[4] وجيمِ
فعلَ أجلافِ جبالٍ ... خيمُهم خالفَ خيمي[5]

* * *

وقال في قداح الميسر :

وما إخوةٌ شتَّى النجارِ فمنهمُ ... نبيهٌ ومنهمْ خاملٌ مالهُ ذِكْرُ
ولا عقلَ يهديهم ولا دينَ عندهم ... وحُكمهمُ حكمٌ وأمرهمُ أمرُ
عتادُهمُ نحرُ الصفايا لقومهم ... إذا السنةُ الشهباءُ أخلفها القطرُ
إذا ما انتدى[6] الساداتُ يوماً لحكمهم[7] ... تباشرتِ الأيتامُ واندفعَ العسرُ
ومن عجبٍ أنْ ليس ينفذُ حكمُهم ... على أحدٍ إلا إذا ضمَّهم قبرُ

(١) قلبي (ظ) أعضاء (ح ، ص) .
(٢) ساقط من (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٣) وتنقلنا (ك ، ف) .
(٤) وشينين (ظ) .
(٥) مضطرب ومشوش في (ظ) .
(٦) ابتدا (م ، مث) ابتدى (ب) .
(٧) بحكمهم (م ، مث) .

وأعجبُ منهُ أنَّنا بِفعالِه[1] نُعابُ وقِدماً[2] كان في فعلِهِ فخرُ

* * *

وكتب إليه عفيف الدين[3] علي بن عدلان ملغزاً في حبل الغسيل:

ما ضئيلٌ[4] لهُ الهواءُ مَقيلٌ مُكتسٍ يومَهُ وفي الليلِ عاري

ويُرى لابساً صُنوفَ ثيابٍ وهو ذو فاقةٍ حليفُ افتقارِ

تعتليهِ[5] الكُسى ثِقالاً فيُلقيـ(م)ـها خِفافاً في أُخرياتِ النهارِ

فأجابه بقوله:

أيُّها السيدُ الأجلُّ عفيفُ الـ(م)ـدينِ زينُ الحِجى وحلفُ الوقارِ[6]

أنتَ من أُسرةٍ عتادُهُمُ[7] في المجـ(م)ـدِ بذلُ الندى وحفظُ الجارِ

سادةٌ جمَّعوا شتاتَ المعالي عظماءُ الحُلومِ والأخطارِ

والمُجلّي في كلِّ حلبةِ سبقٍ[8] وسواكَ السُّكَيْتُ غيرُ الجاري

(١) بفعالنا (م، مث).

(٢) فقدماً (ك) والبيت ساقط من (ح، ص).

(٣) هو عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم ولد سنة (٥٨٣)، كان علامة في الأدب من أذكياء بني آدم، انفرد بالترجمة وحل الألغاز، وله في ذلك تصانيف. توفي بالقاهرة سنة (٦٦٦) فوات الوفيات (٥٩/٢) وبغية الوعاة للسيوطي ص ٣٤٣.

(٤) وضئيل (ك، ف، ح، ص) ومسالك الأبصار (٥٦٥/١٠).

(٥) فعليه (ك، ف، ح، ص).

(٦) الفخار (ك، ف، ح، ص).

(٧) أنت من أسرة عتادهم المجـ ـد وبذل الندى وحفظ الجار (م).

(٨) فضل (ك، ف) وعجز البيت فيهما مضطرب. والبيت كله في (ظ) مضطرب مشوش.

كاسياً من ثيابِ فضلٍ وفخرٍ عارياً من لباسِ ذلٍّ[1] وعارِ

لا تخَلْني ممَّن يُجاريكَ في اللغـ(م)ـزِ وقد فرَّ منكَ كلُّ مُجاري

كلَّ يومٍ تُجيئُني[2] بعويصٍ من قوافيكَ متعبٍ أفكاري

كان لي قدرةٌ على اللغزِ إذ حبـ(م)ـلي متينٌ وزندُ فكريَ واري

وحقيقٌ بالثلبِ ثِلبٌ[3] تصدَّى لمجاراةِ بازلٍ خطّارِ

غيرَ أنّي أظنُّ[4] أنَّكَ تكني عن رفيعٍ محلُّهُ ذي احتقارِ

أبداً يكتسي العواري من النا(م)سِ ومن يكتسي العواريَ عاري

فهو يُكسى واليومُ صحوٌ ويَعرى جسمُهُ في مواقعِ الأمطارِ[5]

فإذا لم أُجبْ فغيرُ ملومٍ أنْ[6] يرومَ المشيبُ إطفاءَ ناري

ولعَمْري لقد نطقتُ صريحاً باسمِهِ فانجلى كضوءِ النهارِ[7]

* * *

(١) بؤس (ك، ف) لؤم (م).

(٢) تحييني (ك).

(٣) الثلب: البعير انكسرت أنيابه من الهرم وتناثر ذنبه. بكر (ك، ف). والبيت ساقط من (ظ، ح، ص).

(٤) غير أني مع ذا أظنك تكني (مث، ب).

(٥) ساقط من (ظ).

(٦) حيث رام المشيب ... (ك، ف، ح، ص).

(٧) ساقط من (ح، ص).

وقال (١) في خشكنان (٢) :

وعُوجٍ كأمثالِ الأهلّةِ بُزّلٍ   دِقاقٍ حواشيها تَماكَ (٣) خُصورُها
عقَرْتُ لصحبٍ جُوَّعٍ فرددتُهم   بِطاناً ولمّا تَدْمَ منها نحورُها

* * *

وأنشده رجل من أهل الموصل لغزاً في الزرّ والعروة :

وما أنثى وينكحها أخوها   بِعقدٍ وهو حِلٌّ مُستباحُ
رآهُ معشرٌ (٤) منّا مُباحاً (٥)   وفي أعناقهم (٥) ذاكَ النِّكاحُ

فأجابه ابن عنين :

تُحاجيني (٦) ولفظُكَ مثلُ دُرٍّ   لهُ من فكرِكَ الواري نِصاحُ (٧)
وقدحُكَ في العلومِ هو المُعلّى   غداةَ تُجالُ (٨) في النادي القِداحُ
بِبعلٍ كأنّهُ ذكرٌ صحيحٌ   وأنثى كأنّها فرجٌ مُباحُ

(١) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٢) الخشكنانج : نوع من الحلوى يعمل بالسميذ والشيرج ويحشى باللوز والسكر (كتاب الطبيخ لمحمد بن الكريم) .
(٣) تماك : طال وارتفع واكتنز . تمال (ف) ثمال (ك) سمان (ظ) .
(٤) معاشر (ب) .
(٥) حلالاً ... وفي أرقابهم (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) تخاطبني (ظ) .
(٧) نضاح ؟ (ف) وصاح ؟ (ظ) .
(٨) تجال ؟ (ك) إذا ما جيل في النادي القداح (ح ، ص) .

وتُقضى (١) هذهِ ويُجبّ هذا   ولا تُؤذيهما (٢) تلكَ الجِراحُ

* * *

وأنشده ابن عدلان لغزاً في الجلد لابن الرومي (٣) :

مُتمنطقٌ (٤) من جلدِهِ   مُتختّمٌ في خصرِهِ
أبداً تراهُ وصدرُهُ   في بطنِهِ أو ظهرِهِ

فأجابه ابن عنين :

أَلْغزتَ في شيءٍ بِنَـ (م) ـمُ سواهُ (٥) عنهُ بِسرِّهِ
جَمَعَ الدُّجى والصبحَ بَيْـ (م) ـنَ ضلوعِهِ في صدرِهِ (٦)
ومُجلَّدٌ بالعظمِ (٧) يَظْـ (م) ـهرُ منهُ خافي (٨) أمرِهِ
وإذا عكستَ حروفَهُ   شرُفَ الحُسامُ بذكرِهِ
ولقد جعلتَ (٩) هلالَهُ   وهو الخفيُّ كبدرِهِ

* * *

(١) وتنقضى (ك ، ف ، ب ، ح ، ص) فتنقضى (مسالك الأبصار) .
(٢) ولا يؤذيهما ذاك الجراح (ك ، ف ، ظ ، ب ، م ، مث) ومسالك الأبصار .
(٣) أبو الحسن علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، ولد ببغداد سنة (٢٢١) وتوفي بها سنة (٢٨٣) وترجمته في وفيات الأعيان (١/٤٤٢) .
(٤) متنطق (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) لنا سواه بسره (ظ ، ب ، مث) .
(٦) في نحره (مث) .
(٧) في العظم (ب) .
(٨) خافي سره (ك ، ف) ستره (مث) .
(٩) جهلت (م ، مث) .

وقال في البيضة (١) :

وَمملوكةٍ عندي حديثٌ نِتاجُها ... أتَتْني بمولودٍ وما بلغتْ شهرا

على أنها بِكرٌ حَصانٌ وعالقٌ (٢) ... وهذا لعمري مشكلٌ يُتعب الفكرا

وقد ولَدَتها أمُّها وهي حاملٌ ... فيا عجباً إني أرى أمرها نُكرا

ومذ نَبَذَتها أمُّها حفيتْ (٣) بها ... حُنُواً وضمَّتْها إلى جَنبِها أخرى

وفي جمعِها نقصٌ وتصحيفُ عكسه (٤) ... يكونُ لهُ صيتٌ وليس لهُ ذكرى

* * *

وقال مجيباً لمجد الدين محمد عن لغز في السرير :

وقاكَ (٥) اللهُ مجدَ الدينِ عينَ ا (م) حسودِ ملأتَ لي قلبي سُرورا

لقد أُوتيتَ في نظمِ القوافي ... وفي تفصيلها مُلكاً (٦) كبيرا

إذا انتسبتْ إليكَ بناتُ فكرٍ ... حقَرنا كلَّ ما زانَ النُّحورا

وإنْ جُليتْ عرائسُها علينا ... نَدينُ (٧) لها الفرزدقَ أو جريرا

معانٍ كالأهلَّةِ في خفاءٍ (٨) ... ولفظٌ واضحٌ يحكي البدورا

(١) ساقط من (ظ، م، مث، ب) وقد ورد في ص ٨٤ من جوهر الكنز منسوباً لغير ابن عنين .
(٢) وثيب (ح، ص) .
(٣) خفيت ؟ (ك) .
(٤) عكسها (ك، ف) .
(٥) وقاك الله عين السوء مجد الأنام ملأت لي قلبي سرورا (ظ، م، مث، ب) .
(٦) علماً كثيرا (ظ) خيراً كثيرا (م، مث، ب) .
(٧) بدين (ك، ف) والبيت ساقط من (ح، ص) .
(٨) في خفاها (ظ) .

لقد شرَّفتَني ورفعتَ قدري ... فأصبحت المجرَّةُ (١) لي سريرا

سألتَ وقد (٢) أجبتُ فإنْ تجدني ... هفوتُ فسلْ تجدْ غيري خبيرا

* * *

وأنشده بعضهم لغزاً في حرف النون (٣) :

ثلاثةٌ أحرفُهُ ... وواحدٌ جميعُهُ (٤)

إنْ رُمتَ أنْ تعكسَهُ ... فلستَ تستطيعُهُ

فأجابه بقوله :

يا شاعراً ألغزَ لي (٥) ... مِنْ شعرِه بديعُهُ

سَمِيُّهُ في البحرِ لا (م) كِنِّي لا أُذيعُهُ

وقال أيضاً في جوابه (٦) :

إنَّ الذي ألغزتَهُ ... في خطِّ كلِّ كاتبِ

مُشبَّهٌ بالصُّدغِ أو ... بالفمِ أو بالحاجبِ

* * *

(١) المجرد ؟ (ك، ف) وأصبحتَ المجرد لي سريرا (ظ، م، مث، ب) .
(٢) وإن ؟ (ك، ف) .
(٣) ساقط من (ب) . ونسب في شذرات الذهب (٥/٢٨٥) لابن الشقيشقة، وروي هكذا :
أوله ... آخره ... وبعضه جميعه
ثلاثة حروفه ... وواحد مجموعه
إن شئت أن تعكسه ... فلست تستطيعه
(٤) مجموعه (ك، ف، ح، ص) .
(٥) يا شاعراً للغزه ... في شعره بديعه (تسهيل المجاز ص ٨٦) .
(٦) ساقط من (م، ب) .

وقال في[1] :

ما اسمُ لحيٍ[2] وميْتٍ   يُرى وبَرّ وبحرِ
اسمان واسمٌ وفعلٌ   إنْ شئْتَ من غير نُكرِ
وإنْ تَشأْ كانَ فعلَيْ (م) نِ فعلَ نهيٍ وأمرِ

* * *

وقال أيضاً[3] :

ما عددٌ مثلُ ضعفِه نصفُهُ[4]   تَنْدى على لِينِ كفّه كفُّهْ
حياتُهُ الماء وهو ميتَتُهُ   فاعجبْ لشيءٍ حياتُهُ حتْفُهْ
يَسيرُ[5] تحتَ اللواءِ مُعتصماً   بكلِّ[6] حامٍ سِنانُهُ طرفُهْ
يُكتبُ في نصفه القُرانُ ولا[7]   يخلو من الدورِ والغنا[8] نصفُهْ

* * *

وكتب إلى عفيف الدين[9] بن عدلان ملغزاً في الماوردية[10] :

(١) ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٢) بحي (ك ، ف) .
(٣) ساقط من (م) .
(٤) ضعفه (ك ، ف) .
(٥) يستر (ك) .
(٦) وكل حام (ب) والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٧) فلا (ك ، ف) .
(٨) والفنا (مث) والمنا (ظ ، ب ، ح ، ص) .
(٩) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٦٨) .
(١٠) في كاركة ماء الورد (ك ، ف) . في الكركة التي يستخرج فيها ماء الورد (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٥) .

ألا ياعفيفَ الدينِ هل أنت مُخبري   بعشكلةٍ[1] لا يَغمزُ[2] العجْمُ عُودَها
عنقلةٍ حملاً إذا ما بناتُها[3]   مرَتْها أعارتْها الغواني نُهودَها
كأنّ أليمَ الهجرِ[4] أجرى دموعَها   ففاضتْ وأذكى في حشاها وقودَها
تُباري ثِقالَ المُعصِراتِ بِدَرِّها   فأتركتْ للسحبِ إلا رُعودَها

فلم يفهم اللغز وسأله ما أراد بهذه الأبيات ، فكتب إليه أيضاً :

وأعجبُ ما فيها من الأمرِ أنني   جعلتُ غِذاها كلَّ يومٍ وُرُودَها

فلم يفهم وسأله عن معناها ، فكتب إليه :

ألا سَقّياني فالظلامُ قد انجلى   وأبدتْ تباشيرُ الصباحِ عَمودَها
سُلافاً كأنّ المسكَ كانَ لِدَنّها   ختاماً وماءَ الوردِ روّى صَعيدَها

* * *

وقال في شوّاء[5] :

كم طعنةٍ أنهرها[6] حدُّهُ[7]   نافذةٍ تنظمُ[8] فيها الكُلى

(١) بعشكية ؟ (ب) .
(٢) لا يظهر (ك ، ف ، ظ ، ب) .
(٣) نبأتها ؟ (م ، مث) نياقها ؟ (ظ) .
(٤) الفقد (م ، مث ، ب) .
(٥) في سواك ؟ (ك ، ف) .
(٦) أنهزها (ح ، ص) .
(٧) خده (ك ، ف) حره (م ، مث) .
(٨) نظم (ك ، ف) .

وثلةٍ (١) صبَّحها بأسُهُ — أعدمها الوِرْدَ ورعي الكلا
نعم وكم جهّزَ من ماله — يتيمةً أنكحها (٢) أرملا
موقفُهُ في الفتكِ لا يُشتهى — ونارُهُ في الحربِ لا تُصطلى

* * *

وقال في لام (٣) :

خبّروني عن اسم جمعٍ وإنْ شذْ (م) تَ فَفعلٌ ماضٍ وإنْ شئتَ حرفُ
كلُّ قلبٍ بقلبهِ مستهامٌ — وهو إنْ خبّروا به الصبَّ حتفُ

* * *

وأنشده عفيف الدين (٤) بن عدلان لغزاً لأبي العلاء (٥) المعري في نعلين :

لأختينِ صفراوينِ أصبحتَ واطئاً — وفي جمعكَ الأختينِ إثمُكَ والعارُ
متى تنفردْ إحداهما فهي دهرَها — مقصّرةٌ عمّا تريدُ (٦) وتختارُ

(١) وثلة أعدمها بأسه أن ترد الماء وترعى الكلا (م ، مث ، ب) والبيت ساقط من (ظ) .
(٢) زفت إلى (م ، مث ، ب) .
(٣) وقال في مال ؟ (ك ، ف) وهو خطأ والتصحيح من (ظ ، م ، مث ، ح ، ص) فقد جاء فيها : « وقال في حرف لام » وجاء في تسهيل المجاز ص (٨٦) : « وقال في لام وأصلها الهمز بمعنى الدروع المحكمة » واللغز كله ساقط من (ب) .
(٤) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٦٨) .
(٥) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري الشاعر الحكيم اللغوي المشهور ، ولد بمعرة النعمان سنة (٣٦٣) وتوفي بها سنة (٤٤٩) وترجمته في وفيات الأعيان (٤١/١) .
(٦) تروم (م ، مث) .

كما شعرٌ وجهيهما وعليهما — فروعٌ بدتْ يسرحن والخلقُ أطوارُ

فأجابه ابن عنين :

بقيتَ عفيفَ الدينِ تُرجى وتُتّقى — ويأمنُ من صرفِ الزمانِ بكَ الجارُ
تغوصُ على دُرِّ الكلامِ بحارُهُ (١) — فتأخذُ منه (٢) ما تشاءُ وتختارُ
تُسائلُ عن أختينِ وطؤُهما معاً — حلالٌ (٣) وعن أختينِ دارُهما دارُ
وإحداهما ملكُ اليمينِ وعتقُها — صحيحٌ وما في خلعِها (٤) لامرئٍ عارُ

* * *

وقال جواباً على لغزٍ في مغزل :

أحاجي وقد أصبحتُ عنها (٥) بمعزلٍ — ولم (٥) تُبقِ لي الأيامُ عقلاً ولا حسّا
بعريانَ لولا الريقُ ما راقَ فعلُهُ (٦) — له هامةٌ مأمومةٌ (٧) ضخمةٌ ملسا
إذا ما كستْهُ أمُّهُ من لباسِها — أتتْ أختُهُ فاستأصلتْ كلَّ ما يُكسى
وأمُّ الطَّلا الوحشيّ تُوصفُ باسمِهِ — إذا خُطَّ لا تصحيفَ فيه ولا عكسا (٨)

(١) فتلتقي (ح ، ص) .
(٢) منها (ك ، ف) وتأخذ منه (ح ، ص) .
(٣) هما زوجتا أختين دارها دار (ظ ، ك ، ف ، ب ، ح ، ص) .
(٤) بيعها (ظ ، ك ، ف) وطئها (م ، مث) .
(٥) عنه ، فلم (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) طعمه (ك ، ف ، ظ ، ح ، ص) .
(٧) مملوءة (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) ساقط من (ك ، ف ، ح ، ص) .

ولو أنّ عيباً يكره الناسُ مثلَه [1] على [2] العين غَشَّى [3] عينه كشف الابسا

* * *

وقال في نعمة [4] :

ما اسم جميعُ الناسِ تهوى قربَهُ وتحبه [5] من خاملٍ [6] ومسوّدِ

هو مفردٌ فإذا حذفت [7] أخيرَهُ ألفيتَهُ جمعاً لذاكَ المفردِ

وإذا [8] عكستَ الجمعَ كانَ اسماً لمن أفعالهُ مشهورةٌ في [9] السؤددِ

* * *

وقال [10] :

خبّرْ فديتُكَ مَنْ أبوهُ طائرٌ إنْ كنتَ تعلمُ وابنُهُ إنسانُ

بينَ الأبوّةِ والبنوّةِ وهو لا جِنٌّ ولا إنسٌ ولا حيوانُ

---

(١) عينه (ح ، ص) .
(٢) عن العين (ح ، ص) .
(٣) عينها عوضاً لبسا (ك ، ف) .
(٤) ورد في آخر الديوان .
(٥) ويحبه (ك ، ف) .
(٦) جاهل (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) أخذت (م ، ب) .
(٨) فإذا (ب) .
(٩) بالسؤدد (ظ ، ك ، ف) .
(١٠) ساقط من (م ، مث ، ب) .

الباب السابع

في الهجاء

قال يهجو جماعة من أهل دمشق ؛ وتسمى هذه القصيدة : « مقراض الأعراض » :

أضالعٌ تنطوي على كُرَبِ ومقلةٌ مستهلّةُ الغربِ

شوقاً إلى ساكني دمشقَ فلا عدتْ رباها مواطرُ السُّحُبِ

منازلٌ ما دعا تذكّرُها إلاّ ولبّى على النوى لُبّي

متى [1] أرى سيدي الموفّق [2] يختا(م)لُ ضحى في عراصها الرُّحُبِ

يمشي الهوينى وخلفَهُ عمرٌ [3] يختالُ مثلَ [4] المهاةِ في السربِ

وسيدي كلّما تأمّلَهُ تاهَ وأبدى غرائبَ العجبِ

تجعمسُ [5] قلَّ مَنْ يناظرُهُ في الناسِ إلاّ تعنفُقُ [6] الرّحَبي [7]

---

(١) حتى (ك ، ف) .
(٢) هو الموفق بن المطران ، راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٣٣) .
(٣) عمر : شاب حسن الوجه كان يصحب الموفق .
(٤) شبه (ح ، ص) .
(٥) تجعمساً (ك) تبصر (ح ، ص). والتجعمص التبختر والاختيال (عامية) كما في معجم دوزي.
(٦) تعنفق (ح ، ص) . ولعلها تعنفص والتعنفص الصلف والخيلاء.
(٧) هو رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة الرحبي ، ولد بجزيرة ابن عمر سنة (٥٣٤) وانتقل إلى دمشق سنة (٥٥٥) ، وكان من كبار الأطباء ، -

المدَّعي أنَّهُ بحكمته   علَّم بقراط صنعة الطبِّ

وهو لعمري(١) أخس من وطي التر (م) ب   وأولى باللعنِ والسبِّ

ولو رأيت المطواع(٢) ينظر في ا (م) تشريح   كيف الفقارُ في الصُلب

وكيف مجرى الأنوار في عصب ا (م) عين   إذا ما انحدرن في الثقْب

وإنَّ في لكنةِ ابن عونٍ لما   يشغلُهُ عن فصاحة العُرْب

ولابن نجل(٣) الدَّجاج طول يدٍ   تجمعُ بين الفُراتِ والضبِّ

يقود رضوى إلى عسيب(٤) ولا   يُعجزُهُ ما ارتقى من الهضب

ثمَّ أبو الفضلِ مع حماقتهِ   يقطعُ عمر النهارِ بالضرب

والمغزلُ الحنبليُّ مجتهداً(٥)   يفتلُ في است الثقَّالةِ الكتبي

هذا وكم غادر المؤيَّدُ ذا(٦) ا (م) خليط بالدبسِ لاثم الترب

مشهوراً بكرم الخلق . خدم السلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين والملك العادل والملك المعظم ، وتوفي بدمشق سنة (٦٣١) ، وله ترجمة في طبقات الأطباء (١٩٢/٢) .

(١) وهو بجهل … (ك ، ف) .

(٢) هو شمس الدين أبو الفضل بن أبي الفرج الكحال المعروف بالمطواع ، كان كحالاً بدمشق . طبقات الأطباء (١٤٥/٢ و ١٥٥ و ١٩٠) .

(٣) لم نعثر على ذكر لابن نجل الدجاج ولكن ورد في شذرات الذهب (٢٠٨/٥) ابن الدجاجية واسمه عبد العزيز بن محمد المعروف بابن الدجاجية ، روى عن الحافظ ابن عساكر ، وتوفي سنة (٦٤٠) .

(٤) رضوى : جبل بالمدينة ، وعسيب : جبل بعالية نجد .

(٥) مجتهد (ح ، ص) .

(٦) الخابط بالدبس (ك ، ف) .

ولو أشا قلتُ في المُخانَعِ ما   فيه(١) وماعفتُ ذاك من رُعب

لكنْ أيادٍ لعرسه سلفت(٢)   عندي وحسبي بذكرها(٢) حسبي

كم عاث بالليلِ(٣) في الفراشِ على   كروم بستانِ شُفرها(٤) ......

على استها خرقةٌ معلّقةٌ   كطيلسانِ(٥) ابن مكنع الحربي

وأسمرٍ كالهلالِ ركَّب في   غصنِ أراكٍ مهفهفٍ رطْب(٦)

صبا إليه عبدُ اللطيفِ ولا   غروَ لذاك القوامِ أن يُصبي

وفي حديثِ ابنِ راشدٍ زبدٌ   على لحى سامعيه كالشبِّ(٧)

وابنُ هلالٍ إذا تنحنح لا (م) غناء يعوي مُشابه الكلب

حلْقٌ وضربٌ يستوجبان لهُ   معجَّل الحلقِ منهُ والضرب

وللنفيس(٨) الصوفيِ عنفقةٌ   محلوقةٌ(٩) المحالِ والكذْب

(١) قلت (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٢) سبقت . من حرها (ك ، ف) .

(٣) في الليل (م ، مث ، ب) كم ليلة عاث في الفراش على (ح ، ص) .

(٤) شعرها (ك ، ف) .

(٥) كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلساناً خلقاً ، فنظم فيه قرابة مائتي مقطوعة لا تخلو واحدة منها من معنى بديع في بلى الطيلسان حتى صار مضرب المثل . انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص (٤٨٠) .

(٦) رحب (ك ، ف) .

(٧) كالشيب ؟ (م) .

(٨) راجع الحاشية رقم (٦) ص (١٤٧) .

(٩) مخلوقة (ظ ، ك ، ف ، ب ، ح ، ص) .

كلحية المرء كلما حلقت ... نمت نموّ(١) الزروع والعشب

معايب مجبهن تهتكها ... هتك بنات الرقي(٢) في الحجب(٣)

ما إن رأينا من قبله ملكاً ... يسير في موكب من القحب

ينبي بنحو الزناة من شبق ... كابن زهير البرغوث في الوثب

ولو تردى التزيه من حبل ... قباً لأضحى ممزق القب(٤)

والعز(٥) عبد الرحيم سيدنا(٦) ... مطيلس للقضاء بالشرب

يظن(٧) رأيه أنه جرذ ... مطلع رأسه من الثقب

وخطبة(٨) الدولعي(٩) كم جلبت ... للناس من فادح ومن خطب

(١) نموا كالزرع (ك، ف).
(٢) الرحي (ح، ص).
(٣) للحجب (م، مث).
(٤) تردى: لبس الرداء. والقباء: ثوب يلبس فوق الثياب. والقب: ما يدخل في جيب القميص من الرقاع. وقد اختلفت رواية هذا البيت في نسخ الديوان فورد في (ك، ف) ولو تردى القرن من حبل ... وتصحفت كلمة حبل إلى جبل في جميع النسخ إلا في (ظ).
(٥) والعز (ك، ف).
(٦) صاحبنا (مث) ولعله يريد بعبد الرحيم القاضي الفاضل وهو عبد الرحيم بن علي اللخمي العسقلاني البيساني، ولد سنة (٥٢٩) بعسقلان، واشتهر في صناعة الانشاء وحسن التدبير ومكارم الأخلاق، كان وزيراً لصلاح الدين فأعجب به وتمكن منه غاية التمكن، وتوفي بالقاهرة سنة (٥٩٦). وترجمته في وفيات الأعيان (٣٥٧/١).
(٧) بقصد؟ (ك).
(٨) وابنة؟ (ك، ف).
(٩) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٤٣).

يؤمهم إذ يؤمهم جنباً ... فليته أمهم على جنب

تخشع ما وراءه نسك ... يصدر عن نية ولا قلب

والمسمى(١) بأمه لقب ... مثل أبيه المعوت(٢) من كذب

سوءة كسوءة الفاعوس(٣) ذي القرن وا (م) معروف بابن البرادعي(٤) المربي

كأنه ضامن ومنزله الحا (م) نة لو كان ظاهر(٥) الشرب

وعن أبي(٦) الدر إن سألت فسل ... لابن سليم ينبئك بالخطب

له على الباب خادم وورا (م) باب خباب ناقاه(٧) بالرحب(٨)

تسحق(٩) هذي لهذه فترى ... شهيق هذي من شهوة .....

وعانة للبغا محللة ... معاقد الأزر من ورا النقب(١٠)

(١) لقد تسمى باسمه لقباً (م، مث) حقاً يسمى بأمه لقب (ب).
(٢) المنحوت (ح، ص).
(٣) الفاعوس: الوعل، وفي (مث) الفاغوش. والبيت ساقط من (م، ب).
(٤) بابن المبرقع (مث)، وابن البرادعي: هو صفي الدين أبو البركات عمر بن عبد الوهاب القرشي الدمشقي العدل، روى عن ابن عساكر وغيره، توفي سنة (٦٤٧) شذرات الذهب (٢٣٨/٥).
(٥) طاهر (ظ).
(٦) وعن أبي الذر (ظ) وعن أبي ذر (مث) والبيت ساقط من (م، ب).
(٧) ناهيك من نحب (ك، ف، ح، ص) والبيت ساقط من (م، ب).
(٨) الرحب: السعة يقال رحباً بكم أي صادفتم سعة.
(٩) ساقط من (م، ب).
(١٠) النقب: جمع نقبة وهي ثوب كالازار تجعل له حجزة مطيفة من غير نيفق ويشد كما يشد السراويل. وتسكين القاف في البيت للضرورة. والبيت ساقط من (م، مث، ب).

حَمَيْنَ بالنُّقْبِ (١) عنّا وجوهَهُنَّ وما   حَمَيْنَ أسفالَهنَّ مِنْ نَقَبِ (٢)

والعسقلانيُّ في عمامتهِ   دلائلٌ (٣) عن سخافةٍ (٤) تُنبي

كأنّها (٥) فوقَ رأسِ قِمَّتِهِ   دوّارةُ الحل (٦) رخوةُ الهُدْبِ

يُخادِعُ اللهَ في الزكاةِ بأا (م) فاظِ مِحالٍ لم تأتِ في الكتبِ

ذو طرفينِ إذا نسبتَهما   يَحارُ في ذاكَ كلُّ ذي لُبِّ

فالأختُ والأمُّ (٧) مِن بني شَبَقٍ   والأبُ والابنُ مِن بني كابِ

وحين أبصرتُ دولةَ الأحدبِ (٨) الفا (م) ضلِ أربتْ على علا الشُّهُبِ

فقلتُ للمفلسينَ ويحكمُ   تحادبُوا فهي دولةُ الحُدْبِ (٩)

* * *

وقال يهجو القاضي الحرستاني (١٠) لما كان نائباً لابن أبي عصرون (١١):

---

(١) النُّقْب وزان كُتب جمع نقاب وهو القناع على مارن الأنف تستر به المرأة وجهها.

(٢) النقب: الثقب والبيت ساقط من (ظ، م، مث، ب)

(٣) معاذر (ك، ف) معادر (ح، ص).

(٤) سخاوة (ك)

(٥) كأنما (ف).

(٦) الحبل (ف).

(٧) والبنت (م، مث، ب).

(٨) الحاكم الفاضل (م، مث، ب) الفاضل الأحدب (ح، ص).

(٩) الجنب (م).

(١٠) هو قاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري الحرستاني ولد سنة (٥٢٠). كان بارعاً في الفقه صالحاً عابداً من قضاة العدل، ناب في القضاء عن ابن أبي عصرون، ثم ولي قضاء الشام في آخر عمره. توفي سنة (٦١٤) شذرات الذهب (٥/٦٠)

(١١) هو قاضي القضاة شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، —

تَبّاً لحكمكَ لا حُرِستا   هلْ أنتَ إلاَّ من حَرَسْتا (١)

بلدٌ (٢) تجمّعَ من حِرٍ   واستٍ فصارَ إذنْ حرستا

* * *

وقال (٣) يهجو ابني الحرستاني الملقبين بالصائن والعلاء:

ابنا (٤) الحرستانيّ في لقبيهما   ضِدُّ الذي نُعتا به بين الملا

فمُهتّكُ الأستارِ يُدعى صائناً   والسِّفلةُ السَّفلاءُ يُدعى بالعلا

* * *

وقال يهجو الرشيد (٥) النابلسي:

تَعجّبَ قومٌ لصفعِ الرشيدِ   وذلكَ ما زالَ مِن دابهِ

رحمتُ انكسارَ قلوبِ (٦) النعالِ   وقد دنَّسوها بأثوابهِ

فواللهِ ما صفعوهُ بها   ولكنّهم صفعوها بهِ

* * *

ولد بالموصل سنة (٤٩٢). كان من أعيان الفقهاء، قدم دمشق سنة (٥٤٩) وتقدم عند نور الدين. وتولى القضاء بها سنة (٥٧٣). وإليه تنسب المدرسة العصرونية التي بناها بدمشق. وتوفي سنة (٥٨٥) ودفن بمدرسته المذكورة. وإليه ينسب سوق العصرونية بدمشق. وترجمته في وفيات الأعيان (١/٣١٩).

(١) حَرَسْتا: قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ (معجم البلدان).

(٢) اسم (م، مث، ب).

(٣) ساقطة من (ح، ص، ب).

(٤) ولدا الحرستاني (م، مث).

(٥) راجع الحاشية رقم (٥) ص (١٢٠).

(٦) قتوب (ب).

وقال (١) فيه أيضاً :

جانبِ البُطءَ (٢) يارشيدُ وعجِّلْ ... فلقد زالَ ذلكَ (٣) المحذورُ
ما تبقّى على قذالكَ قطعٌ ... تاب (٤) سلطانُنا وماتَ المُجيرُ (٥)

* * *

وقال فيه أيضاً وفي الملق الصوفي (٦) :

أخلقَ (٧) الشعرَ مدلويه (٨) وأهليهِ ... وأزرى الملقُ بالصوفيّةْ
حادَ عن مذهب التصوف إلاّ (٩) ... كثرةَ الأكلِ فيهِ واللوطيّةْ

* * *

وقال (١٠) يهجو الرشيد النابلسي أيضاً :

جالَ (١١) على حُجرتهِ مدلويهْ ... فويهِ من أفعالهِ ثم ويهْ

(١) ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٢) النط (ك ، ف) طالع البط (ظ) .
(٣) حزونا المحزور (ظ) .
(٤) بان (ظ) .
(٥) الوزير (على هامش ك) .
(٦) راجع الحاشية رقم (٦) ص (١٤٧) .والقطعة ساقطة من (مث ، ب)
(٧) أخلق (ك) .
(٨) مدلويه : يظهر أنه لقب ينبز به الرشيد النابلسي .
(٩) لولا (ك ، ف) .
(١٠) ساقطة من (ح ، ص) .
(١١) حال (ك ، ب) .

كأنّهُ الرّحيْ (١) في حمقهِ ... فلعنةُ اللهِ على والديهْ

* * *

وقال يهجوه أيضاً :

قالوا (٢) الرشيدُ بِغاؤُهُ مستحدَثٌ ... كَسَبوا خطيئتَهُ وباؤوا بإثمهِ
ما ذاكَ (٣) إلا عادةٌ مألوفةٌ ... طبعاً لهُ مذْ كانَ في بطنِ امّهِ
كانتْ غراميلُ الزُّناةِ إذا أتتْ ... حِرَها (٤) تلقّاها الجنينُ ببرمهِ
فلذاكَ يشتاقُ المنيَّ لأنّهُ ... منهُ تركّبَ لحمُهُ مع (٥) عظمهِ

* * *

وقال (٦) فيه أيضاً :

قيلَ لي إنّ مدلويه بنَ بدرٍ ... قتلوهُ بالصفعِ أشنعَ قتلِ
قلتُ عظّمتمُ القضيّةَ في دا(م) ... وِ خليعٍ قد رقّعوهُ بنعلِ

* * *

وقال (٦) يذكر حماماً ويعرض بالرشيد (٧) :

حمّامُنا بردُها شديدُ ... وما على نتنِها مزيدُ

(١) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٧٩) .
(٢) زعموا (مث) .
(٣) ما تلك (ك ، ف ، ظ ، ح ، ص) .
(٤) من حرها تلقى الجنين ... (ك ، ف ، ظ) .
(٥) في عظمه (م ، مث ، ب ، ح ، ص) والبيت ساقط من (ك ، ف) .
(٦) ساقطة من (ب) .
(٧) وقال يهجو أبا المرجا والرشيد (ظ) ، وقال في أبي المرجى والرشيد (مث) ،
وقال في ابن المرجى والرشيد (م) .

كأنَّ فيها أبا(١) المُرجّى يُنشدُ ما قالهُ الرشيدُ

* * *

وقال أيضاً يهجوه :

شكا(٢) شعري إليَّ وقال تهجو بمثلي عرضَ ذا الكلبِ اللئيمِ
فقلتُ له تسلَّ فربَّ نجمٍ هوى في إثرِ(٣) شيطانٍ رجيمِ

* * *

وقال(٤) في الدولعي(٥) :

طوّلتَ يا دولعي فقصِّرْ وأنتَ في غيرِ ذا مُقصِّرْ
خطابةٌ كلُّها خُطوبٌ وبعضُها للورى مُنفِّرْ
نظلُّ تهذي ولستَ(٦) تدري كأنَّكَ المغربي المُفسِّرْ

* * *

وقال(٧) يهجو القاضي الفاضل(٨) :

كمْ ذا التبظرُمُ(٩) زائداً عن حدِّهِ ما كانَ قبلكَ هكذا الحُدْبانُ

(١) أبا المرجا (ظ) أنا المرجا ؛ (ك ، ف) .
(٢) شكى (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص) .
(٣) في رجم ... مسالك الأبصار (١٠/٥٦٦) .
(٤) ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٥) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٤٣) .
(٦) ولبس (ظ ، ك ، ف) .
(٧) ساقطة من (ب) .
(٨) راجع الحاشية رقم (٦) ص (١٨٢) .
(٩) التبظرم : أن يتكلم الانسان مشيراً بخاتمه في وجوه الناس ، وأن يرفع شفته —

خبّر أملكٌ أنتَ مالكُ(١) أمرِهِ مَنْ أنتَ يا هذا وما بيسانُ
أظهرتَ فضلَ تُقًى وفضلَ تعفُّفٍ(٢) واللهُ(٣) يعلمُ أنّهُ بُهتانُ
ما طالَ في الليلِ البهيمِ سجودُهُ إلاّ(٤) ليركعَ فوقَهُ السودانُ
فإذا سمعتَ سمعتَ أمراً مُنكراً(٥) وإذا رأيتَ رأيتَ لا إنسانُ

* * *

وقال(٦) فيه أيضاً :

حاشا لعبدِ الرحيمِ سيدِنا الـ(م) فاضلِ ممّا تقولُهُ السَّفَلُ
وتبَّ(٧) مَنْ قالَ إنَّ حدبتَهُ في ظهرِهِ مِن عبيدِهِ حبَلُ
هذا قياسٌ في غيرِ سيدِنا يصحُّ إنْ كانَ يحبلُ الرجلُ

* * *

وقال فيه أيضاً :

كلُّ ذي أبْنَةٍ لهُ واحدٌ يهـ(م) واهُ في حالِ نيلِهِ إيّاهُ

العليا بطرف لسانه . والمراد به هنا العجب والتيه الاحمقان . وقد تحرفت الكلمة في جميع النسخ إلى التبضرم ؛ وفي هامش (ك ، ف) إلى التصرم .
(١) أنت والي أمره (ظ ، م ، مث) وفي هامش (ظ) أنت كاتب ملكه .
(٢) وفرط تعفف (ح ، ص) .
(٣) الله يعلم (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٤) اتركع (ظ) ليركع حوله (م ، مث) .
(٥) مترفا (ك ، ف) والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٦) ساقطة من (م ، مث ، ب ، ح) ووردت في شذرات الذهب (٤/٣٢٦) منسوبة إلى ابن سناء الملك .
(٧) بكذب من قال ... شذرات الذهب .

وله من عبيده خمسة سو(١) (م) د كبار أيودهم أشباه
واحد فوقه وآخر يحشو(٢) بطليموسه المقوم فاه
وبداه في أصل أيدي غلامـ (م) ـه التذاذاً وآخر لقفاه

* * *

وقال(٣) يهجوه أيضاً وابن شيث(٤) :

ذقن عبد الرحيم مع شاربيه وعذاريه في است عبد الرحيم
وارم(٥) بالسب نجل شيث ولا تخـ (م) ـش تجده تيساً بقرن عظيم

* * *

وقال في القاضي الفاضل :

إذا كلبة ولدت سبعة(٦) فقف واستمع أيها السائل(٧)
وإن كلبة ولدت تسعة(٨) تزاوجن فالفاضل الفاضل

* * *

(١) خمسة غلب (م ، مث ، ب) .
(٢) يحشوه بطلوشه (ك ، ف) بطلوسه (ح ، ص) .
(٣) ساقطة من (ب) .
(٤) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٤٦) .
(٥) وأوصل السب لابن شيث (ك ، ف) .
(٦) ستة (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) أيها الفاضل (ح ، ص) .
(٨) وإن ولدت كلبة سبعة (ك ، ف ، ح ، ص) .

وقال يهجو ابن أبي عصرون(١) :

وماهجوت(٢) ابن عصرون أرومُ له فضلاً ولا نات من فخر ولا(٣) شرف
لكن أجرب فيه خاطري عبثاً كما تجرب بيض الهند في الجيف(٤)

* * *

وقال(٥) يهجوه أيضاً :

لما تشكى ابن عصرون إلي حمى في سفله حار فيه(٦) كل بيطار
وقال داء عضال قد رميت به أعيا وقصر عنه كل مسبار(٧)
طعنته بقوي المتن معتدل صدق الأنابيب(٨) كالخطي خطار
فقال لما بدا(٩) رمحي يجوب فلا أعفاجه مسنداً(١٠) كالمدلج الساري
لله درك شكراً للصنيعة بي من قابس شيط(١١) الوجعاء(١٢) بالنار

(١) راجع الحاشية رقم (١) ص (١٣٠) .
(٢) ما أن هجوت (ك ، ف) .
(٣) ومن شرف (ك ، ف) .
(٤) في جيف . مسالك الأبصار (١٠/٥٦٦) .
(٥) ساقطة من (ظ ، مث) .
(٦) فيها (م) أعيا وقصر فيها عنه بيطار (ح ، ص) .
(٧) ممشار ؟ (ك ، ف) .
وقال دائي عضال قد منيت به في السفل يعجز عنه كل مسبار (ح ، ص) .
(٨) الانابة (ك ، ف) .
(٩) رأى (ك ، ف ، ح ، ص) .
(١٠) مدبناً (ك ، ف ، ح ، ص) .
(١١) سيط (م ، ب) .
(١٢) الوجفاء (ك ، ف) الوجناء (م ، ب ، ح ، ص) وكلاهما تحريف .

وقرَّ قرَّتْ بطنُهُ فانحاز (١) ثم رمى   بِساحةٍ (٢) خضبتْ بالورسِ أطماري

وقام يشدُّ مُحيّاً غيرَ مُكترثٍ   لِما (٣) عراني ولمّا يخشَ من عارِ

« الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ جائشةً (٤)   تردُّ طاعنَها عنها بتيّارِ »

فقمتُ عنهُ وأذيالي على كتفي   فأشرفتْ عرسُهُ من شُرفةِ (٥) الدارِ

وأنشدتْ (٦) ودموعُ العينِ ساجمةٌ   في وجنتيها سُجومَ العارضِ الساري

« يا نعمةَ اللهِ حلّي في منازلِنا   وجاوِرينا فدتْكِ النفسُ من جارِ »

فلم (٧) أزلْ عندهُ جذلانَ في دعةٍ   مُمتَّعاً من أياديهِ بأوطارِ (٧)

حتى انثنتْ صعدتي (٨) عنهُ وبانَ لهُ   مني الونى ورأى آثارَ إقصاري

أضحى يُغنّي وأيدي في يديهِ لقىً   كأنّما علَّ من صهباءِ خمّارِ

« يا عمرو ما وقفةٌ (٩) في رسمِ (١٠) منزلةٍ   أثارَ شوقَكَ فيها محوُ آثارِ »

✡ ✡ ✡

(١) فانحار (ك، ف) فانجار (ح، ص) وانحاز (م، ب).
(٢) بسحلة (ح، ص).
(٣) مما عراني (ك، ف) بما عراني (ح، ص) ولعل ما اخترناه الصواب، والبيت ساقط من (م، ب).
(٤) جالسة (ح، ص).
(٥) غرفة (م، ب، ح، ص).
(٦) فأنشدت (م، ب).
(٧) ولم أزل ... وأوطاري (ك، ف).
(٨) ترمدي (ك، ف).
(٩) ما وقفت (ك، ف).
(١٠) في إثر دارم (ب، ح، ص).

وقال (١) فيه وقد شكوا في عيد الأضحى (٢):

لا غروَ أنْ ضاعت الأعيادُ بينكُمُ (٣)   رفقاً كأنّي بكم قد ضاعت الجُمَعُ

فليعجبِ الناسُ من قومٍ يقودهمُ   إلى الضلالةِ أعمى وهو مُتَّبَعُ (٤)

قد كذَّبوا ما رأوْهُ وهو مُتَّضِحٌ   وصدَّقوا ما رواهُ (٥) وهو مُمتنعُ

✡ ✡ ✡

وقال يهجو الموفق (٦) بن المطران:

وقالوا أسعدُ بنُ الياسَ أضحى   رئيساً لا حوتْهُ يدُ السعودِ

ولا (٧) أهجو الوجودَ وقد حواهُ   فإنَّ (٨) وجودَهُ هجوُ الوجودِ

✡ ✡ ✡

وقال فيه وفي غلامه عمر:

نالَ معالي عمرا   فغاصَ (٩) في بحرِ حرا

وغابَ في غابِ استهِ   جميعُهُ فلم يُرا

(١) ساقطة من (مث).
(٢) واختلفوا في عيد الأضحى فقال وعرض بسني الدولة (م) وقال يهجو سني الدولة وقد اختلفوا في عيد الأضحى (ظ). وابن سني الدولة قاضي قضاة دمشق (شذرات ٥/١٧٧).
(٣) عندكم (ك، ف، ح، ص).
(٤) وهو يتبع (ك، ف).
(٥) ما رآه (ظ) ما رأوه؟ (م، ب، ك).
(٦) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٣٣).
(٧) وما (م، مث) فما (ب).
(٨) لأن (ك، ف، ح، ص).
(٩) فعام (م، مث، ب) فغاض (ك).

وحادَ عن خاتِّنه في(١) نيلِ ستِ الوزرا

وإنْ(٢) كلَّ الصيد لَوْ يَعقلُ(٣) في جوفِ الفَرا

تُرى فولايَ الحكيـ (م) مُ ما دَرى بِما جَرى

قالوا بلى قلتُ فما أحدثَ قالوا غَفَرا(٤)

☆☆☆

وقال يهجوه(٥) أيضاً :

الحمدُ لله واجبَ الشكرِ قد اهتدى سيّدي أبو نصرِ

واتّبعَ الحقَّ حينَ لاحَ لهُ فجرُ الهُدى من(٦) دُجُنَّةِ الفجرِ

وقال إنَّ المسيحَ ليسَ بمـ (م) بودٍ وأفتى الصليبَ بالكسرِ

فظنَّ حُسّادُهُ معاندةً أمراً وظنُّ الحسودِ لا يُزري

قالوا نفاقاً وليس يفرُقُ في الإ (م) سلامِ بينَ النفاقِ والكفرِ

ما ذاكَ إلاَّ سترٌ على عمرٍ ربَّ انتهاكٍ خيرٌ من السترِ

فقلتُ يا قومُ إنَّ في عمرٍ معذرةً إنْ(٧) سمعتمُ عُذري

شكتْ لهُ(٨) أختهُ لهيبُ حُمىً في حرِّها تستثيرُ كالجمرِ

---

(١) من (م ، مث ، ظ ، ب) .
(٢) وكان (ك ، ف ، ظ) .
(٣) يفعل (ك) .
(٤) عفرا (ك) أصاب قالوا ظفرا (م) .
(٥) ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٦) في (ح ، ص) .
(٧) لو (ظ ، ح ، ص) .
(٨) إليه كما في جميع النسخ ولا يستقيم معها الوزن . يستثير (ظ ، ك ، ف) .

وحكّةً في نواتِها كدبيـ (م) بِ النملِ لا تأتلي(١) بها تسري

وعزّهُ(٢) داؤُها وقد شهدتْ لهُ رُواةُ(٣) الأخبارِ بالخبرِ

وكانَ هذا يقومُ بالناسِ في الجمـ (م) ـعِ(٤) هذا جليَّةُ(٥) الأمرِ

فجازَ هذا الأستاذُ أيّدهُ الـ (م) ـلهُ إليها يوماً مع العصرِ

وكانَ قد نامَ من(٦) كلالتهِ وطاحَ(٧) عنهُ الردا ولا يدري(٧)

وانسابَ(٨) غُرمولهُ ولا دقلٌ في رأسهِ مثلُ ميسمِ البكرِ

منهرتُ الشدقِ كالحُ الوجهِ صلـ (م) ـبُ المتنِ صعبُ المراسِ مستشري(٩)

فقالَ هذا يكونُ ممتهناً(١٠) مُضيّعاً لا رضى عن الدهرِ

ولم يزلْ بالمحالِ يخدعُهُ(١١) حتى أتاها بهِ على قدرِ

☆☆☆

---

(١) لا يأتلي (ك ، ف) .
(٢) وعزها (ح ، ص) .
(٣) جميع الأنام (ح ، ص) .
عز دواها فيهم وقد شهدت له رواة الأخبار بالخبر (ظ) .
(٤) في عمل الحمام (ح ، ص) .
(٥) قضية الأمر (ظ ، ك ، ف) .
(٦) مع (ظ ، ك ، ف) .
(٧) وانطاح ... ولم يدر (ح ، ص) .
(٨) فانساب (ظ) .
(٩) مستبر (ح ، ص) .
(١٠) ممتنما (ك ، ف) .
(١١) يخدعها (ح ، ص) .

فقال(١) ذو فطنةٍ نبّهْ لها عمراً   فقلتُ واخيبتي(٢) إن لم ينمْ عمرُ(٣)

* * *

وقال(٤) يهجو ابن سيما :

ولا تُودعْ متاعَك عند عدلٍ   ولا سيما(٥) إذا كانَ ابنَ سيما

فكم أودعتُه أيداً شديدَ الـ(م)قوى   فأعاده نضواً(٦) سقيما

* * *

وقال(٧) يهجو ابن الشهرزوري(٨)

دخلتُ على ابنِ الشهرزوري ليلةً(٩)   وقد أُغلقتْ دون الوزيرِ المغالقُ(١٠)

(١) فقال ذو حاجة (ك، ف) فقيل ذي حاجة (م، مث، ب).

(٢) يا خيبتا (ح، ص).

(٣) عمرا (ك، ف، ح، ص).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) فتعدمه ولا سيما ابن سيما (ك، ف) ولا سيما إذا قالوا ابن سيما (ح، ص).

(٦) واه؟ (م، مث).

(٧) ساقطة من (م، مث، ب).

(٨) كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ولد بالموصل سنة (٤٩٢) وتولى قضاءها، ثم انتقل إلى دمشق فولاه نور الدين محمود بن زنكي قضاءها وترقى إلى درجة الوزارة، وأقره صلاح الدين على ذلك، وكان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً، توفي بدمشق سنة (٥٧٢). وله ترجمة في وفيات الأعيان (٥٩٧/١).

(٩) لجاة (ظ).

(١٠) المغالق (ك) وقد أرخيت دوني عليه المغالق (ظ).

وقال(١) يهجوه أيضاً :

وربَّ أخٍ حميمٍ بتُّ ليلي   أُجرَّعُ مِن(٢) ملامتِه الحميما

يقولُ علامَ مِن غيرِ اجترامٍ(٣)   هجوتَ موفقَ الدينِ الحكيما(٤)

فقلتُ له تأنَّ فغيرُ عدلٍ   إذا ما لامَ مَن سالمَ السليما

شكوتُ إليه مِن(٥) كانونَ قُرّاً   أبيتُ لِضُرِّهِ(٦) أرعى النجوما

فما أوى عليَّ وقالَ خاطٌ   يزولُ إذا تجنّبتَ اللحوما

فقضّيتُ الشتاءَ كما تقضّى(٧)   شتاً(٨) البرغوثِ في ذقنِ ابنِ سيما

* * *

وقال(٩) في غلامه عمر :

وحاجةٍ(١٠) ظلتُ أشكوها إلى عمرٍ   وقد ترقرقَ(١١) دمعُ العين ينحدرُ(١٢)

(١) ساقطة من (ظ).

(٢) في محبته (ك، ف).

(٣) احترام (ك، ف، م، مث، ب).

(٤) الحليا (م، مث).

(٥) في كانون (ك، ف، ح، ص) من كانون وقرا (مث).

(٦) بضره (ب).

(٧) كما يقضى (ح، ص).

(٨) سنى؟ (ك، ف).

(٩) ساقطة من (ظ).

(١٠) وحالة (م).

(١١) تكفكف (م، مث، ب، ك، ف).

(١٢) واتحدوا (ك، ف، ح، ص).

فعانَقْتُه[1] ولهانَ يرطلُ فَيشةً ... ويُنشِدُها والخدُّ[2] بالدمعِ غارقُ

« وماذا[3] عسى الواشون أنْ يتحدَّثوا ... سوى أنْ يقولوا إنني لكِ عاشقُ

نَعمْ صدقَ الواشونَ أنتِ حبيبةٌ ... إليَّ وإنْ لم تصفُ منكِ الخلائقُ »

* * *

وقال[4] يهجو المرتضى بن عساكر وقد ضربه مملوكه :

بكرَ الخليطُ إلى اللعينِ يعودُهُ ... إذباتَ مِنْ حُمَّى الأكفِ نَهيكا

فرآهُ منتوفَ السِّبالِ مذمَّمَ[5] (م) آباءِ مصفوعَ القَذالِ مَبيكا

فبكى ورقَّ لهُ وقالَ مُسلِّياً ... لكَ في مُصابكَ أُسوةٌ بأبيكا

أبْشِرْ حكَيتَ أباكَ في أفعالهِ ... وأظنُّ نجلَكَ بعدَها يحكيكا

فأجابَهُ[6] المرءُ اللعينُ بقولهِ ... الحقُّ[7] لا يُسليكَ مثلُ أخيكا

* * *

وقال[8] فيه أيضاً :

إلى لحيةِ المرءِ اللعينِ ارتقتْ يدٌ ... لها في صعودِ الحادثاتِ سُعودُ

(١) فألفيته (ظ) على الهامش .
(٢) والدمع في الخد دافق (ظ) .
(٣) البيتان لجميل بن معمر العذري .
(٤) ساقطة من (م ، مث ، ب) .
(٥) مذمم الآراء (ح ، ص) .
(٦) فتمثل المرء اللعين بقولهم (ظ) .
(٧) من ذا الذي يرثيك مثل أخيكا (ظ ، ف) يرثيك مثل أخيكا (ك) .
(٨) ساقطة من (ح) .

وقد أصبحتْ مثلَ القُرى اللاتي[1] أهلكتْ ... قديماً[2] فمنها قائمٌ وحَصيدُ

* * *

وقال[3] فيه أيضاً :

قُولوا لزينِ الأُمَنا[4] ... أخوكَ بالأمسِ زَنا

وصارَ في نُقبتهِ ... أثرُ المني مُجبَّنا

* * *

وقال فيه وقد ضربه من يحبه فأثّر في وجهه وامتنع من الخروج :

مالي أرى المرءَ اللعينَ قدِ اختفى ... هذي جناياتُ الأيودِ على القَفا

وسمتْ تواسيمُ الحبيبِ جبينَهُ ... والصفعُ خيرٌ للمحبِ مِنَ الجَفا

عبثتْ بهامتهِ[5] النعالُ فما انثنتْ ... حتى انثنى مِنْ وقعهنَّ على شَفا

فغدا يُكتِّمُ أمرَهُ ومُصابَهُ ... طمعاً بأنْ يخفى وقد برِحَ الخَفا

هيهاتَ أنْ يخفى مُصابُكَ بعدما ... خطَّ[6] المداسُ على جبينكَ أحرفا

* * *

وقال[7] فيه أيضاً :

لا كانَ عشقٌ لا يُصكُّ لعاشقٍ ... بالنعلِ فيهِ هامةٌ وأخادعُ

(١) اللاتي (ك ، ف ، ص) .
(٢) فمنها نخيل قائم وحصيد (ص) .
(٣) ساقطة من (م ، مث ، ب ، ص) .
(٤) زين الأمنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، كان صالحاً من مروات الناس ولي نظر الخزانة والأوقاف بدمشق ثم تزهد ، عاش ثلاثاً وثمانين سنة وتوفي سنة (٦٢٧) شذرات الذهب (١٢٣/٥) .
(٥) عبثت بها مشي النعال (ك ، ف) والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٦) كتب المداس (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) ساقطة من (ح ، ص) .

لا تحسبن يا مرء أنك أول ... في صفعه ما أنت إلا رابع

* * *

وقال فيه أيضاً :

أصبح صفع المرتضى ... بين الأنام مرتضى

وكان مندوباً فأضـ (م) حى ... واجباً مفترضا

* * *

وقال (١) يهجو ابن عساكر وكان يلقبه بحرا بدبس .

يا تاجنا (٢) قد أتتك مسألة ... فاكشف (٣) لنا ما بها من اللبس

حرا بدبس قد لقبوك (٤) وما ... أراك (٥) إلا حرا بلا دبس

* * *

وقال يهجوه وكان يتولى ديوان الجيش :

يا خليطاً بالدبس أقصر عن الشـ (م) ـر ... فقد قيل رابح الشر خاسر

وترفق بالجند فالجند (٦) آبا (م) ؤك ... إن صح أنك ابن عساكر

* * *

(١) ساقطة من (م ، مث ، ب) .

(٢) تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ولد سنة (٥٤٢) ، وسمع من عميه الصائن والحافظ وغيرهما وكان معدلاً ، توفي سنة (٦١٠) . شذرات الذهب (٥/٤٠) .

(٣) اكشف (ك ، ف) بيّن (ظ) .

(٤) قد قيل عنك وما (ظ) قد قيل أنت وما (ح ، ص) .

(٥) نراك (ح ، ص) .

(٦) فالقوم (ظ ، م ، مث ، ب) .

وقال فيه أيضاً :

يا ابن العساكر إن صح انتسابك ذا ... فأنت (١) من أم صورت مسبوكا

يا ابن الدجاجة كل الناس كان لها (٢) ... ديكاً (٢) فأنت ابن من حتى أناديكا (٣)

* * *

وقال (٤) يهجو أبا البركات (٥) :

أبا (٦) البركات ما جعلت يقيناً ... لك البركات إلا في القرون

كريم (٧) ماله أبداً مصون ... وجملة عرضه غير المصون

* * *

وقال (٨) في بني عساكر :

لقبوه الحرا بدبس وقد ما (م) نوا ... ورب العباد ما فيه دبس

وأخوه الحرا بزيت ولا زيـ (م) ـت ... فكل الألقاب زور ولبس

وغدا المرتضى نهيكاً من الصفـ (م) ـع ... وقد خاب فيه (٩) ظن وحدس

(١) فأنت من أم صعدت (ظ) فأنت من ما قد صعدت ؟ (ك ، ف) .

(٢) له . أبا (ح ، ص ، ب) لهم . أب (م ، مث) .

(٣) أسميكا (مث) .

(٤) ساقطة من (م ، ب) .

(٥) راجع الحاشية رقم (٤) ص (١٩٩) .

(٦) أبو البركات (ك ، ف) .

(٧) فتى أمواله أبداً مصان (ك ، ف ، ح ، ص) .

(٨) ساقطة من (ب) .

(٩) منه (ظ ، ك ، ف) .

وأخوهمُ للعلمِ بالدرسِ مشغو (م) لٌ وللعلمِ منهُ مَحوٌ (١) ودرسُ
وأبوهم (٢) هكذاكان لا كا (م) نَ فمَنْ تاقَ (٣) منهمُ فهو نَحسُ
هؤلاءِ الصدورُ أدبرُ (٤) من دبـ (م) ـرٍ وأردى (٥) رذالةً وأخسُّ

* * *

وقدم إلى دمشق واعظ يقال له الشمس الواسطي اتهم بحب فتىً اسمه نصير بن عساكر وله أخ اسمه عباس يرمى بالدنيّة فقال :

ياواعظَ الناسِ ماتنفكُّ مِن (٦) تَعَبٍ معذَّباً (٧) بين إنعاظٍ وإفلاسِ
ماكانَ أغناكَ عنْ إلحافِ مسألةٍ لو كانَ في استِ نصيرٍ داءُ عبّاسِ

فأجابه الواعظ :

يا أيها الصاحبُ الصدرُ الكبيرُ ومَن تكفّلتْ كفُّهُ بالرزقِ للناسِ
الحمدُ للهِ في فقري وفي جِدَتي (٨) قد زالَ عنيَ إنعاظي وإفلاسي
تحقّقَ الشرطُ واستغنيتُ (٩) عن طلبٍ وصارَ في استِ نصيرٍ داءُ عبّاسِ

* * *

(١) نحف (م) محو (مث) .
(٢) وأبوهم هكذا كان لا كا ن فمن يلومهم فهو نحس (ح ، ص) .
(٣) فمن تلق منهم تاق نحس (ك ، ف) فهو نحس (ظ) فمن كان منهم فهو نحس (مث) .
(٤) أبرد (م ، مث ، ح ، ص) .
(٥) وآذى (ك ، ف) .
(٦) في تعب (م ، مث ، ب) من طلب (ظ) .
(٧) معذب (ب) مذبذب (ظ) .
(٨) حزني (مث) .
(٩) واكتفيت (م ، مث ، ب ، ك ، ف) . من طلب (ب) .

وقال (١) في بدر الدين (٢) حسن :

لنا أميرٌ (٣) قرنُهُ ينطحُ في الأفقِ (٤) الفلكْ
سبالُهُ وذقنُهُ تدخلُ (٥) في استِ امَّ بلكْ
عطاؤُهُ وطعنُهُ (٦) ما غيرُ دقٍّ (٧) بالحنكْ
فهو الذنابى (٨) أبداً في أيّما جيشٍ سلكْ
كأنّهُ في قلعةِ الـ (م) ـبيرةِ (٩) صيّادُ السمكْ

* * *

وقال في بدر الدين (١٠) مودود الشحنة :

جاءَ الشتاءُ وليسَ عندي جُبّةٌ فطفقتُ أطلبُ دارَ (١١) بدرِ الدين

(١) ساقطة من (ب) .
(٢) وقال يهجو أمير البيرة (م ، مث) .
(٣) يا من بدا بقرنه (ك ، ف) .
(٤) في الأرض (م ، مث) .
(٥) في داخل است ام ملك (ك ، ف) ... ام بلك (ح ، ص) .
(٦) وصنعه (ظ ، م ، مث) .
(٧) دقُّ الحنك كناية عن الثرثرة والقول الذي لا يعقبه فعل (شامية) ولا يزال أهل دمشق يقولون : هذا الكلام (طق حنك) .
(٨) الزنابى (ح ، ص) ولم يرد هذا البيت إلا فيهما .
(٩) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع (معجم البلدان) .
(١٠) راجع الحاشية رقم (٢) ص (٧٧) .
(١١) فضل (ظ) رفد (ح ، ص) .

فتصحّفت لمّا قراها حبّةً (1) فبدا (2) يُواصلُ زفرةً بأنين

وشكا نياطَ فؤادِه وحرارةً (3) في قلبه تُربي (4) على سجّين

وغدتْ فرائصهُ تهزّ كأنّها سعفٌ عرتْه الريحُ في (5) تشرين

ينسى فيسكنُ مابه وتعودُه (6) (م) ذكرى فيُصرعُ صرعةَ المجنون

فشكرتُ ربي لو قراها جُبّةً لقتلتُهُ (7) عمداً بلا سكّين

وخرجتُ (8) أمشي القهقرى متستّراً بقرونِ حاجبه الزكي ابنِ القيني (9)

* * *

وقال (10) في بدر الدين مودود الشحنة وبدر الدين حسن وبدر الدين قاضي اليمن (11):

(1) في جميع النسخ (حبة) وهو تحريف ما أثبتناه . والحبة سدس عشر الدينار .
(2) فغدا (م ، مث) .
(3) وحزازة (ب) .
(4) أوبت (ح ، ص) .
(5) من يبرين (ك ، ف) يوم برين (ح ، ص) .
(6) فتعوده (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص) .
(7) لذبحته (م) قتلته ذكراها بلا سكين (ظ) .
(8) فخرجت (ح ، ص) .
(9) ابن العيني (ح ، ص) .
(10) ساقط من (م ، ك ، ف ، ب) .
(11) ورد في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٥٩) : عبد الله بن عمر الدمشقي قاضي اليمن ، ولد بدمشق في حدود سنة (٥٣٠) وتوجه من دمشق صحبة توران شاه بن أيوب إلى اليمن فولاه قضاء اليمن ، ثم عاد إلى دمشق ومات سنة (٦٢٦) . ولكن لقبه في الطبقات جمال الدين .

بدرانِ منكسفانِ مِن ضوء (1) السُّها لا ذاكَ مودودٌ ولا هذا حسنْ

اثنانِ قد تركتهما عِرساهُما ذا أبْلاً (2) سامي القرونِ وذا رسنْ

خانا فلو حكما على عينِ امرئٍ سرقا بمكرهما من الجفنِ الوسنْ

فسألتُ هل لكما قرينٌ ثالثٌ قالا نعم عرِّج على قاضي اليمنْ

* * *

وقال في فقيهين بدمشق تناظرا ينبز أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس :

البغلُ والجاموسُ في جدَلَيهما قد أصبحا مثلاً (3) لكلِّ مُناظر

برزا عشيّةَ ليلةٍ (4) فتناظرا (5) هذا بقرنَيهِ وذا بالحافر

ما أحكما (6) غيرَ الصياحِ كأنّما (7) لَقِنا (8) جدالَ المرتضى بن عساكر

جِلفانِ (9) ما لهما شبيهٌ ثالثٌ إلاّ (10) رقاعةُ مدلويهِ الشاعر

(1) في أفق السما (ح ، ص) .
(2) أربلا (ظ) مائلا (مث) .
(3) غطة (وفيات الأعيان ٢/١٥٣) .
(4) يومنا (ظ ، م ، مث ، ك ، ف ، ب) و (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٦) .
(5) فتباحثا (وفيات الأعيان) .
(6) وتحاكما ؟ (ك ، ف) ما أتقنا (وفيات الأعيان) .
(7) كأنه (ظ) .
(8) لقيا (ك ، ف) و (وفيات الأعيان) لعبا (ظ) .
(9) خلقان (ك ، ف) حلفان (م ، مث) اثنان مالهما قرين ثالث (ظ) .
اثنان مالهما وحقك ثالث (وفيات الأعيان) .
(10) في جميع نسخ الديوان : « إلا أخادع مدلويه الشاعر » وما أثبتناه عن وفيات الأعيان . وموضع هذا البيت في الوفيات بعد الذي يليه .

لفظٌ طويلٌ تحتَهُ(١) معنًى قاصرٌ   كالعقل في(٢) عبدِ اللطيفِ الناظرِ

* * *

وقال(٣) يهجو النظام الكاتب والمحتسب :

لو أنَّ لي بغلاً إلى   جدِّ النظامِ ينتسبْ
أنفتُ مِنْ تحميلِه   على عيالِ المحتسبْ

* * *

وقال يعاتب الصفي(٤) بن القابض ويتهمه بحب خادم :

أبلغْ رسالتي الصفيَّ وقلْ له   كيفَ استحالَ صفاؤُهُ وتكدَّرا
يا مُعرِضاً(٥) ما وُدُّهُ وصفاؤُهُ   لِوليِّه مِمَّا يُباعُ ويُشترى
كيفَ اشتغلتَ بخادمٍ عن خادمٍ   ماجرَّ جُرماً في هواكَ ولا افترى(٦)
ومتى الخلاصُ وقد وردتَ موارداً   هيهاتَ عن(٧) بحرانها أن تَصدرا

(١) فوق معنى ... (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٢) من عبد اللطيف (ح ، ص) .
(٣) ساقطة من (ب) .
(٤) الصفي نصر الله بن القابض ، خدم السلطان صلاح الدين لما كان شحنة دمشق وأمده بالمال فحفظ له ذلك فلما ملك استوزره ، وكان شجاعاً ثقة ديناً أميناً كثير المعروف ، توفي بدمشق سنة (٥٨٧) ودفن بالمسجد الذي بناه بالعقيبة المعروف بمسجد الصفي (مرآة الزمان ٨/٣٦٥) .
(٥) ساقط من (ك ، ف) .
(٦) ولا اجترى (م ، مث ، ب) ولا امترا (ظ) ولا درى (ك ، ف) .
(٧) من بحرانها (ح ، ص) .

لو كان(١) عِرسَكَ لانتظرتُ طلاقَها   أو أمرداً لرجوتُ أن يتعذَّرا

* * *

وقال يهجوه(٢) :

ما إنْ مدحتُكَ أرتجي لكَ نائلاً   فحرمتني فهجوتُ(٣) باستحقاقِ
لكنَّني عاينتُ عرضَكَ أسوداً   متمزقاً فقدحتُ في حُرّاقِ

* * *

واجتاز بالمطواع(٤) الكحال باللبادين(٥) وبيده ميل طويل يكحل به الناس فقال :

رأيتُ عندَ المِطواعِ ميلاً   في طولِ شبرٍ وعرضِ فترِ
فقلتُ(٦) هذا لأيِّ عَينٍ   فقالَ هذا لعينِ ظهري

* * *

وقال(٧) يهجو هبة الله الزيداني(٨) :

يا هبةَ اللهِ لقد   ماتَ المسمّى وافترى

(١) ساقط من (ب) .
(٢) ساقطة من (ح ، ص) .
(٣) فدعمت (ك ، ف) .
(٤) راجع الحاشية رقم (٢) ص (١٨٠) .
(٥) محلة اللبادين حوالى المحلة المعروفة الآن بالنوفرة شرقي الجامع الأموي .
(٦) فقلت من يكتحل بهذا (ك ، ف) .
(٧) ساقطة من (ب) .
(٨) الزبداني (ك ، ف) الزنداني (مث) الريداني (ظ) .

يكذبُ في لحيتهِ ما يهبُ اللهُ حرا

* * *

وقال في بدر الدين (١) مودود شحنة دمشق وأصحابه :

ما عند مودود من قلّت مثالبهُ إلا (٢) المبارز إبراهيم (٣) نائبهُ

ومن (٤) سواه فكابٌ لاخلاق (٥) لهُ قد أعجزتني فما تحصى (٦) معايبهُ (٧)

المستشار عفيف الدين قد دميت يدي على لؤمه (٨) مما أعاتبهُ

وابن الدغابة (٩) والتيس الشريف وجه (١٠) (م) س الكلب مشرفه (١١) والعلق (١٢) كاتبهُ

والأقلف الكلب رأس (١٣) الأمر صاحب د (م) وابن الأمير وجابيه (١٤) وحاسبهُ

---

(١) راجع الحاشية رقم (٢) ص (٧٧) .

(٢) إلا المبادلة في جنب يجانبه ؟ (ك ، ف) .

(٣) راجع الحاشية رقم (٦) ص (٧٤) .

(٤) فمن سواه (ك ، ف ، ح ، ص) .

(٥) لا نظير له (ظ ، ح ، ص) .

(٦) فلا تحصى (ظ) .

(٧) مجانبه (ك ، ف ، ح ، ص) .

(٨) لؤمه (م ، مث) .

(٩) وابن النقاية (ك ، ف) وابن النفائة (م ، مث ، ب) وابن البغانة (ح ، ص) .

(١٠) وجعص الكلب (ظ ، ك ، ف ، ح ، ص) .

(١١) منشوره (ظ) مشربه (ح ، ص) شرف الدانق ؟ (ك ، ف) .

(١٢) والعلو (ح ، ص) . والعلق : ساقط المروءة على أقبح وجه (عامية) .

(١٣) وابن الأم (م ، مث ، ح ، ص) .

(١٤) جاريه (م) جاريه (مث) مولاه (ك ، ف) .

والأحمق الجاهل الكردي يسأل في حبس (١) العقيبة (٢) عن علق يداعبه (٣)

قوم لو انهم في خدمة الفلك الا (م) على لخرت بهم (٤) منه كواكبه

* * *

وقال (٥) في جماعة سماهم :

وليل كوجه الزاغ (٦) برداً وظلمةً وطولاً (٧) كقرني يونس وأبي خضر (٨)

عدمت الكرى فيه وطول هجوده (٩) كما عدم العقل البها بن أبي اليسر (١٠)

* * *

وقال (١١) أيضاً في جماعة سماهم :

صعد (١٢) الدين يستغيث إلى الا (م) ه وقال الأنام قد ظلموني

---

(١) جيش (ك ، ف ، ح ، ص) .

(٢) العقيبة : محلة في دمشق معروفة إلى اليوم .

(٣) يذانبه (ظ ، م ، مث ، ب) يدابيه (ك ، ف) .

(٤) به منهم (ظ ، ك ، ف) بهم منهم (ح ، ص) .

(٥) ساقطة من (ب) .

(٦) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٣٦) .

(٧) وطول ؟ (ك ، ف) .

(٨) وأبي خصر (ك ، ف) وأبي حضر (ح ، ص) .

(٩) سجوده (ك ، ف) .

(١٠) أبي البشر (م) أبي بشر (ح ، ص) والصواب : ابن أبي اليسر وهو بهاء الدين إبراهيم بن أبي اليسر شاكر التنوخي الكاتب البليغ ، ولي قضاء المعرة خمس سنين ، وتوفي سنة (٦٣٠) شذرات الذهب (١٣٥/٥) .

(١١) ساقطة من (ظ ، م ، مث ، ب) .

(١٢) طلع الدين يستغيث إلى الا ه يقول العباد قد ظلموني (ح ، ص) . — م (١٤)

يَتَسمَّوْنَ بي وحقكَ لا أع(م) رفُ شَخصاً(١) منهم ولا يعرفوني

جَعلوا(٢) ابنَ المصري تاجي ولو كا(م) نَ شِراكاً للنعل لم يُنصفوني

ثمّ قالوا(٣) البكريُّ صدري كما قا(م) لوا وقالوا (و) وجهي الزنكلوني

* * *

وقال أيضاً في جماعة سماهم:

أرى الناس لا يرقى إلى المجدِ منهم(٤) سوى ناقصٍ أو ناقضٍ في الأضالعِ

فَمَنْ شكَّ فيما قلتُهُ فقياسُهُ على معشرٍ ينفون شكَّ المُنازعِ

سليمانَ والجاموسِ والصدرِ وابنِهِ وأصهارِهم والناصحَينِ وجامعِ

* * *

وقال في مثل ذلك(٥):

قد أصبحَ الرزقُ مالهُ سببُ في الناسِ إلاَّ البغاءُ والكذبُ

«سلطانُنا(٦) أعرجٌ وكاتبُهُ ذو عمشٍ والوزيرُ مُنحدِبُ»

طلع الدين مستغيثاً إلى الا ه وقال العباد قد ظلموني

(صبح الأعشى ٥/٤٤٣).

(١) خلقاً (ح، ص).

(٢) جعلوا ابن المصري تاجي وما فيـ ه شراك للنعل لو أنصفوني (ح، ص).

(٣) لم يرد إلا في (ح، ص).

(٤) عندهم (ظ).

(٥) ومن هجوه لصلاح الدين وأصحابه مرآة الزمان (٨/٤٦١).

(٦) هذا البيت ساقط من جميع النسخ، وإنما نقلناه من مرآة الزمان، وعنه نقل صاحب النجوم الزاهرة (٦/٢٩٤).

وصاحبُ الأمرِ خلقُهُ شرِسٌ وعارضُ الجيش داؤهُ عَجَبُ

يبيتُ من حكَّةٍ تُؤرِّقُهُ(١) في دبرِه كالسعيرِ تلتهبُ

وحاكمُ(٢) المسلمينَ ليسَ لهُ في غيرِ غُرمولِ أسودٍ أربُ

والدَّولَعيُّ(٣) الخطيبُ معتكفٌ وهو(٤) على قشرِ بيضةٍ يثبُ

ولابنِ باقا(٥) وعظٌ يَغُرُّ به النا(م) سَ وعبدُ اللطيف مُحتسبُ

عيوبُ قومٍ لو انها جُمِعَتْ في فلكٍ ماسرتْ به شُهُبُ(٦)

* * *

وقال(٧) يهجو مدينة بخارى:

آليْتُ لا آتي بُخارى بعدَها ولو انها في(٨) الأرضِ دارُ خلودِ(٩)

فلقد حللتُ بها حنيفاً مسلماً ورحلتُ(١٠) عنها باعتقادِ يهودي

* * *

(١) مؤرقة (ح، ص).

(٢) سواكم المبتلى فليس له غير غري في بوله أرب؟ (ك، ف).

(٣) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٤٣) وتصحف في (مث) إلى الدواقي، ولم يرد في (ب).

(٤) على فساد وريبة يثب (مث).

(٥) ولابن باقي (ظ، م، مث، ك، ف، ب). ولابن باقا ترجمة في شذرات الذهب (٥/١٣٥).

(٦) به الشهب (ك، ف) له شهب (مث).

(٧) ساقطة من (ب).

(٨) والأرض (ك، ف).

(٩) دار خلودي (ظ).

(١٠) وخرجت منها (ظ) ورحلت عنها وهي دار يهودي (ك، ف).

وقال يهجو ابن عروة[1] الموصلي وقد عمر مسجداً :

إنّ ابنَ عُروةَ حينَ سوَّدَ بازنا ... وجْهي صحيفتِه وبيّض مسجدا
كمقامرٍ أدّى الزّكاةَ مرائيًا[2] ... للناسِ لا يرجو مثوبتَها غدا

* * *

وقال يعرض[3] به :

الواعظُ[4] البلخيُّ كانَ قرابتي ... وأبو محمدٍ المنادي جاري
والزاهدُ الملاّقُ[5] مِنْ أخبارِهِ ... ما قد علمتَ خفيّةَ[6] الأسرارِ
لولا الحياءُ وطيبُ أصلي والتّقى ... لجعلتُها مهتوكةَ[7] الأستارِ

* * *

وقال في الشهاب[8] فتيان الشاغوري :

يامن يُلقّبُ[9] ظلماً بالشهابِ وإنْ ... أضحى بظلمتِه قد أظلمَ الشهبا

(١) راجع الحاشية رقم (١) ص (١٣٦) .
(٢) مرائياً (ك ، ف) .
(٣) وقال فيه ويعرض برجل كان يحبه صغيراً (ك ، ف) .
(٤) الفاعل البني الدعي قرابتي (ك ، ف) .
(٥) الملاء (ح ، ص) .
(٦) حقية الأسرار (ح ، ص) .
(٧) لتركتها (ظ) .
(٨) راجع الحاشية رقم (١) ص (١١٩) .
(٩) تلقب (ك ، ف) .
يا من تلقب ظلماً بالشهاب ولن ... يأتي بظلمته في أفقها الشهبا (وفيات الأعيان ٥١٦/١) . وفي نسختين مخطوطتين من وفيات الأعيان محفوظتين في دار —

لا تخدعنّك[1] مِن مودود[2] دولتُهُ ... وإن تعلّقتَ[3] من أسبابِها[4] سببا
« فليس[5] يَنبحُ فيها غيرُ واحدةٍ ... حتى يلفَّ على خيشومِه الذّنبا »

* * *

وقال في النجيب[6] مملوك التاج الكندي وكان قد مدح الملك المعظم :

أتاكَ النجيبُ بأشعارِهِ ... هو البرُ لكنّه مُذهَبُ
ويحلفُ[7] باللهِ ما قصدهُ ... نوالاً[8] ولكنّه يكذِبُ

الكتب الظاهرية بدمشق وورد هذا البيت في ترجمة فتيان الشاغوري هكذا :

يا من تلقب ظلماً بالشهاب وإن ... نافق بظلمته في أفقها الشهبا — ورقة ٢٦٩/٢
» يلقب » » » » » » » » » » — ورقة ١٥٦/٢

(١) لا تخدعنك (ظ) لا يغررنك (ك ، ف) و (وفيات الأعيان) .
(٢) مودود شحنة دمشق وكان الشهاب يعلم أولاده (وفيات الأعيان) .
(٣) وإن تمسكت (وفيات الأعيان) .
(٤) من أسبابه (ك ، ف) .
(٥) فلست تنبح فيها غير واحدة ... حتى تلف على خيشومك الذنبا (وفيات الأعيان) والبيت من أبيات الحماسة من قصيدة لمرة بن محكان التميمي ونصه :
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خيشومه الذنبا .
(٦) هو نجيب الدين ياقوت بن عبد الله مولى تاج الدين الكندي ، كان ذا فضيلة وأدب وله شعر جيد ، توفي سنة (٦٢٣) البداية والنهاية (١١٦/١٣) .
(٧) ويقسم (ك ، ف) .
(٨) سؤالاً (ظ) .

فعاتبه النجيب على ذلك فقال:

قل للنجيب صرمت[1] حبل مودّتي ملَلاً وقلبي[2] في ولائك مخلصُ
أغضبت حين حملتُ شعرك مذهباً وكذبتَ[3] فهو كما علمت مرصّصُ

* * *

واعتكف النجيب في الجامع والرشيد النابلسي يسمع عليه ديوانه فقال:

اثنان في الجامع المعمور[4] ليس على كلِّ البريّة في صفعيهما حرَجُ
هذاك قد أنِف الفسّاقُ منه وذا تُتلى عليه مساويه[5] فيبتهجُ

* * *

وقال[6] فيه أيضاً:

قل[7] للنجيب ولا تعبأ[8] بلحيته وإن تعاظم[9] بالكنديّ وافتخرا
كم ذا التبظرم[10] جزت الحدّ صفعنة[11] ما أنت إلا قليل العقل ذقن حرا

* * *

(١) نقضت (مث).
(٢) وظني (ك، ف).
(٣) وصدقت إذ مبناك فيه مرصص (ك، ف).
(٤) المحروس (ك، ف).
(٥) مخازيه (ك، ف).
(٦) ساقطة من (مث، ب).
(٧) ابن النجيب فلا تعبأ بلحيته (ك، ف).
(٨) ولا تحفل (ظ، م، ح، ص).
(٩) وإن تبظرم (ظ، م، ح، ص).
(١٠) في الأصل التبضرم وهو تحريف راجع الحاشية رقم (٩) ص (١٨٨).
(١١) رجل صفعان وصفعاني: أي يُصفَع دائماً. ويريد بالصفعنة هنا ما نسميه —

وقال[1] فيه وفد وكانه الصاحبة:

وكّلت الكنديّ مولاتُنا فضلّت القصدَ وساءت سبيلْ
فقل[2] له كفَّ ولا تأتلي فعمرُ أيامك فيها قليلْ
وقد كفيتَ[3] الدهرَ في صرفه فحسبُها أنت وبئس الوكيلْ

* * *

وقال في بدر الدين الجزري وكان يسمى لاجين:

وراحلٍ[4] سرتُ في صحبٍ أؤمّلُه تبارك اللهُ ما أشقى المساكينا
جئنا إلى بابه لاجين نسأله فليتنا[5] عاقنا موتٌ ولا جينا
لاجين نسألُ ميْتاً لا حراك به مثل النصارى إلى الأصنام لاجينا

* * *

وقال فيمن اسمه سعد الله وكان له خال اسمه مسلم وكان صديقه:

تيمّمتُ سعدَ الله للفأل باسمه وقلتُ كريمٌ بين موسى[6] ومريم

اليوم التهريج، وهي بهـــذا المعنى مولدة، واستعملها ابن النديم فقال: (... والصفاعنة والمضحكين) الفهرست ص (١٤٠).

(١) ساقطة من (م، مث، ب). والصاحبة هي ربيعة خاتون أخت صلاح الدين. شذرات الذهب (٥/٢١٨).
(٢) ففعل ما ألقت ولا تأتلي (ك، ف).
(٣) وقد رماك الدهر في صرفه (ك، ف).
(٤) وواحد (ظ) وراجل (ح، ص).
(٥) فاتنى قافلاً عنا براجينا؟ (ك، ف).
(٦) يحيي (ظ، ح، ص).

فألفيته يهوى الندى فترده[١] عروق[٢] إلى أخواله الزرق تنتمي

إذا أيقظته نخوة[٣] عربية إلى المجد قالت أرمنيته نم

فبات[٤] قوافي الشعر بين أضالعي تجيش وأمواج الأراجيز ترتمي

أم ويعتاق اللسان عن الخنا وعن ذكره بالسوء إحسان مسلم

فتى عربي الخال والعم طاهر الأ (م) رومة والأخلاق والفرج والفم

* * *

وقال[٥] يهجوه :

تيممت سعد الله للفأل باسمه ولم آت سعد الله لو كان لي عقل

وقلت[٦] فتى من دوحة عربية تشابه منها[٧] الفرع في الطيب والأصل

ولم أدر أن الأرمنية ظئره وفي الأرمنيات النجاسة والبخل

أظل كمرتد عن[٨] الدين عاكفا ألازمه مالي سوى شغله[٩] شغل

(١) ويصده (ظ ، ح ، ص) فيرده (م ، مث ، ب) .
(٢) عروق إلى أعمامه الزرق ينتمي (م ، مث ، ب) .
(٣) همة (ك ، ف) عمة (م ، مث) . والبيت قديم قيل في خالد بن عبد الله القسري . انظر شرح لامية العجم للصفدي (٢/١٦٠) .
(٤) هذا البيت ساقط من (ح ، ص) ومضطرب الصدر ساقط العجز في (ك ، ف) .
(٥) ساقطة من (مث) ، ومن البيت الأول إلى البيت الرابع ساقط من (ظ) .
(٦) ولي نسبة من دوحة عربية (ك ، ف) .
(٧) منه (م ، مث ، ب) .
(٨) من الدين (م ، مث ، ح ، ص) .
(٩) سغله (ك ، ف) .

أروح إليه[١] بالسلام وأغتدي إلى بابه واليوم في مهده طفل

فما كنت إلا مستظلا بعشبة من الشوك ما[٢] فيها جنى لي ولا ظل

* * *

وقال يهجو المؤيد بن العميد وعمر الكاتب :

لا غرو أن أصبح المؤيد بيـ (م) ـن الناس صبا مولها بعمر

سلمان[٣] بيت العميد يعذر في الـ (م) ـسوء وإن أحسنوا إليه شكر

مآرب الكل فيه فهو عصا موسى لكل[٤] منهم إليه وطر

مآرب[٥] الكل فيه تبصرهم إلى لقاه في حرقة وضجر

يصبح تحت الرجال مفترشا أنثى ويمسي فوق النساء ذكر

كم حملوه من ثقل عيشهم رزية مشمخرة فصبر

وهو فتيق[٦] العجان منخرق الد (م) ـبر ما فيه للمني مقر

وهو متى عاقه رجالهم أهل منه نساؤهم وصدر

* * *

(١) عليه (ك ، ف) .
(٢) لا فيها (ظ) والبيت ساقط من (ك ، ف) .
(٣) سلمان بيت العميد كان وفي الـ ـسوء وإن أحسنوا إليه شكر (م) .
سلمان بنت العميد قد مال لا ـسودان إن أحسنوا إليه شكر (مث) .
والبيت ساقط من (ب) .
(٤) بكل (ك ، ف) .
(٥) لم يرد هذا البيت إلا في (مث) .
(٦) دقيق (ك ، ف) .

وقال (١) في الشريف (٢) الكحال :

رأيتُ سليمانَ الدَّعيَّ مُعرِّضاً   لرفع (٣) أكفٍ ما لهاعنهُ من كفِّ
فما راحةٌ (٤) إلاّ لها فيه راحةٌ   كأنَّ قفاهُ مشهدُ الكفِّ للكفِّ

* * *

وقال (٥) فيه :

كحلُ الشريفِ مُقاربٌ   كم ناظرٍ قد أغمضا
تلقى الدَّوا بيمينِه   وشمالُهُ تُعطي القضا

* * *

وقال فيه أيضاً :

سليمانُ السُّليمانيُّ يغلو   ويُصفعُ دائماً في أخدعيْهِ
يرومُ تطبّبَ الأبصارِ جهلاً (٦)   وكيفَ (٦) وداؤُها نظرٌ إليهِ
يُصافي بالمودَّةِ كلَّ نذلٍ   شبيهٍ بالنزيهِ ومدلويه (٧)
ولكنْ ليسَ هذا منهُ بدعاً (٨)   « فشبهُ (٩) الشيءِ منجذبٌ إليهِ »

* * *

(١) ساقطة من (ص) .
(٢) راجع الحاشية رقم (٢) ص (١٣٤) .
(٣) برفع (ك ، ف) لدفع (ظ) .
(٤) ساقط من (ك ، ف) .
(٥) ساقطة من (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٦) عمداً . فكيف (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٧) راجع الحاشية رقم (٨) ص (١٨٦) والحاشية رقم (٥) ص (١٢٠) .
(٨) بدع (ك ، ف) فقلت وليس هذا منه بدعاً (م ، مث ، ب) .
(٩) شبيه الشيء (ك ، ف ، ح ، ص) وهو من قول أبي الطيب المتنبي :
« وشبه الشيء منجذب إليه   وأشبهنا بدنيانا الطغام »

وقال (١) يهجو السديد (٢) الفاضلي ويعرض بالقاضي الفاضل (٣) :

سألتُ (٤) السديدَ الفاضليَّ وقد بدا   عليه هُزالٌ بعد شدَّةِ أسْرِهِ
أكنتَ (٥) مريضاً قال كلاَّ وإنما   تخيَّرني (٦) عبدُ الرحيم لسرِّهِ (٧)
فقلتُ لهُ إنَّ القطمَّ (٨) اختيارُهُ   لأوضعِ فحلٍ من (٩) تفاقمَ أمرِهِ
ولكنَّهُ حقٌ (١٠) على اللهِ وضعُ مَنْ   ترافعَ جهلاً أو علا فوقَ قدرِهِ
وهبْ أنَّ ما يُعزى إليه مصدَّقٌ   وأنَّكَ قد أقررْتَ فينا بأمرِهِ
فاهذه ما (١١) بينَ ثديَيْكَ قال لي   تقعُّرُ صدري من محدَّبِ ظهرِهِ

* * *

وقال (١٢) في الرئيس ابن المؤيد :

سألتُ الرئيسَ ابنَ المؤيَّدِ مرَّةً   مُجِدّاً به في زيِّ مَنْ (١٣) راحَ يلعبُ

(١) ساقطة من (ح ، ص) .
(٢) راجع ترجمة السديد بن مكي في شذرات الذهب (٥/٢٦٠) .
(٣) راجع الحاشية رقم (٦) ص (١٨٢) .
(٤) سوالب الدهر بد الفاضلي وقد بدا ؟ (ك ، ف) .
(٥) أكنت مريضاً نازحاً في مرامه (ك ، ف) .
(٦) يخبرني (مسالك الأبصار ١٠/٥٦٦) .
(٧) بسره (ك ، ف ، ظ) و (مسالك الأبصار) .
(٨) الفحل القطم : الصؤول . القطيم (م ، مث) القطم (ك ، ف ، ب) المظم (مسالك الأبصار) .
(٩) مع تفاقم (ك ، ف) .
(١٠) حقاً (ك ، ف) .
(١١) في وسط نديك (ك ، ف) .
(١٢) ساقطة من (ح ، ص) .
(١٣) من لاح (م ، مث) مالاح (ب) مجداً به ذيا بروح (ك ، ف) .

بأيِّ الخلالِ [1] المغربيُّ إليكمُ   ترقَّى وما فيه خِلالٌ تُحبَّبُ

فقال ولم يُبدِ احتشاماً ولا حياً   بوجهٍ وقاحٍ وهو في [2] الضحكِ يُغرِبُ

له [3] فضلةٌ في جسمهِ عن إهابِهِ   تجيءُ كما جاءَ الأتيُّ وتذهبُ

* * *

وقال في ابن دحية [4] :

دِحْيةُ لم يُعقبْ فكم [5] تنتمي   إليه بالبهتانِ والإفْكِ [6]

ما صحَّ عند الناسِ شيءٌ سوى   أنّكَ من كلبٍ بلا شكِّ

* * *

وقال في صاحب الخزانة وخاطب بها الملك [7] المعظم :

يا مليكَ الدنيا الذي أعظمَ اللا(م) هُ بتأييدِ عزِّهِ سُلطانَهْ

(١) خلال (م ، مث ، ب) .

(٢) بالضحك (ظ) بوجه وقاح العين فيه تغرب (ك ، ف) .

(٣) « له فضلة عن جسمه في إهابه   تجيء على صدر رحيب وتذهب »

(ظ ، م ، مث ، ب) . وعلى هذه الرواية يكون تضميناً من شعر المتنبي .

(٤) هو أبو الخطاب عمر بن حسن بن محمد الأندلسي المعروف بابن دحية الكلبي ، كان متفنناً في الحديث والنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، وكان في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين . دخل دمشق فمال إليه الوزير ابن شكر ، وتوفي بالقاهرة سنة (٦٣٣) وله سبع وثمانون سنة . (شذرات الذهب ٥/١٦٠) .

(٥) فلم (ظ ، ك ، ف) .

(٦) والإسك ؟ (ك ، ف) .

(٧) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٥) .

أنا أشكو إليكَ جَورَ رقيعٍ   لقَّبوهُ الصَّفعانَ تاجَ الخزانهْ

عدِمَ العقلَ والمروءةَ والإحـ(م) ـسانَ والدينَ والحيا والأمانهْ

وحوى [1] اللؤمَ والرقاعةَ والخِـ(م) ـسَّةَ والجهلَ والخنا والخيانهْ

يزعمُ التيسُ أنني خالُهُ الأد(م) نى تناهى [2] في السبِّ [3] لي والإهانهْ

زعموا أنَّهُ حفيظٌ [4] على الما(م) لِ أمينٌ [4] قلتُ اسكتي يا فلانهْ

* * *

وقال يهجو يحيى [5] بن الزكي وقد أثبت عليه محضراً :

أرى يحيى تعرَّضَ لي بسوءٍ   تعرُّضَ عقربٍ ولعتْ بحيَّهْ

أيطمعُ [6] أنني أهجوهُ كلّاً   كفاني أنْ يقالَ أخو رُقيَّهْ

* * *

وقال [7] في ابن مازة [8] :

مالُ ابنِ مازةَ [9] دونَهُ لِعُفاتِهِ   خرطُ القتادِ [10] أو منالُ [10] الفرقدِ

(١) ساقط من (ف) .

(٢) يباهي (ح ، ص) .

(٣) في الذم (ظ) والبيت ساقط من (ب) .

(٤) أمين ... حفيظ (ك ، ف) .

(٥) هو قاضي القضاة محيي الدين أبو الفضل يحيى ابن قاضي القضاة محمد ابن قاضي القضاة زكي الدين القرشي الدمشقي ، ولد سنة (٥٩٦) ، وولي قضاء دمشق مرتين ولم تطل أيامه ، وتوفي بمصر سنة (٦٦٨) شذرات الذهب (٥/٣٢٨) .

(٦) يروم بأنني أهجوه كلا (ظ ، م ، مث ، ب ، ح ، ص) .

(٧) ساقطة من (ب) .

(٨) راجع الحاشية رقم (٢) ص (١٢٤) .

(٩) ابن مارة (وفيات الأعيان ٢/٥٤٥) ابن مادة (شرح لامية العجم ٢/٢٢٠) -

مالُ لزُومُ الجمعِ يمنعُ صرفَهُ ... في[1] راحةٍ مثلُ المنادَى المفردِ

* * *

وقال[2] في المتمد[3] والي دمشق وقد بات عنده فلم يقره :

حديثُ كُلِّ المُبارِ زمني اسألوا[4] ... أنبئكُمُ[5] بأحاديثِه

نزلنا عليهِ فلم يقرِنا ... وبِتْنا قرىً لبراغيثِه

* * *

وبلغه[6] عن شاعرٍ أنّه هجاه فقال فيه :

لا غروَ أنْ نالَ اللئيمُ بهجوهِ ... منّي منالاً لم تنلْهُ كِرامُ

كم مِن دمٍ أردى الكماةَ مرامُهُ[7] ... يومَ الوغى وأراقهُ الحَجّامُ

* * *

وقال[8] في فقيهين تكلما في المنطق يقال لأحدهما تاج وللآخر كمال :

وهو تصحيف لما أثبتناه .

(١٠) القنادة (م ، مث ، ح ، ص) وشرح لامية العجم . مناط (م ، مث) .

(١) لعقاته (م) .

(٢) ساقطة من (ب) .

(٣) راجع الحاشية رقم (٦) ص (٧٤) .

(٤) سلوا (م ، مث) عني اقتلوا (ظ) .

(٥) إذا شئتم عن أحاديثه (ك ، ف ، ح ، ص) فعندي صدق أحاديثه (م ، مث) .

(٦) ساقطة من (ب) .

(٧) مناله (مث) .

(٨) ساقطة من (ب) .

قيلَ[1] إذا التاجُ عليَّ خَلا ... مع الكمالِ الجاهلِ الأحمقِ

تألفتْ مِن خبثٍ[2] فعليهما[3] ... قضيَّةٌ مِن جهةِ المنطقِ

موضوعُها التاجُ فإنْ حاولوا ... بها طريقَ العكسِ لم تصدُقِ

* * *

وجاء من اليمن إلى مصر فطلبوا منه زكاة ما ورد معه ، فقال يهجو الملك العزيز[4] صاحب مصر :

ما كلُّ مَن يتسمَّى بالعزيزِ لها[5] ... أهلٌ[5] ولا كلُّ برقٍ سحبُهُ غدقَهْ

بينَ العزيزَيْنِ[6] بَونٌ في فِعالِهما ... هذاكَ يُعطي وهذا يأخذُ الصدقَهْ

* * *

---

(١) قد قيل ذا التاج علي خلا (ك ، ف) قد قيل جارى التاج من جهله (ظ) مع جهله (م ، مث) .

(٢) حيث (ف) حب ؟ (ك) قبح (ح ، ص) .

(٣) وجهيهما (مث) .

(٤) الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين ، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٧) ، وكان من عقلاء بني أيوب كثير الخير كريماً ، وله علم بالحديث والفقه ، كان نائباً في مصر عن أبيه واستقل بملكها بعد وفاة أبيه سنة (٥٨٩) وتوفي بالقاهرة سنة (٥٩٥) . الأعلام لخير الدين الزركلي (٦٣١/٣) .

(٥) له ... فضل (ظ ، م ، مث ، ب) .

(٦) بين العزيزين في الدنيا مغامرة (ح ، ص) ويريد بالعزيزين : الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن . راجع الحاشية رقم (٤) ص (٣٤) والملك العزيز عثمان صاحب مصر .

وبات عند رجل فلم يقره فقال (١) :

ودارِ كريمٍ بتُّ فيها على الطَّوى خميصَ الحشا أشكو المجاعةَ والقُرّا (١)

فلما (٢) بدا ضوءُ الصباحِ لناظري خرجتُ وقد أوسعتُ صاحبَها شكرا

* * *

وقال (٣) يهجو الجمال بن شيث (٤) والبها بن نفاية :

زعموا أنّي هجوتُ ابنَ شيثٍ كيف أهجوهُ وهو في العلم آيه (٥)

إنما قلتُ إنّهُ حسنُ الظنِّ حليمٌ كأنّهُ ابنُ نفايه (٦)

* * *

وقال (٧) يهجوه ويعرض بذكر غلامه :

لُمْنا ابنَ شيثٍ وقلنا في ملامتِه أسرفتَ في حبِّ إبراهيمَ فاقتصدِ

وجهٌ كريهٌ وأخلاقٌ مذمّمةٌ فما علمناهُ محبوباً إلى أحدِ

فقال والشوقُ يُبكيه ويُضحكهُ لا تعذلوني فهذا بيضةُ البلدِ

بعينِ قلبي أراهُ لا بأعينِكمْ (ذروا (٨) ملامي) أمافيكم أخو رشَدِ

(١) ساقطة من (ظ، مث). والضرا (ح، ص).

(٢) فما شمت فيها للطعام وسامة ولا طمحت نفسي التمني مسكرا ؟ (ك، ف).

(٣) ساقطة من (ظ).

(٤) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٤٦).

(٥) رايه (ك، ف).

(٦) ابن نقابه (ك، ف، ح، ص).

(٧) ساقطة من (ظ، م، مث، ب).

(٨) في الأصل: (ذورا فما في ما فيكم أخو رشد)، ولعل ما أثبتناه الأقرب إلى الصواب.

«لقدْ لمستُ مُعرّاهُ فما وقعتْ مما لمستُ يدي إلا على وَتَدِ (١) »

* * *

وقال وقد عزل ابن شيث وجعل ابنه مكانه :

قد فسدتْ صنعةُ ابنِ شيثٍ منذُ أزاحوهُ عنْ قُمامهْ (٢)

كانتْ بَواتيقُهُ (٣) النصارى وكانَ إكسيرُهُ القُمامهْ (٤)

وقد تولّى ابنُهُ عليها ما أشبهَ الفرخَ بالحمامهْ

* * *

وقال في رجل ضرير طلب منه حاجة وألحَّ عليه في الطلب:

ومُدِلٍّ على الأخلاءِ مُغْتَرٍّ (٥) بإكرامِهمْ لهُ واحترامِهْ

سدَّ بابَ (٦) الحياءِ منهُ فلا (٧) يا (م) قي صديقاً (٨) إلا بقبحِ اجترامِهْ

واغِلٌ وارِشٌ (٩) نماهُ طُفَيلٌ أرْشَمٌ (١٠) قد مَلِلْتُ من إبرامِهْ

(١) إلا على زبد (ك، ف). والبيت لأبي الخندق الأسدي، وقيل إنه لدعبل، وروايته كما في الحماسة:

لقد لمست معراها فما وقعت مما لمست يدي إلا على وتد

(٢) قمامة: الكنيسة العظيمة المشهورة بالقدس (معجم البلدان).

(٣) موائيقه ؟ (ظ).

(٤) القيامة (م، مث، ب).

(٥) معتز (م). وصدر هذا البيت مضطرب ومشوش في (ك، ف).

(٦) بيت الحياء (ظ، م، مث، ب، ك، ف).

(٧) فما يلقى (ظ، ك، ف، ح، ص).

(٨) خليلاً (ك، ف، ح، ص).

(٩) دارس ؟ (ك، ف).

(١٠) الأرشم: من يتشمم الطعام ويتحين له. ارسم ؟ (مث، ب) مبرم (ح، ص).

يتشكّى إليّ رقّةَ حالٍ أسقمتْهُ وغيّضتْ(١) من غرامهْ
يطلبُ البُرْءَ(٢) من مريضِ الأيادي غرّهُ ما رآهُ من أوْرامهْ(٣)
مثلُهُ بل يفوقُهُ في التكدّي(٤) بل يراهُ شرارةً من ضرامهْ

* * *

وقال(٥) يهجو شمس الدين بن الجوزي(٦) الواعظ بدمشق:

إذا ما(٧) امتطى الجوزيُّ أعوادَ منبرٍ وظلّ(٨) يناغي الفاجراتِ ويستخذي
فلا امرأةٌ إلاّ وبادٍ(٩) ودادُها ولا رجلٌ إلاّ وغرمولُهُ يَعذي

* * *

(١) وغيرت من غرامه (م) وغيضت من غرامه (ك، ف، ح، ص).
(٢) البر (ظ، ك، ف).
(٣) من إكرامه (ظ، م، مث، ب).
(٤) التكفي (م) والبيت ساقط من (ب).
(٥) ساقطة من (ب).
(٦) هو شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي ولد ببغداد سنة (٥٨٢) ونشأ تحت كنف جده لأمه أبي الفرج ابن الجوزي وقدم دمشق بعد سنة (٦٠٠) واستوطنها وجلس للوعظ، وكان وجيهاً عند الملوك ولا سيما الملك المعظم، وله مصنفات من أجلها مرآة الزمان، وتوفي بدمشق سنة (٦٥٤). النجوم الزاهرة (٧/٣٩).
(٧) إذا هز ابن الجوزي أعواد منبر؟ (ك، ف).
(٨) وقام يناجي (ك، ف) وقام ينادي (ح، ص).
(٩) وباد (م، مث).

وقال ابن الجوزي إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقد لثم خاتماً في إصبعه فقال:

لا تظنّنّ الجوزيَّ يصدقُ في الرؤ (م) يا فما الأمرُ مثلَ ما يدّعيه(١)
كَسَدَ العلقُ في دمشقَ فأضحى يستميلُ القلوبَ بالتمويه
كيفَ يرضى النبيُّ يلثمُ منهُ خاتماً تبصقُ البريّةُ فيه

* * *

وقال(٢) يهجوه:

إنّ وعظَ الجوزيّ في المسجد الجا (م) مع وعظٌ(٣) مزهّدٌ في الدين
كلما غازلتْهُ منهُ(٤) قناةٌ ماس مُعجباً وأرسل(٥) الزنكاوني

* * *

وخرج ابن الجوزي حاجاً فرماه الهجين عند مسجد القدم فرجع ولم يحج ذلك العام فقال فيه:

إذا ما ذُمّ فعلُ النوقِ يوماً فإني شاكرٌ فعلَ النياقِ
أرادَ اللهُ بالحُجّاجِ خيراً فثبّطَ(٦) عنهم أهلَ النفاقِ

* * *

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ظ).
(٢) ساقطة من (مث).
(٣) وعظ بغير أجر جاري (ك، ف).
(٤) منا (ظ، م، ب).
(٥) وأرسل الدمع جاري (ك، ف).
(٦) فسقط (ظ).

وقال في جماعة سماهم:

في دولة الملك المعظَّم خمسةٌ   لا يؤمنون على قشور الطُّحْلُبِ [1]
صهرُ المكرَّمِ [2] والمكرَّمُ وابنُهُ   والحاكمُ [3] المصريُّ وابنُ [4] التّنبي

* * *

وقال [5] في نزيه الدين:

لله [6] درُّ نزيه الدينِ مِن رجلٍ   ما رأيُهُ في الرزايا واهنٌ أفِنُ
مازال يسقي بِنَوْءِ الدلوِ صاحبَهُ   حتى انثنى وهو لا عينٌ ولا أُذُنُ
فقلتُ أدعو سليمانَ [7] الدّعيَّ وقد   حانَتْ مِنَ النعلِ في أوداجِهِ مِحَنُ
«جهلاً علينا وجُبناً عن [8] عدوكمُ   لبئستِ الخلّتانِ الجهلُ والجُبُنُ»

* * *

(١) الطحلب (ك، ف، ح، ص).
(٢) المكرم: من رجال الدولة في عصر ابن عنين (مرآة الزمان ٨/٤٣٣).
(٣) راجع الحاشية رقم (٢) ص (٨٥).
(٤) تنّب: قرية كبيرة من قرى حلب والنسبة إليها تنبي، وينسب إليها جماعة من الكتاب والأعيان بحلب ودمشق (معجم البلدان).
(٥) ساقطة من (مث).
(٦) أقبح بهذا نزيه الدين من رجل   مارأيه في أمور الناس يحتسن (ك، ف).
(٧) ادعى (ح، ص).
(٨) لا أبالكم (م). والبيت لقعنب بن ضمرة وروايته كما في الحماسة:
«جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم   لبئست الخلتان الجهل والجبن»

وقال يهجو الزنكلوني مشارف جامع دمشق:

مصحفُ عثمانَ صاحَ [1] من حنَقٍ   رافعُ قدري ما بالُهُ [2] خفضَهْ
الزنكلونيْ صار يخدمني   يا ربِّ [3] عجِّلْ بالفأرِ والأرضَهْ
واللهِ ما بي انحطاطُ منزلتي   وإنّما بي شماتةُ الرَّفَضَهْ

* * *

وكان يمشي بالجامع فسمع بعزل المؤيد [4] فقال:

تَشكّى [5] المؤيَّدُ مِن [6] صرفِهِ   وذمَّ [7] الزمانَ وأبدى السَّفَهْ
فقلتُ لهُ لا تَذمْ الزمانَ   فتظلمَ أيّامَهُ المُنصِفَهْ
ولا تَغضبنَّ [8] إذا ما صُرِفْتَ   فلا عدلَ فيكَ ولا معرفَهْ

* * *

وقال [9] في صبي طيبي:

هـذا ابنُ هرونَ الذي   في عصرنا لا يُفلحُ

(١) قال (ظ).
(٢) أراه قد خفضه (ظ).
(٣) لا أبعد الله الفار والأرضه (ظ، م، مث، ب، ك، ف).
(٤) ابن المؤيد (ك، ف، ح، ص) ومسالك الأبصار (١٠/٥٦٧).
(٥) شكا ابن المؤيد (ك، ف، ح، ص)، و (مسالك الأبصار)، وشرح لامية العجم للصفدي (١/٢١٨).
(٦) من عزله (م، مث، ب، ح، ص) و (شرح لامية العجم).
(٧) وجور الزمان (ظ).
(٨) ولا تندمن (ح، ص) ولا تحزنن (ك، ف) ولا تعجبن (شرح لامية العجم).
(٩) ساقطة من (م، مث).

يبيعُ مسكاً أذفراً بيعُ الحراء أربحُ

* * *

وقال في حلب :

لا عادَ في حلبٍ زمانٌ مرَّ لي   ما الصبحُ(١) فيه من المساء بأمثلِ

سيَّان في عرصاتها رأدُ الضحى   عندي ودَيجورُ الظلامِ المُسْبَلِ(٢)

في(٣) معشرٍ لعنوا عتيقاً لاسُقُوا   صَوْبَ الغَمامِ ومعشرٍ لعنوا علي

قومٌ عهودُ(٤) رجالهم محلولةٌ   أبداً وعهدُ نسائهم لم يُحلَلِ

من كلِّ مائسةِ القوام(٥) رشيقة(٦)   رُودِ الشبابِ كدميةٍ(٧) في هيكلِ

خطيةِ(٨) الخطواتِ يثني قدَّها   مرحٌ فيهزأ بالوشيجِ الذُّبَّلِ

وإذا علاها راكبٌ رقصتْ به   « رقصَ(٩) القلوصِ براكبٍ مستعجلِ »

ومقطَّعِ الأرماجِ(١٠) ليس لدائه   راقٍ وأعيا الداء داء الأسفلِ

(١) ما الصبح فيه من الظلام الأليل (ك ، ف) .
(٢) المقبل (ك ، ف) .
(٣) من معشر (ك ، ف) ، والبيت ساقط من (ح ، ص) .
(٤) عقود (ظ) .
(٥) الشباب (م ، ك ، ف ، ب) .
(٦) صقيلة (م ، مث ، ب ، ح ، ص) .
(٧) كربعة (ك ، ف) .
(٨) ساقط من (ك ، ف) ومضطرب ومشوش في (ظ) .
(٩) تضمين لقول حسان بن ثابت .
بزجاجة رقصت بما في قعرها   رقص القلوص براكب مستعجل
(١٠) الأرباح (ظ) الأزياج (م ، مث ، ب) الأبراج (ح ، ص) ولعل الصواب الأعفاج .

مازالَ ينتفُ شعرَ(١) خدَّيه إلى   أنْ أصبحتْ وجناتُه كالمُنْخُلِ

ولسوف أُعربُ عن غريبِ صفاتِهم   مستأنفاً ما فاتَ في المستقبلِ

بقلائدٍ(٢) ما أُنشدتْ في محفلٍ   إلاَّ وكانت عُقْلةَ المستعجلِ

شعرٌ(٣) يُقطِّعُ بالنعالِ أخادعَ الأ(م)   عشى ويحرا في عوارضِ جرْولِ

* * *

وقال(٤) يهجو المؤيد بن القلانسي والجمال بن مهدي الكاتب :

ولمَّا(٥) رأينا المغربيَّ بخدمةِ الـ(م)   مؤيَّدِ مثلَ الراهبِ المُتبتِّلِ

وأخلاقَ(٦) فيها عمرُهُ فكأنَّه(٧)   « قفا(٨) نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ »

سألناه(٩) هلْ في ظلِّه لكَ مرتعٌ(١٠)   « وهلْ عندَ رسمٍ دارسٍ من معوَّلِ »

فقال أنا المُسدي(١١) إليه تفضُّلي   وكم(١٢) من يدٍ لي عنده وتطوُّلِ

(١) صحن خديه (ح ، ص) .
(٢) ومناظم (ك ، ف) .
(٣) سفهاً ومنظوماً يقل أخادع الأعشى ؟ (ك ، ف) والبيت ساقط من (ب) . والأعشى : ميمون بن قيس الشاعر الجاهلي المشهور . وجرول : هو الحطيئة الشاعر المخضرم المشهور .
(٤) ساقطة من (ح ، ص) .
(٥) ولما انبرى ألوى الدني لخدمة ؟ (ك ، ف) .
(٦) ساقط من (ك ، ف) .
(٧) وكأنه (ظ) .
(٨) كل ماورد بين هلالين في هذه القصيدة فهو تضمين من معلقة امرئ القيس .
(٩) سليمانا في ظله لك مرتع ؟ (ك ، ف) .
(١٠) مربع (شرح لامية العجم للصفدي ٢/١٢٤) .
(١١) المهدي (ك ، ف) .
(١٢) فكم (م ، مث ، ب) .

أسدٌ إذا استدبرتَهُ منه فُرجة … «بضافٍ فُويقَ الأرض ليس بأعزلِ»

وأشقي غليلاً منه عزَّ شفاؤُهُ … «بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ»

إذا (١) ما تمطّى في حشاه بصلبه … «وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ»

وبات (٢) «بمجذوف الوليد أمرَّهُ … تتابُعُ كفّيهِ بخيطٍ موصَّلِ»

وجادَتْهُ أنواعُ الحوايا فأنزلتْ … عليه (٣) من الأمشاج كلَّ منزَّلِ

بدا رأسُهُ بعدَ العتوِّ كأنَّهُ … «من السيلِ والغثاءِ (٤) فلكةُ مغزلِ»

كأنَّ دمَ الأعفاج من (٥) فوق متنه … «عُصارةُ (٦) حنّاءٍ بشيبٍ مرجَّلِ»

ولكنّني (٧) إن رُمْتُ إبانَ غرسه … «تمتّعتُ من لهوٍ بها غيرَ معجَلِ»

وكم (٨) ليلةٍ قد بتُّ جذلانَ بينَهُ … «وبينَ هضيمِ الكشحِ ريّا المخلخلِ»

«مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً … كجلمودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ»

«فعادى (٩) عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ … دراكاً ولم ينضحْ بماءٍ فيُغسلِ»

* * *

(١) إذا أم ما في جوفه شام صلبه (ك ، ف) . وموضع العجز فيهما بياض .
(٢) ساقط من (ب) .
(٣) على متنه الأمشاج من كل منزل (ظ) ، والبيت ساقط من (م ، مث ، ب) .
(٤) والحناء ؟ (م ، مث ، ب) .
(٥) فوق متونه (م ، مث ، ب) .
(٦) عصارة حنا فوق ثوب مرسل ؟ (ك ، ف) .
(٧) ساقط من (ظ ، م ، مث ، ب) .
(٨) فكم (ظ) .
(٩) عدا بي عداء ... (شرح لامية العجم) .

وقال (١) يهجو من اسمه سليمان :

ظننتُ سليماناً (٢) جواداً يهزُّهُ … مديحي وتُستجدى (٢) بسحري مواهبُهْ

رأيتُ لهُ زيَّ الكرامِ فغرَّني … كما غرَّ آلٌ موهَنَهُ سباسبُهْ

دخلتُ (٣) عليهِ وهو في صحنِ دارِهِ … على سُدَّةٍ نُصّتْ عليها مراتبُهْ

فلما رآني قالَ مَنْ قيلَ شاعرٌ … أتى مادحاً فازورَّ للسخط جانبُهْ (٤)

وأقبلَ يستكفي وسبَّ (٥) عبيدَهُ … وفاضتْ مآقيهِ وعزّاهُ كاتبُهْ

فأنشدتُهُ شعراً تخيَّرتُ بحرَهُ (٦) … فرقّتْ معانيهِ وراقتْ مذاهبُهْ

بديعاً (٧) كروضٍ حالفتْهُ يدُ الحيا … فما أقلعتْ (٨) حتى استنارتْ كواكبُهْ

ولازمتُهُ عامينِ عاماً (٩) مسلّماً … إلى البابِ أحياناً وعاماً أواظبُهْ

وبالغتُ في الشكوى وعرّضتُ بالهجا … وصرّحتُ حتى أعجزتني مثالبُهْ

فما كانَ إلا صخرةً لا تُلينُها الـ … (م) رقاةُ (١٠) وطوداً لا تميلُ جوانبُهْ

(١) ساقطة من (مث) ولم يرد منها إلا البيتان الأول والثاني في (م ، ب) .
(٢) كريماً ... ويستهدى (ح ، ص) .
(٣) فأقبلت يوماً وهو ... (ك ، ف) .
(٤) حاجبه (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٥) وذم (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٦) سحره (ظ) .
(٧) بديع (ظ) نجاء كروض حالفته يد الصبا (ح ، ص) .
(٨) فما أسفرت (ك ، ف) .
(٩) عام مسلم (ظ ، ح ، ص) .
(١٠) الرقاء (ك ، ح ، ص) .

وألحت حتى صرح الشعر قائلاً ... أرحني فما ترجو بعيث تخاطبه(١)

ولا تغترر من بعدها بحماقة ... وإن عظمت قد يظلم التيس حالبه

إذا المرء لم يشرف بنفس كريمة ... وأصل فما تعلو بجاه(٢) مراتبه

فما زاد قدر القرد(٣) حين استخصه ... يزيد ولا حط(٤) الحسين مصابه

* * *

وقال(٥) لما كان مقيماً ببغداد :

سأرحل عن بغداد في طلب الغنى ... إلى(٦) بلدة

إلى بلدة فيها الكلاب بحالها ... كلاب(٦) وما ردت

* * *

(١) تعاتبه (ظ ، ح ، ص) .

(٢) بتلك أقاربه (ك ، ف) والبيت ساقط من (ظ) .

(٣) كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول : هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ ، وكان يسقيه النبيذ ، ويضحك مما يصنع ؛ وكان يحمله على أتان وحشية ويرسلها مع الخيل فيسبقها ، فحمله عليها يوماً وجعل يقول :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها ... فليس عليها إن هلكت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعة كلها ... وخيل أمير المؤمنين أتان

(أنساب الأشراف للبلاذري القسم الثاني ٤/٢) .

(٤) ولا حط الحسيني عائبه (ك ، ف) . وورد في (ح ، ص) هكذا :

فما زاد قدراً إذ تعاظم ملكه ... يزيد ولا حطت حسين مصايبه

(٥) لم يرد هذان البيتان إلا في (ك ، ف) .

(٦) كذا بالأصل .

وكتب(١) إليه ابن مهدي الكاتب رقعة طويلة فقال :

وصلت(٢) منك رقعة أسأمتني ... وثنت صبري الجميل كليلا(٣)

كنهار المصيف حراً وكرباً(٤) ... وليالي الشتاء برداً وطولا

* * *

وكان(٥) الملك المعظم(٦) أمر بنزح ماء خندق القلعة بدمشق ونال الناس من ذلك جهد عظيم فقال :

أرح من نزح ماء البرج يوماً(٧) ... فقد أفضى إلى تعب وعي

مر القاضي بوضع يديه فيه ... وقد أضحى(٨) كرأس الدولعي(٩)

* * *

وقال يهجو ابن سيدة :

قل لابن سيدة وإن أضحى(١٠) له ... خول تدل بكثرة(١١) وخيول

(١) ساقطة من (ظ ، ص) .

(٢) وردت (ح) .

(٣) كلولا (ك ، ف ، ح) ملولا (مث) .

(٤) نتنها كالكنيف ريحاً وكرهاً (ك ، ف) .

(٥) ساقطة من (مث) .

(٦) الملك العادل (ف) .

(٧) قوماً (ح ، ص) .

(٨) أمسى (ظ) .

(٩) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٤٣) .

(١٠) أضحت له (ح ، ص) و (تاج العروس ٣٩٢/١) .

(١١) لكثرة (ب) خول يدل بكثرها (ك ، ف) .

ما أنتَ إلا كالعُقابِ فأمُّه(١) معروفةٌ(٢) ولهُ(٣) أبٌ مجهولُ

* * *

وقال في مقدَّمي الدولة حين نُفي من دمشق :

لو كنتُ(٤) أسودَ مثلَ الفيلِ هامتُه(٥) عبلَ الذراعَين في غُرمولِه كِبَرُ

كانتْ حوائجُ مثلي عندكم(٦) قُضيتْ لكنَّني أبيضٌ في أيدِه قِصَرُ(٧)

* * *

وقال(٨) :

لا كانَ يومٌ(٩) بُدِّلتْ فيهِ الكنائسُ بالمساجدْ

لا تفرحوا بفتوحِكم هذا فإنَّ الدهرَ راقدْ

* * *

وقال(١٠) في ابن شيث(١١) :

---

(١) فأمها (ح ، ص) .
(٢) معلومة (ظ ، م ، مث ، ب ، ك ، ف) وانظر وفيات الأعيان (٢/١٠٠) .
(٣) ولها (ح ، ص) .
(٤) محل هذا البيت بياض في (ف) .
(٥) قامته (م ، مث) .
(٦) عندهم (ح ، ص) .
(٧) صغر (ح ، ص) .
(٨) وقال يهجو القاضي الفاضل (ظ) .
(٩) يوماً (ظ ، ك ، ف ، ب) .
(١٠) ساقطة من (ك ، ف) .
(١١) راجع الحاشية رقم (٧) ص (١٤٦) .

اللهُ يعلمُ يا ابنَ شيـ(م)ـثِ ما حصلتَ مِن الكتابهْ

إلاّ على الدّاءِ الذي خُصَّتْ بهِ تلكَ العِصابهْ(١)

* * *

وقال :

واللهِ إنَّ خيارَ بلدتِكم سَقَطٌ فكيفَ نُفايةُ السَّقَطِ(٢)

* * *

وقال(٣) في ابن السائق(٤) وكان على دار الزكاة وقد بنى داراً :

وسائقُ(٥) الصبيانِ أضحى ابنُه يَسرقُ(٦) من دارِ الزكاةِ الذهبْ

لا تسألوهُ(٧) واسألوا دارَهُ فإنَّها تُخبرُ عمَّا نهبْ

* * *

وقال(٨) في الجمال(٩) المصري وقد كان أوصى أن يدفن في داره :

---

(١) الصحابة (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت إلا في (ظ) .
(٣) ساقطة من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٤) ابن السابق (ظ) .
(٥) وسابق الصبيان (ظ) .
(٦) يسوق (ظ) .
(٧) لا تسألوني ... تنبئكم عن كل ما قد نهب (م ، مث ، ب) .
(٨) ساقطة من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٩) راجع الحاشية رقم (٢) ص (٨٥) .

ما قصَّرَ المصريُّ في فعلهِ (١) إذ جعلَ الحُفرةَ (٢) في دارهِ
خلَّصَ الأحياءَ من رجمهِ وخلَّصَ الأمواتَ من نارهِ

* * *

وقال (٣) في ابن عدلان (٤) وكان ينبز بالجرذان :

شاورتُ بعضَ أخلائي وقلتُ له أريدُ أودعُ كُتْبي نجلَ عدلانِ (٥)
فقالَ ذلكَ جُرذانٌ ومصلحةٌ أنْ لا يُحطَّ كتابٌ عندَ جُرذانِ

تم الديوان

---

(١) في رأيه (ظ) .
(٢) التربة (ظ) .
(٣) ساقطة من (ك ، ف ، ح ، ص) .
(٤) راجع الحاشية رقم (٣) ص (١٦٨) . ابن علاّن (م ، مث ، ب) .
(٥) نجل علان (م ، مث ، ب) .

المستدرك من شعر ابن عنين

مقطعات وأبيات لم ترد في النسخ الثماني المخطوطة التي اعتمدنا عليها من ديوان ابن عنين ، عثرنا عليها في بعض كتب التاريخ والأدب .

قال (١) في الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب (٢) :

إنَّ سلطانَنا الذي نرتجيهِ واسعُ المالِ ضيِّقُ الإنفاقِ
هو سيفٌ كما يقالُ ولكنْ قاطعُ الرسومِ والأرزاقِ

* * *

وقال (٣) في هجو أبيه :

وجنَّبني أنْ أفعلَ الخيرَ والدٌ ضئيلٌ إذا ما عُدَّ أهلُ المناسبِ (٤)
بعيدٌ عن (٥) الحُسنى قريبٌ من الخنا وضيعٌ مساعي الخيرِ جمُّ المعايبِ
إذا رُمتُ أنْ أسمو صعوداً إلى العُلى غدا عرقُهُ نحو الدنيَّةِ جاذبي

* * *

وقال (٦) في كحال يعرف بالصباغ :

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (١٢٣/٧) ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٤٦١/٨) .
(٢) راجع الحاشية رقم (١) ص (٣) .
(٣) معجم الأدباء (١٢٣/٧) وشرح لامية العجم للصفدي (١٦٠/٢) .
(٤) التناسب (معجم الأدباء) .
(٥) من (معجم ...) .
(٦) معجم الأدباء (١٢٣/٧) وإضافة على (ظ) بخط حديث .

لو أنَّ طلاَّبَ المطالبِ عندهم … علمٌ بأنَّكَ للعيونِ تُعوِّرُ[1]
لأتوا إليكَ بكلِّ ما أمَّلتَهُ … منهم وكانَ لكَ الجزاءُ الأوفرُ
ودعوكَ بالصَّبَّاغِ لمَّا أنْ رأوا … يُعْشي[2] العيونَ لديكَ ماءٌ أصفرُ
وبكفِّكَ الميلُ الذي يحكي عصا … موسى[3] وكم عينٍ به تتفجَّرُ

* * *

وقال[4]:

ومهفهفٍ[5] رقَّتْ حواشي[6] خدِّهِ … فقلوبُنا وجداً عليه رِقاقُ
لم يكسُ عارضَهُ السوادُ وإنَّما … نفضتْ عليه صباغَها الأحداقُ

* * *

وقال[7] في خوارزم:

خوارزمُ عندي خيرُ البلادِ … فلا أقلعتْ سحبُها المُغدقَهْ
فطوبى لوجهِ امرئٍ صبَّحتْ (م) هُ … أوجُهُ فتيانِها المُشرقهْ
وما إنْ نقمتُ بها حالةً … سوى أنْ أقامتْ بها مُقلقهْ[8]

* * *

(١) تعور (ظ).
(٢) يغشى (ظ).
(٣) فكم (ظ).
(٤) معجم الأدباء (١٣٦/٧) ونسبهما الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ص (١٤٤) إلى ذي الوزارتين أبي الحسن بن الحاج.
(٥) ومعذّر (قلائد العقيان).
(٦) محاسن (قلائد العقيان).
(٧) معجم البلدان لياقوت (٤٧٧/٣).
(٨) فسر ذلك صاحب معجم البلدان: «كان المؤذن – في خوارزم – يقوم في سحرة من الليل يقارب نصفه فلا يزال يزعق إلى الفجر».

وقال[1] يهجو ابن شكر[2]:

ضاعَ شعري وقلَّ في الناسِ قدري … مِنْ وقوفي ببابِ اللئيمِ ابنِ شُكرِ
لو أتتْهُ حوالةٌ بخراهُ … قال سدُّوا بلحيتي بابَ جحري

* * *

وقال[1] فيه أيضاً:

ونعمةٍ جاءتْ إلى سفلةٍ … أبطرَهُ الإثراءُ لمَّا ثرا
فالناسُ مِن بغضٍ له كلَّما … مرَّ عليهم لعنوا شاورا[4]
تبّاً لمصرٍ ولها دولةٌ … ما رفعتْ في الناسِ إلاَّ حرا

* * *

وقال[4]:

وقائلٍ إنَّ في الأسفارِ فائدةً … يُوسعنَ في الرزقِ ذا مالٍ وذا خُلُقِ
وقد مضيتُ إلى أقصى الذي (ذكروا)[5] … وجئتُ أرعنَ والشلاَّقُ[6] في عنُقي

* * *

(١) فوات الوفيات (٢٢٠/١).
(٢) راجع الحاشية رقم (١) ص (٤٥).
(٣) أبو شجاع شاور بن مجير السعدي وزير مصر أيام العاضد الفاطمي، قبض عليه صلاح الدين وقتله بمصر سنة (٥٦٤) (الأعلام للزركلي).
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي (٥٢٩/١٩) من فصل عنوانه «شمس الدين بن الجزري وتاريخه» للأستاذ عباس العزاوي.
(٥) في الأصل: كفروا.
(٦) الشلاّق: شبه مخلاة للفقراء والمتسولين بلغة ربيعة.

وحضر ابن عنين مجلس الملك المعظم بدمشق ومملوك خاص قائم يظلله من الشمس، فقال لابن عنين: قل في هذا شيئاً فقال [١]:

وغصنٍ بانٍ قلوبُ الناسِ قاطبةً … منه على خطرٍ إن ماس أو خطرا
بدا وأبدى برؤياهُ لنا قمراً … فيه من الحسنِ ما للعقلِ قد قمرا
هو الغزالُ ولكنّي عجبتُ له … من الغزالةِ إذ زارته أن نفرا
وظلَّ مستتراً منها ومحتجباً … عنها ونورُهما في الناس قد ظهرا
فقلتُ حسبكَ لا تخش اجتماعكما … فالشمسُ لا ينبغي أن تُدركَ القمرا

* * *

وقال [٢]:

غريرُ لحاظٍ ناقصُ الخصرِ فاتنٌ … تكمّلَ إذ في أخذِ روحي تشطّرا
هو الغصنُ لكن بالهوى فيه خاطري … على خطرٍ لمّا مشى وتخطّرا
وقالوا اصطبرْ والريقُ في فيه سكّرٌ … فقلتُ بصبرٍ لا أُقابلُ سُكّرا
عجبتُ له إذ لاحَ واهتزَّ عطفُهُ … لأني رأيتُ الغصنَ بالبدرِ أثمرا
فما الشمسُ إلا وجنةٌ منه أشرقتْ … نهاراً وخدٌّ فيه صبري تعذّرا
وما الليلُ إلا شعرُهُ وهو مسبَلٌ … ولكنّهُ قد صار بالوجهِ مقمِرا
وما المسكُ إلا نشرُ فيه الذي طوى … أحاديثَ عن إسنادِها الطيبُ عبّرا

* * *

(١) إضافة على (ظ) بخط حديث.
(٢) من مجموعة شعرية مخطوطة مرتبة على حروف المعجم عند الأستاذ محمد أحمد دهمان.

وقال في موسوس يتردَّد في النية وتكبيرة الإحرام [١]:

وباردِ النيَّةِ عاينتُهُ … يكرّرُ الرعدةَ والهزّهْ
مكبّراً سبعينَ في مرّةٍ … كأنّما صلّى على حمزهْ [٢]

* * *

وحضر الشعراء عند الملك المعظم وفيهم ابن عنين، فقال لهم لا بدَّ أن تهجوني في وجهي، فقبلوا الأرض واستعفوا من ذلك، فقال لا بدَّ من ذلك وألحَّ عليهم، فتقدم ابن عنين وقال [٣]:

نحنُ قومٌ ما ذُكرنا لامرئٍ … قطْ إلاّ واشتهى أن لا يرانا
شِعرُنا مثلُ الحرا ذقتَ الحرا … صفعَ اللهُ بهِ أصلَ لحانا

* * *

وقال [٤]:

الرزقُ يأتي وإنْ لم يسعَ صاحبُهُ … حتماً ولكنْ شقاءُ المرءِ مكتوبُ
وفي القناعةِ كنزٌ لا نفادَ لهُ … وكلُّ ما يملكُ الإنسانُ مسلوبُ

* * *

وقال [٥]:

فِراري ولا خلافَ الخطيبِ جماعةٌ … وموتٌ ولا عبدُ العزيزِ طبيبُ

(١) شرح لامية العجم للصفدي (١/١٠٠).
(٢) إشارة إلى أن النبي عليه السلام صلى على عمه حمزة يوم أحد سبعين مرة.
(٣) شرح لامية العجم للصفدي (٢/١٦٣) والوافي بالوفيات له، مخطوط بالخزانة الأحمدية بحلب رقم (١٢١٦).
(٤) شرح لامية العجم (٢/٢٣١).
(٥) البداية والنهاية (١٣/٥٠) وعبد العزيز الأشرفي طبيب توفي سنة (٦٠٤) كما في البداية والنهاية.

تعقيب

ورد في ص ٣٦ من المقدمة إشارة إلى استعمال ابن عنين بعض الألفاظ والتراكيب العامية مما له أصل فصيح أولا ، مثل : (العواني والعلق ....) ويحسن أن يضاف إلى ذلك (سرّح ذقنه) بمعنى تهيأ للشيء ، وهي كناية شامية مازال الدماشقة يستعملونها إلى اليوم . انظر الديوان ص ١٢٩ .

فاتنا أن نذكر في الحاشية رقم (٦) ص ٤ من الديوان رواية (ح ، ص) لهذا البيت : « وأعاد أياماً مضين حميدةً » فانها فيهما : « وأعاد أياماً قطعت حميدةً » .

رجحنا في الحاشية رقم (٧) ص (١٧) أن تكون لفظة (المدخّن) مصحفة . ثم عثرت في ديوان أبي نواس (ص ١٠٠) على قوله :

وو افين إشراقاً كنائس تدمر   وهن إلى رعن المدخّن صورُ

ذكرت في الحاشية (٢) ص (٧٨) أن اسم الديلميات تنوسي اليوم . ثم علمت أن في شمالي قرية كفرسوسية بستاناً يسمى بستان الديلميات .

فاتنا أن نذكر في الحاشية رقم (٢) ص (٩٤) رواية الوافي بالوفيات وهي : « ما خانكم يوماً ولا سرقا »

قلت في الحاشية رقم (٨) ص (١٩٧) إن ابن الشهرزوري المهجو هو كمال الدين . ثم بدا لي ، لأنه أستاذ ابن عنين . فلعل المراد غيره من بني الشهرزوري وهم كثير . الأبيات التي أولها :

أبلغ رسائليّ الصفيّ وقل له   كيف استحال صفاؤه وتكدرا

الواردة في باب الهجاء ص ٢٠٦ هي بباب الدعابة أشبه .

فهارس

ديوان ابن عنين

فهرس الديوان

(١) المقدمة في سبع وأربعين صفحة على حدة أرقامها في ذيل الصفحات .

فهرس القوافي

مرتب على حروف المعجم

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والأمكنة

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر	
أخلاقُهُ	أخلاقَهُ	٢٣	١٢	المقدمة
عصرنا	عصرنَا	٢٦	١١	«
الديوان ص ٢٤١	الديوان ص ٢١٤	٢٦	١٨	«
تراه	تراه	٢٨	١١	
الخميس	الخميس	٦٣	٥	
نافعاً	نافعٌ	٦٣	١٠	
صاق	ضاق	٦٥	١٠	
جد الحلوانية	جد ابن الحلوانية	١٢٥	٣	
لدينا	لديه	١٣٢	٩	
ابن مكنع	ابن مكتع	١٨١	٤	
الزيداني	الزبداني	٢٠٧	١٢	
فاتنا	فاتنا	٢٤٦	٦	
أباعالماً	أبا عالماً	٢٥٦	١٨	